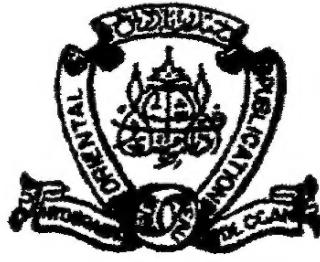


السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ١٣/٩/٤



كتاب الاعلام

بالاعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في وقعة الإسكندرية
لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى
(المتوفى بعد سنة ١٢٧٥ هـ / ١٢٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية
من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

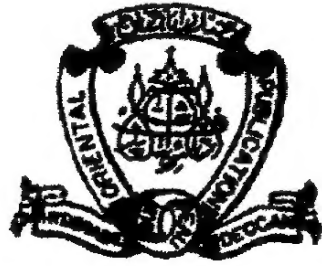
تحت إدارة

حامد على العاسى مدير دائرة المعارف العثمانية

مُطَبَّعٌ بِمَكْتَبَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِيجَادِ الدُّكْتُانِ الْهِنْدِيِّ

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٤/١٣/٩



٥٤/٣٤٦

كتاب الامام

بالاعلام فيما جرت به الاحكام و الامور المقضية في وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ١١٧٥ هـ / ١٣٧٢ م)

الجزء الرابع

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانسكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

عاحمد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية

مُطْبَعَةُ مَكْتَبَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِذْنِ الْوَلِيِّ الْأَعْلَى

١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م

جميع الحقوق محفوظة
لدائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد
All copyrights reserved.

محتويات الجزء الرابع

من

كتاب الإمام

صفحة	موضوع
١	بناء الإسكندرية
٤	شجرة محاسن بأرض رومة
٥	تأج أهل مصر
٩	الأقاليم السبعة و مدنها
	ذكر ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة سنة للهجرة إلى سنة
١٦	خمس و سبعين و سبعمائة
٢٠	الدولة الإخشيدية
٢١	الدولة الفاطمية
٤٩	الدولة الأيوبية
٥٠	المؤلف و ظفر القبرسي بالإسكندرية
٥٣	ذكر الصوفية
٦٢	من أخبار صلاح الدين الأيوبي
٧٤	أبواب القاهرة
٧٥	أخبار الظاهر بيبرس

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٤
موضوع		صفحة
الإقطاع		٨٠
وقعة يبرس و محي الدين النوى		٨١
أخبار السلطان قلاون		٨٧
سلطنة الأشرف خليل		٩٣
سلطنة الناصر محمد الأولى		١٠٤
سلطنة العادل زين الدين كتبغا		١٠٥
سلطنة حسام الدين لاجين		١٠٨
سلطنة الناصر محمد الثانية		١١١
سلطنة يبرس ششكير		١١٢
سلطنة الناصر محمد الثالثة		•
الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء		١٢٤
ذكر محاسن الناصر محمد		١٤٤
السكواكب و الأفلاك و الأبراج		١٥٩
استدارة الأرض و أبعادها		١٦٢
الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن		١٦٣
خلفاء الناصر محمد		١٦٤
مرثاة الإسكندرية للنستراوى		١٧١
حكايات جرت بالإسكندرية حين الوقعة		١٧٩
فضل الشهادة و الشهداء		١٨٨
	ب	٣

كتاب الإمام	(محتويات)	ج - ٤
موضوع	صفحة	
في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر	١٩٧	
الجسم و النفس و الروح و العقل	٢٣٥	
ما قيل في القلب	٢٤٩	
في اعضاء الجسم البشرى	٢٥٠	
في وظائف الاعضاء	٢٥٣	
حمد الله على ثمانية	٢٦٦	
وظيفة العين و الاذن و اللسان	•	
ما قيل في الازمنة و الطبائع	٢٦٧	
حكاية تشتمل على فرج بعد حرج	٢٧٣	
حكاية قاض من نبي اسرائيل	٢٧٨	
حكاية تشتمل على فراق الاحبة	٢٨٢	
حكاية العجوز النصرانية	٢٨٦	
حكاية تشتمل على غنى بعد فقر	٢٨٩	
حكاية حرجة مؤلمة مزعجة	٢٩٠	
حكاية تشتمل على فرج بعد أسر	٢٩٣	
حكاية المرأة المرتدة	٢٩٥	
حكاية المرأة المهتدية	٢٩٨	
حكاية مروءة مع تغرير بالنفس	٣٠٢	
حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس	٣٠٦	

صفحة	موضوع
٣٠٧	حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة
٣١١	حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفي
٣٢٦	حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة
٣٣٠	حكايات في الودائع
٣٣٤	حكاية في المخاصمة
٣٣٦	حكاية فقيه و أعرابي بطريق مكة
٣٣٨	حكاية في تأدية الشهادة
٣٤٠	حكاية رجل و امرأة و بعض المفتيين
٣٤٧	النخعي عن العدة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[بناء الاسكندرية]

ولما أراد الإسكندر أن يبني مدينة يسميها باسمه ، اختار مصر ،
فلما عزم على بناء الإسكندرية دعا ثلاثة نفر من الصناع يولهم بناء
المدينة ، فجعل أحدهم على أساس المدينة وإحكامها ، وولى الآخر طرق
المدينة و نصب أسواقها ، و لى الثالث بناء القصور و الدور . فلع ذلك ه
أرسطاطاليس معلم الإسكندر و ما أمر به الإسكندر من بناء المدينة ،
فأرسل إليه أرسطاطاليس أنه لا ينبغي أن تبنى مدينة على السعة و العظم ،
فأنك لا ٢ تجد بدا من أن تسكنها أصنافا ٣ من الأمم و اختلاف اللغات ،
ولست تأمن أن يتمايلوا عليك ' فيقتلوك أو يخرجونك ' من المدينة ، وأخوف
ما يكرن ذلك في يوم عيد* ، و إذا أردت جمع أهلها لأمر تحدته فيهم ١٠

(١) ريد في بن : بتقويم الآخر بتقويم .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : أصناف .

(٤-٤) في الأصليين : يقتلوك أو يخرجوك .

(٥) في بن : عيده .

لم يجتمعوا إليك أياما ، ولو جعلت شعير البلاد لهم سويقا لم يشبعهم ذلك . فشق ذلك على الإسكندر من رأى أرسطاطاليس و داخله من ذلك هم^١ و فكرة ، فدعا إليه رؤساء المنجمين و أهل العلم و الأدب و النظر ، فأعلمهم بما أشار إليه أرسطاطاليس فقالوا له : أيها الملك الرشيد ، لا يحزنك ذلك [٢١٤ : ب] و لا يهولك ذلك ، و كن واثقا بها ، و إنها ستكون مدينة عامرة سليمة واسعة العيش ، ذات خصب كثير ، يحمل إليها أهل البلدان تجارتهم . و ليس أحد من الصناع يعالج فيها صناعة إلا كان عزيزا . فسر ذلك الإسكندر ، و جدّ فيما أشاروا عليه و عزم على البناء ، و أمر عماله بالجد في ذلك حرصا على تخليد اسمه ، و بقاء ذكره ، حين علم أن لا سبيل إلى تخليد جسمه . و قد كان أناس من الأولائل يخلفون صورهم أصناما عند أهلهم لكيلا تنسى منازل صورهم . و في رسالة استقراطس عن الإسكندر أن الإسكندرية أقامت حتى كملت بعد الإسكندر في ثلاثمائة سنة ، و أن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها إلا بخرق سود على وجوههم مخافة على أبصارهم من شدة يابض حيطانها . و مارتها العجبة على سرطان^٢ من زجاج^٣ مطل على البحر . و كان فيها سوى أهلها - أعنى الإسكندرية - مائة ألف من

(١) في بن : هموم .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

اليهود خول لأهلها . و قد تقدم ذكر وضع أساس الإسكندرية و هدم
 الشياطين له حتى احتيل على دفعهم عنه فتمت عمارتها .
 و قيل عجائب الدنيا أربعة : مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية ،
 فكان مجلس الحالس عليها يرى من بالقسطنطينية و بينهما^١ عرض
 البحر^٢ ؛ و صنم من نحاس بأرض الأندلس باسط يديه أى ليس^٣ مثلى^٥
 كذلك^٣ فلا يظأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعه^٤ ؛ و منارة بأرض عاد
 فاذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس ، سقوا و صبوا
 في الحياض فاذا ذهب^٦ الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء .
 و قد نهى الله تعالى عن الذنوب في الأشهر الحرم ، لأن العمل
 الصالح فيها أجره يضاعف . و كذلك العمل الردئى يضاعف أيضا^{١٠}
 قال الله تعالى : ” إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتب الله
 يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا
 فيهن أنفسكم^٧ “ . و الأشهر الحرم منها شهر فرد و هو رجب و ثلاثة

(١) في بن : و بينها و بينها .

(٢) في بن : البحار .

(٣-٣) بياض في بن .

(٤) في بن : ابتلعه - و جائز أن يكون هذا هو الصواب .

(٥) بقية العبارة من هنا ساقطة من بن إلى « انقطع ذلك الماء » .

(٦) في بن : ذهب .

(٧) قرآن كريم ٩ : ٣٦ .

سرد وهي ذو^١ القعدة والحجة والمحرم . وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما ورد فى فضل شعبان ورمضان والأشهر الحرم إن شاء الله تعالى - انتهى ٢ .

[شجرة نحاس بأرض رومة]

٥ نعود ، و بأرض رومية شجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس ، فإذا كان [٢١٥ : الف] أبان^٣ الزيتون صفرت السودانية التى هى^٤ من نحاس^٥ فتجىء كل سودانية من الطير بثلاث زيتونات ، زيتونتين فى رجليها وزيتونة فى منقارها ، فتلقيا على تلك السودانية النحاس ، فيعصرون أهل مدينة رومية ما يكفيهم لسرجهم وأدمهم إلى قابل - انتهى ٢ .

[تتاج أهل مصر]

١٠

فلذكر الآن تتاج أهل مصر ، إن شاء الله تعالى ، . لأهل مصر التتاج العجيب من الخيل والبغال ، والخيل المدربة على الحروب . والجوارح المعلقة على الصيد ، ترتفع أقدارها . . تعالى^٦ فى آثانها ، لامتيازها بالفضائل

(١) فى بر : ذى - و صوابه فى بن كما أوردناه بالنص .

(٢) الكلمة واردة فى بن وساقطة من بر .

(٣) فى بن [ص ١٥٨ : الف] : أول .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن نتائج .

(٦) فى الأصين : و تعالا .

المكتسبة . وسأذكر^١ لمعا من^٢ أخبار الخيل^٣ و الجوارح المعلقة و كلاب الصيد فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و لأهل مصر معدن الزمرد ، و لهم زيت الفجل و البسر و النبق و البيران^٤ و النيدة و الجلبان و ذكر أهل العلم أنه ليس يكاد من رهبان الشام إلا أعمش من أكلهم العدس ، و رهبان مصر سالمون من ذلك مع^٥ أكلهم الجلبان .

و لأهل مصر البقر الخيسية المؤبلة لا تعمل و لا تثير الأرض بالحرث بل للحلاب فقط ، و هي أحسن البقر صورا ، و بقر مصر العاملة ليس في الدنيا بقر^٦ أعظم منهن خلقا ، و إن^٧ العضو منهن يساوى أكثر من ثور من غيرها .

و لأهل مصر حطب الصنط و القرظ الذى تعلفه الدواب . و ذكر بعض أهل العلم أنه يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة في الكانون ، فلا يوجد له رماد^٨ طول هذه المدة ، و يقدر أخضرا و يابس و هو شجر الخبط و القرظ^٩ .

(١) في بن : و سياتى .

(٢-٢) واردة في بن و ساقطة من بر ، و أضفنا منها واو العطف على الجوارح .

(٣) في بن : البيراف . و بهامش بر : خصوصيات مصر .

(٤) في الأصلين : بقرا .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر بدون واو العطف .

(٦) كذا في بن ، و هي في بر : رمادا .

(٧-٧) في بن : القرظ و الخبط .

و يوجد بمصر في كل وقت من الزمان من المأكل والإدام
و المشموم و سائر البقول و الخضر جميع ذلك في الصيف و الشتاء ،
الا ينقطع منه شيء واحد لبرد و لالحر . يوجد ذلك كله في الصيف ،
و يوجد بقيته في الشتاء غير مفقود منه شيء واحد ، و لا ينقطع و لا يتعذر
٥ و لا يوجد ذلك في غيرها .

و من كلام المصريين في شهور القبط و ما في كل شهر منها : كُلُّ
رطب توت ، و رمان باب ، و خروف هاتور ، و جدى كيهك ، و اشرب
ماء طوبه ، و اقعده في شمس امشير ، و كُلُّ لبن برمهات ، و غسل برموده ،
و تماح بشفس ، و تين بؤنه و ايب ٢ ، و عنب مسرى .
١٠ و مصر فرضة مكة و المدينة و ساحلها و فرضة صنعاء و عدن و عمان
و الشحر و الهند و جزيرة سرنديب [٢١٥ : ب] و غيرهم ، يجلب إليها
الجواهر ٣ و الطرائف و الآنية في البحر حتى توفي المراكب بالقلزم ،
و هي فرضة بحر الروم من العلايا و أنطاكيا و قسطنطينية و رومة و بلد
إفرنجية و طرابلس الغرب و تونس و القيروان و تاهرت و سجلماسة

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) « و ايب » ساقط من بر و وارد في بن .

(٣) في بن [١٥٨ : الف] : الجوهر .

(٤) في بن : و الطرائف . و ربما كان أصوب .

(٥) في بر : توط . و في بن : تواف . و هو جائز .

(٦) في بن : و روميه .

و السوس^١ و طنجة و الأندلس و جزائر البحر مثل صقلية و اقريطش
 و قبرس و رودس و نابل^٢ و غيرها من الجزر . يحمل إلى مصر رقيق
 هذه البلدان كلها من الجوارى و الغلمان و التاج^٣ و الحديد و النحاس
 و الفضة البيضاء و الرصاص و القزدير^٤ و الزنجفر و العفص^٥ و خشب
 البقس و القرو و الصنوبر و الشوح و الصوارى و المجاذيف و المدارى^٥
 * و خشب النشاب الغشيم^٦ و القطع^٦ و الطوافر^٧ و المرجان و العنبر
 و الزعفران و السكل و الزئبق . و لا يحمل الزئبق إلا فى جلود الكلاب
 لا فى غيرها من الجلود لقوة جلود الكلاب على حله ، و إذا حمل^٨ فى
 غيرها من الجلود خرقها و خرج منها ثقله عليها . و كذلك يحمل إلى مصر
 من جزر البحر الرومى البزاة و الصقور و الشواهين و الكواهى و العقبان^{١٠}

(١) فى بن : والسوسة .

(٢) كذا فى الأصلين ، و ربما كان المقصود إحدى الجزر القريبة منه نابولى Naples
 و التابعة لها .

(٣) فى بن : و الساج .

(٤-٤) فى بن : و الخوخ .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٦) فى بن : و القصع .

(٧) فى بن : و الطوافير . و زيد بعدها فى بن : و المبعه .

(٨) فى الأصلين : حمل . و الغالب أنه خطأ قلمى ، و ربما كان استعمالاً قديماً
 للفظ « حمل » .

وسائر أنواع^١ التجارات كالزيت والعسل والجوز والبندق واللوز^٢
لا يضيق بها تجارتها، ولا يقصدون بها^٣ بلدا سواها^٤ . فلاهل مصر
جباها^٥ كله ولسائر الناس حيالته^٦ .

ولمصر من الكور ثمانون كورة ليس^٧ فيها كورة إلا وفيها
ظرائف^٨ وعجائب من أصناف البر والآنية والطعام والشراب والفاكهة
وجميع ما ينتفع به الناس، يعرف صنف كل كورة وجهازها، وينسب
كل لون منه إلى كورته، فصعيدها أرض حجازية حرها حر الحجاز،
تنبت النخل والقرظ والقصب والديلم، وأسفل أرضها شامى يمطر
بمطر الشام، والنبت ثمار الشام من العنب والتين واللوز وسائر الفاكهة
والبقول والرياحين، وكورة الإسكندرية فبرايرى^٩ وجبال وغياض
وكروم . وهى رية بحرية جبلية، بلاد إبل وماشية وتاج وعسل
ولبن . وبكل كورة^{١٠} من كور مصر مدينة بها آثار كريمة من الأبنية
والصخور والبراني والعجائب، فمنها الإسكندرية فى أبنيتها وعجائبها .

(١) فى بن : أصناف .

(٢-٣) هذه الأصناف ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن [١٠٨ : ب] .

(٤) فى بن : بلدا اسواقها .

(٥) فى بن : حيارها .

(٦) بهذه الجملة نهموض فى التركيب والمعنى ولعلها : لا يضيق بها تجارتها

فلاهل مصر خيارها ولسائر الناس حيالته . والمقصود ما تبقى عن مصر وهى
كلمة عربية . (٧) فى بن : وليس .

(٨) فى بن : والطرائف ، وربما كان أصوب .

(٩) فى بن : فبواذى . (١٠-١٠) فى بن : ونخل كوره .

وأجمع الناس أنه ليس بالدنيا بناء بالوحى غير هذه الكورة . وحجر
اللاهون أحد عجائب الدنيا ، بناء يوسف الصديق عليه السلام . وكانت
ملوك الفرس تأتي إليه لتشاهده ^١ [٢١٦ : الف] وهو بصعيد مصر
الأدنى بالقرب من الفيوم بالخليج ^٢ المعروف بالمنهى الذى حفره يوسف ^٣
عليه السلام .

[الأقاليم السبعة و مدنها]

ذكر الأقاليم السبعة وما فيها من المدن المشهورة .
^١ الأقاليم السبعة على بروج السماء مدن كبار عظام ، مدينتان فى
إقليم زحل و مدينتان فى إقليم المشترى و مدينتان فى إقليم المريخ
ومدينتان فى إقليم الشمس و مدينتان فى إقليم الزهرة و مدينتان فى ^{١٠}
إقليم عطارد و مدينتان فى إقليم القمر . وقيل إن الأقاليم السبعة إقليم
فى أرض المغرب و إقليم فى أرض الروم و إقليم فى أرض الحبشة و إقليم
فى أرض الهند و إقليم فى أرض الترك و إقليم فى أرض الصين و إقليم
فى أرض ياجوج و ماجوج ، لا يدخل هؤلاء و لا هؤلاء أرض هؤلاء ^١ .

(١) فى بن : بنا .

(٢) فى بن زيد ما يلى و الجملة مكررة : و هو بصعيد مصر لتشاهده .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : و بالخليج .

(٥) زيد فى بن : الصديق .

(٦ - ٦) هذا الجزء ساقط من بن و وارد فى بن .

الإقليم الأول يبتدئ من المشرق يبلاد الصين فيمر على بلاد الصين مما يلي الجنوب، وفيه مدينة الصين والشقيرا، ثم يمر على سواحل البحر في جنوب بلاد الهند ثم بلاد السند، ثم يمر في البحر إلى جزيرة الكولة، ويقطع البحر إلى جزيرة العرب وأرض اليمن، فيكون فيه من المدن المعروفة ظفار وعمان وحضر موت وعدن وصنعاء والعنق وتانا ونبالة ومهرة وسبأ، ثم يقطع الإقليم بحر القلزم، فيمر على بلاد الحبشة، ويقطع نيل مصر. وفيه هناك مدينة ملك الحبشة وتسمى جرمة^٢ وماعة إلى أن ينتهي إلى بحر المغرب.

وأما الإقليم الثاني^٣ فإنه يبتدئ من المشرق فيمر على بلاد الصين ثم على بلاد الهند ثم السند، وفيه مدينة المنصورة والتبرود والدليل، ثم يلتقي البحر الأخضر في بحر البصرة، ويقطع جزيرة العرب في أهل نجد وأهل تهامة، وفيه من المدن هناك اليمامة والبحرين وهجر ومدينة يثرب والحجاز ومكة والطائف وجدة، ثم يقطع بحر القلزم، ويمر بصعيد مصر، فيقطع النيل. وفيه من المدن قوص^٤ وأخميم وأنصنا وأسوان. ثم يمر في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية وبلد البربر، ثم ينتهي إلى بحر المغرب.

(١) في بن: فالإقليم - وبهامش بر: الأقليم الأول - وبهامشه أيضا بقلم يختلف نوعا عن قلم الناسخ: مطلب معرفة الأقاليم السبعة وحدودها.

(٢) في بن: حرمة - انظر يا قوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٩: جرمي.

(٣) في هامش بر: الإقليم الثاني.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

و أما الإقليم الثالث^١ فانه يبتدئ من المشرق يمر على بلاد الصين^٢
و على بلاد الهند، ثم على شمال السند، ثم على بلاد كابل و بيجستان،
ثم يمر على بحر البصرة . فيه من المدن هناك مدينة اصطخر و جور
و سابور و شيراز و سيراف و حنانا و سلس و مهر و بان^٣ ثم كور الالهواز
و العراق، وفيه البصرة و واسط، بغداد و الكوفة و الأنبار و هيت . ثم يمر على
بلاد الشام، وفيه من المدن هناك سلبية و حص و دمشق و صور و عكا
و طبرية و بيت المقدس و الرملة و عسقلان و غزة و القلزم . ثم يقطع
أسفل^٤ أرض مصر و الفرما و الإسكندرية . ثم يمر على برقة^٥ و طرابلس
و بلاد إفريقية، وفيه مدن^٦ القيروان، و ينتهي إلى الغرب^٧ لمدينة فاس
و أعمالها .

١٠

و أما الإقليم الرابع^١ فيبتدئ من المشرق، فيمر على بلاد التبت،

ثم يمر على [٢١٦ : ب] بلاد خراسان، فيكون فيه من المدن خجندة
و فرغانة و سمرقند و بلخ و بخارى^٢ و هراة و مرو و سرخس و طوس
و نيسابور و جرجان و قومس و طبرستان و الديلم و الري و أصبهان و قم

(١) في هامش بر: الإقليم الثالث .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) عن بن [١٠٩ : الف]، وفي بر: برقا .

(٤) في بن: من المدن .

(٥) في بن: القرب .

(٦) في هامش بر: الإقليم الرابع .

(٧) في الأصلين: بخارا .

وهمدان ونهاوند والدينور وُسُرَّ من رأى والموصل ورأس العين^١
وسميساط وحران والركة وقرقيسيا . ثم يمر على بلاد الشام ، وفيه
من المدن هناك بالس ومنبج وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس^٢
والمصيصة وصيدا وبيروت وأدنه وطرشوس وعمورية واللاذقية .
٥ ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجة ، وينتهي إلى بحر المغرب^٣ .
وأما الإقليم الخامس^٤ فانه يبتدئ من ياجوج وماجوج ، ثم يمر
على شمال خراسان ، فيكون فيه من المدن هناك الطيراز وهي مدينة
التجار ، وخوارزم وسنجار واذريجان وكور ارمينية و خللاط وجرهية^٥
ورومية الكبرى . ثم يمر على سواحل الشام . ثم يمر على بلاد الأندلس
١٠ طرطوشة وسرقطة و طليطلة وقرطبة و أشيلية وماردة ومالقة حتى ينتهي
إلى بحر المغرب .

وأما الإقليم السادس^٦ فانه يبتدئ من المشرق من ياجوج وماجوج ،
ثم يمر على بلاد الخزر ، ويقطع وسط حرجان وبحرها إلى بلاد الروم .
ثم يمر على جروان وماسيا والقسطنطينية وإفرنجة و بلاد نوحان إلى
١٥ بحر المغرب .

(١) كذا في بن ، وهي في بر : راسي العين .

(٢) في بن : وأطرابلس .

(٣) في بن : الغرب .

(٤) في هامش بر : الإقليم الخامس .

(٥) في بن : جرهية - بسقوط واو العطف .

(٦) في هامش بر : الإقليم السادس

و أما الإقليم السابع^١ فانه يبتدئ من ياجوج و ماجوج ، ثم يمر على بلاد الترك على سواحل بحر جرجان و الصقالبة ، و ينتهي إلى بحر المغرب .
فهذه الأقاليم السبعة فيها المدن^٢ المذكورة و غيرها من المدن^٣ الكثيرة ، تركت ذكرها لكثرتها و طلبا للاختصار ، و في هذا القدر^٤ كفاية .

و كل إقليم للملكة اسم ، فاليمن يقال لمن ملكه تُبَيْع ، و الفرس كسرى ، و الروم قيصر ، و اليونانية^٥ بطليموس ، و الترك عاقان ، و الحبشة النجاشي^٦ ، و الخزر طرخان ، و مصر فرعون ، و الهند^٧ الأركن ، و الصين بغفور^٨ .

و اعلم أن خط الاستواء^٩ من المشرق إلى المغرب ، فالبلاد التي^{١٠} تكون أطولها و أعراضها واحدة في درج الفلك تعد^{١١} إقليما مثل أن يكون بلد بالأندلس و بلد بأفريقية و بلد بالصين تكون أعراضهم و أطوالهم

(١) في هامش بر : الإقليم السابع .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن : المذكور .

(٤) في بن : للملكة . و زيد في هامش بر : أسماء الملوك .

(٥) في بن : و اليونان .

(٦) في بن : بالنجاشي .

(٧-٨) ساقطة من بر و واردة في بن . و جائز أن تكون « بغفور » يغفور .

(٨) في هامش بر : خط الاستواء .

(٩) كذا في بن ، و هي في بر : يعد .

سواء فيعدوا بذلك إقليما واحدا . قال الشاعر^١ من قصيدة مدح بها جعفر

ابن أبي القاسم^٢ [٢١٧ : الف] :

مدى^٣ الدهر ما دامت نجوم بأفقها تلوح ودام الإستواء مع الخط

٣ . سأذكر هنا ما قاله^٤ أبو القاسم محمد بن هاني^٥ في نجوم السماء من

قصيدة له مدح بها جعفر بن أبي القاسم :

أليتنا إذ أرسلت واردا و حفا و بقنا نرى الجوزاء^٦ في أذنها^٧ شفا

و قد فكت الظلماء بعض قيودها و قد قام جيش الليل للصبح فاصطفا

و ولت نجوم للثريا كأنها خواتم تبدو^٨ في بنان يد تخفا

قتى على آثارها دبرانها كصاحب رده كيت^٩ خيله حلفا

١٠ . وأقبلت الشعري العبور ملبدا^{١٠} بمرزمها اليعبوب يحنبه طرفا

و قد بادرتها أختها من ورائها لتخرق من ثي^{١١} مجرتها سحفا

^{١٢} تخاف زئير^{١٢} الليث قدم نثرة و بربر في الظلماء ينسفها نسفا

كان السماكين الذين تظاهرا على لبدتيه ضامنان له حتفا

(١ - ١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : مدا .

(٣ - ٣) في بن : و قال .

(٤ - ٤) مكررة خطأ في بن .

(٥) في بن : تبدووا .

(٦) في بن : كمنت .

(٧) في بن : مكيلة .

(٨ - ٨) في بر : خاف زيرا . وأغلب الظن صحته في بن كما أوردناه بالنص

و يستقيم بذلك ميزان البيت .

فذا راح يهوى إليه سنانه وإذا أعزل قد عض أنمله لهما
 كأن رقيب النجم أجدل مرقب يقلب تحت الليل في ريشه طرفا
 كأن بني نعش ونعشا مطافل بوجهة^١ قد أضلن في مهمه^٢ خشفا
 كأن سهيلا في مطالع أنفه مفارق ألف لم يجد معه ألفا
 كأن^٣ سهاها عاشق بعد عودها^٤ فأونة يبدوا وآونة يخفا^٥
 كأن معلا قطبها فارس له لواءا مركوزان تذكرة الزحفا
 كأن قداما النسر والنسر واقع قصص قلم تسم^٦ الخوافي به ضعفا
 كأن أخاه حسين دؤم طائرا أتى^٧ دون نصف الليل^٨ فاخطف النصف
 كأن المزيغ الابنوسى رهبة^٩ سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
 كأن ظلام الليل إذ مال ميله صريع مدام بات يشربها صرفا^{١٠}
 كأن عمود الفجر خاقان معشر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفا
 كأن لواء الشمس غرة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

(١) في بن [١٥٩ : الف] : بوخزة .

(٢) في بر التاء المربوطة منقوطة و النقط خطأ لأن الكلمة « مهمه » بالهاء الغير منقوطة في بن و يستقيم المعنى بذلك .

(٣) « كأن » ساقطة من بن .

(٤) في بر : عود . و هى كما أوردناه بالنص في بن .

(٥) في بن : تسموا .

(٦) في بر : أتى - بالنون و هى في بن بالتاء .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) كذا في بن ، و هى في بر : وهبة .

١ و دخل إلى المدح وهي طويلة ١ . و كانوا يقولون : اطلبوا الرزق في البعد فانكم إن لم تغنموا مالا غنتم عقلا . وقالوا : من تعذر عليه الرزق فعليه بمدينة عمان . و من مفاخرة ٢ أهل مصر أنهم لا يطلبون الأموال و المتاجر ٣ في غير مصر ، و جميع تجار البلدان يطلبون الرزق ٤ [٢١٧ : ب] بها . ٥ و اعلم أن الرزق لا يحمره حرص حريص ، و لا يردده كراهية كاره . قال الشاعر :

مالك ضامن رزقي ٥ فلماذا أكلف الخلق رزقي

فكما لا يرد عجزى رزقي فكذا لا يجر رزقي حذقي ٦

ذكر ٧ ملوك الإسلام بمصر بعد الثلاثمائة ٨ سنة للهجرة ٩

إلى سنة خمس ١٠ و سبعين و سبعمائة

١٠

[الدولة الإخشيدية ١]

كانت الدولة الإخشيدية من قواد الطولونية ، و كان طولون مملوكا

(١-١) في بن : و خرج .

(٢) في الأصلين : مقاهرة - و أغلب الظن أنه خطأ قلبى لكلمة « معاهرة » كما أوردوا بالنص .

(٣) في بن : من المتاجر .

(٤-٤) هذا القسم ساقط من بر و وارد في بن (٥) كذا في بن .

(٦) في بن زيد : لمع من أخبار .

(٧-٧) في بن : من الهجرة النبوية و .

(٨) في بن : ثمان .

(٩) في هامش بر : طولون .

لأمير المؤمنين عبد الله المأمون بن الرشيد^١ ، فرزق طولون ولدا سماه^٢ أحمد ، فتجب فولى مصر نيابة لبنى العباس ، ثم ولى بعده مصر ولده أبو الحسن نهارويه بن أحمد بن طولون^٣ . فأراد نهارويه أن يزوج ابنته من على ابن أمير المؤمنين المعتضد . فقال المعتضد^٤ إنه قصد أن يتشرف بنا فأنا^٥ أتزوجها ، فتزوجها المعتضد ، فأتت له معها بأموال جزيلة .

و أول الدولة الأخشيدية^٦ طنج الصرغاني ، كان متوليا لنهارويه ابن أحمد^٧ بن طولون دمشق و الشام . ثم ولى الأخشيد أبو بكر بن^٨ محمد بن^٩ طنج مصر . ثم وليها بعده أبو الجون محمد^٩ بن أخشيد . ثم وليها بعده أبو المسك كافور الأخشيدى^{١٠} ، جلب من الحبشة و عمره^{١١} أربعة

(١) و تاريخ حكه ١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨١٣ - ٨٢٣ م .

(٢) فى بن : اسماء (٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : لما بلغه ذلك - و حكم المعتضد ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ = ٨٩٢ - ٩٠٢ م .

(٥) فى بن : أنا (٦) فى هامش بر : أول الدولة الأخشيدية .

(٧) استمر حكم الدولة الطولونية من ٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م إلى ٢٩٢ هـ = ٩٠٥ م .

و حكم الدولة الأخشيدية ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ = ٩٣٥ - ٩٦٩ م . و حكم أحمد بن

طولون ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ = ٨٦٨ - ٨٨٢ م و نهارويه ٢٧٠ - ٢٨٢ هـ = ٨٨٣ -

٨٩٥ م أما طنج فحكه ٣٢٣ - ٣٣٤ هـ = ٩٣٥ - ٩٤٦ م .

(٨) لفظ « بن » ساقط من بن .

(٩-٩) يلاحظ هنا اختلاف فى تفصيل الأسماء عما هو معروف مثلاً فى جداول

زامباور ص ٩٣ و ستانلى لين بول ص ٦٩ مما يستحق المراجعة و البحث .

(١٠) حكه ٣٥٥ - ٣٥٧ هـ = ٩٦٦ - ٩٦٨ م .

(١١) فى بن [١٦٠ : الف] : و كان ابن .

عشر سنة ، و ذلك في ستة اثنى عشر و ثلاثمائة ، فكان عادلا في حكمه
محبوا لرعيته لكرمه و سخائه و عدله ، و كان في كل سنة في ليلة
عيد الاضحى يوقر بغلا ذهبيا و يفرقه في أهل العلم و الخير و الصلاح .
قال صاحب كتاب الاشارات في الزيارات : إن مصر زلزلت في
٥ ' دولته ستة أشهر ' ليلا و نهارا ، فأنشد محمد بن القاسم ' من قصيدة
يقول فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها لكنها رققت من عدله فرحا ٢
وقيل إن كافور الاخشيد لما ملك مصر وعزمت كتاب الدولة
على كتابة * تقليده ، فأمرهم أن لا يكذب أحد ، ولا يخفى جنسه
١٠ إذ هو عبد كان فتوقف الجيع عن ذلك ، فنهض أحدهم و قال : انا

(١-١) في بن : دولة كافور مستقلا شهرا .

(٢) في بن : القسم .

(٣) ورد هذا البيت مع كلمة « خوف » بدلا من « سوء » منسوبا إلى محمد بن
عاصم في « سكر دان السلطان » (طبعة مصر ١٢٨٨ هـ) ص ١٣٣ عند الكلام
عن كافور . و جاء نفس البيت في السيوطي (كتاب حسن المحاضرة في اخبار
مصر و القاهرة - مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ) ج ٢ ص ١٦٧ و لفظة
« سوء » هـ و القصيدة من تأليف محمد بن القاسم بن عاصم .

(٤) في بن : دولته .

(٥) في بن : كتاب .

(٦) في بن : فتوقوا . و محته في بن كما أوردا بالنص .

أكتبه . فكتب : أما بعد فإن الفرس بكده ، و السيف بحده ، و المرء بسعده ، لا بأية و جده ، إن هو إلا عبد أنعمنا عليه - ' قال بعضهم :
لو كان باللب يزداد اللبيب غنى لكان كل لبيب مثل كافور
لكنه الرزق بالقسطاس من حكم يقضى اللبيب و يعطى ذل ماخور
و قال الآخر ' :
٥

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته
و يصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
' ما منى من غنى يوما و لا عدم
إلا و قولى فيه الحمد لله ٣

[بن : ١٦٠ : الف] : لما سار أبو الطيب المتنبي الشاعر من دمشق إلى كافور ١٠
بمصر فدحه بقصيدته التى قال فيها ما لم يمدح راس أسود بأحسن
(١ - ١) هذا الجزء بما فيه البيتان ساقط من بن ، ثم أورده النسخ بعد
البيتين التاليين .

(٢) تبدأ هنا فى بر بفقوة كبيرة واردة فى بن من ١٦٠ : الف (سطر ٥) إلى
١٦٧ : ب (سطر ١١) و قد نستخناها عن بن فيما يلى ، و هى تكل عرض الدولة
الإسلامية إلى عهد صلاح الدين الأيوبي حيث يستأنف الكلام من « نعود
إلى اخبار الخ » .

(٣) هذا البيت مع سابقه ورد فى بن قبل البيتين السابقين ، و سقط البيت
الأخير من بر .

منه ، فقال :

فجاءت به إنسان عين زمانه و خلت يا ضا خطبها و مآقيا
فواضل كافور توارك غيره و من قصد البحر استقل السواقيا
و لم يعطه كافور ما يرضى به ، و أراد كافور الغض منه . فقال المتنبي :

ه ألا ليت شعري هل أقول قصيدة

فلا أشتكى فيها و لا أتعجب

أبا المسك ' هل في ' الكأس فضل لشارب '

فاني أغنى منذ حين و تشرب

ثم جعل من يكلم له كافورا ليوليه ولاية ، فقال كافور لذلك
١٠ الشفيح : أتكلمني في أن أولى رجلا أحق لسانه يزيد على عقله ؟
أما تعلم أنه ادعى النبوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو خير
ولد آدم و سيد النبيين و خاتم المرسلين ؟ أترأه إن صار واليا لا يدعى
الملك مع كافور الحبشي الخصى ؟ فضحك الشفيح و قال : مولانا الأستاذ
أعرف بما يقول و يفعل .

١٥ ثم ملك بعد كافور الأخشيدي أحمد بن علي بن الأخشيدي ، و هو آخر
من تولى من الأخشيديّة مصر و عدتهم خمس نفر ، و كان آخر ملكهم
في سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة ، و مدة ملكهم أربعون ٣ سنة .

(١-١) مطموسة حزنيا في بن ، و لكن قراءتها ممكنة كما أوردنا بالنص .

(٢) في ديوانه : « أماله » مكان « لشارب » .

(٣) في الأصل : أربعين .

[الدولة الفاطمية]

- و كان كافور الأخشيدى خادما ' لآبى بكر محمد ' بن طنج ، فجهاز
 أبو الحسن جوهر القائد غلام الإمام اسماعيل المنصور العبيدى ' من
 أرض القيروان بالمغرب جيشا إلى مصر حارب و ملك منه من الأشمونين
 إلى الجيزة ، فوقع فناء بعسكر جوهر ، فرجع إلى أرض المغرب . ثم أتى ٥
 مصر ثانيا ، فوافى * موت كافور فى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة ، و ولى
 مصر بعده أحمد بن على بن الأخشيد . فخاربه جوهر مدة فلم ينجح له
 طلب . ثم رجع و عاد و حارب إلى أن ملك مصر ، و انتقل إليها المعز
 لدين الله من المهديّة و عمرّ القاهرة المعزية فى سنة اثنتين و ستين و ثلاثمائة ،
 فسميت القاهرة لقهرة بنى العباس و أخذ مصر منهم . ١٠

قال ابن الرّيب فى تاريخه : و فى سنة ثمان و خمسين و ثلاثمائة انقطعت
 الدعوة العباسية من الديار المصرية بدخول جوهر الرومى غلام المعز
 العبيدى المخطوب له بالخلافة فى إفريقية إلى مصر و استيلائه على أعمالها ،
 (١) فى الأصل : خادم .

(٢) كذا فى الأصل ، و قد ورد فيما سبى « أبو بكر بن محمد » (انظر ص ١٧ س ٧) .
 (٣) فى الأصل : أبا . و المقصود طعا جوهر الصقلّى فاتح مصر للدولة الفاطمية
 فى سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م .

(٤) ربما كانت المقصود هنا المنصور أبو طاهر اسماعيل خليفة المهديّ أبى محمد
 عبيد الله بالمهديّة و كان خلفه المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١ - ٣٥٦ هـ = ٩٥٢ -
 ٩٧٦ م) الذى غزيت مصر فى عهده .

(٥) فى الأصل : فوفا .

وذلك أنه اختلت أمورها بعد وفاة كافور الأخشيدي ، و وقع بها الغلاء العظيم و الوباء اللذان قتلا الخلق حتى أحصى من مات في أيام يسيرة فكانوا ستمائة ألف ، و اشتغل صاحب الجيش و التدبير الحسن بن عبيد ابن طنج بقتال القرامطة في الشام . و كان له معهم وقعات مشهودة .
 ه فلما استقرت هذه الأخبار عند المعز أخرج جوهر المذكور في عسكر و معه العدد الهائلة و الجمال عليها مفرغا كالأرحال ليهول ذلك المنظر من رآه ، و في جيش جوهر هذا يقول محمد بن الأندلسي في جملة قصيدة :
 رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع

و قال في أبياتها :

- ١٠ إذا حلّ في أرض بناها مدينا وإن سار عنها أصحت و هي بلاقع
 [بن ١٦٠ : ب] و كان في مصر قوّاد تجمع فدافعوا جوهر ففرّق جمعهم ، و قتل من ظفر به منهم ، و أرسل إلى سيده المعز برؤسهم ، و من طلب الأمان سيره مكرما إلى إفريقية ، و كان دخول جوهر مصر يوم الثلاثاء الثالث عشر ليلة بقيت من شعبان من سنة ثمان و خمسين
 ١٥ و ثلاثمائة ، و خطب فيها للمعز ، و انقطعت منها الخطبة العباسية ، فلم تعد إلا في سنة سبع و ستين . خمسمائة على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . قال أبو الحسن الشرائي : و لما بلغ هذا الخبر بغداد لم ير أحد أن يطالع به الخليفة المطيع لله ، و تلطفت به حتى أعلمته بأن جيش
 (١) في الأصل : دخل . و الأغلب أن الصحيح « حل » كما أوردنا بالنص .
 و يستقيم به وزن البيت .

الآخشيدي على الهلاك لأن القرامطة أقبلوا إليهم من جهة شرقهم وجنوبهم ، و المغاربة أقبلت إليهم من جهة الغرب . قال : وقد بلغنا أن جيش ابن طعج على الرملة و وافى ' المغاربة إلى الرملة ، فقلت يا مولانا ما بقي بينهم وبين المغاربة ' إلا خمسة مراحل ، قال فاستوى قاعدا ، وقد كان متكئا و قال : فدخلوا إذا الديار المصرية ! قلت : كذا . ٥
 فخرج ^٢ من الحديث فأرسل حيثنذ إلى عز الدولة بختيار بن نويه يسأله عن ذلك . فقال : أحسن الله عزاء ^٣ أمير المؤمنين في الديار المصرية ، وما أروع سمع مولانا أمير المؤمنين بهذا لو لا ما سأل عنه ، لكن المطلوب بقاء أمير المؤمنين و بحضرته من اللبس والعدد والرجال ما يقضى إن شاء الله تعالى بفتحها و بفتح غيرها إلى البحر الأخضر . قال فلما ١٠
 رجعت له الرسالة قال : هذا يسمع الخاطر بتعليقه عن الديار المصرية . وقد أمر الخليفة المقتدر * ، أن ^٤) يجهز لها المستجاس و الدنيا حيثنذ يده و قاسى عليها حتى امتلأت منه التواريخ ونحن الآن و قد أخذت منا مصر و ليس في حكمنا إلا هذا القصر الذى نحن فيه و الشيعة قد كثرت في الأقطار من حين رجوع مصر ، ثم قال : اعلم أن بنى نويه شيعة ، ١٥

(١) في الأصل : و وافا .

(٢) الكلمة مكررة بالأصل .

(٣) في الأصل : يخرج . و أغلب الظن أنها خطأ قلمى .

(٤) في الأصل : عزى .

(٥) الخليفة العباسى و حكمه ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ = ٩٠٨ - ٩٣٢ م .

(٦) ناقصة بالأصل و لزومها واضح للسياق .

و هم أول من يشمت بذهاب مصر و الجزيرة و الشام في أيدي بني حمدان و هم شيعة ، و قد ذهب منهم أهل الوفا و المنا كناصر الدولة و سيف الدولة ، و بقى شبان أعمار لا يعرفون ودا ، و لا يحفظون عهدا ، و كأننا بهم و قد صاروا مع ابن ديسان - يعنى المعز - فكان كما قدره . و سيأتى ه خبر العبيدين المدعين أنهم فاطميون ، و ليس كذلك بل نسبتهم إلى ديسان .

نعود - و كان أحمد بن طولون في دولته عمرّ الجامع المعروف به في مكان يعرف بيشكر بين مصر و القاهرة بسبب رجل صالح ، فكان في المكان ، فحين وصل المعز إلى مصر أمر بأن يؤذن على جامع عمرو ١٠ ابن العاص و جامع ابن طولون بحى على خير العمل ، فاستدام ذلك في الأذان إلى حين انقضاء دولة العبيدين في سنة سبع و ستين و خمسمائة ، فانقرض حينئذ ذكر حى على خير العمل بانقراض دولتهم ، أبطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب ، و أمر بالدعاء على المنابر لخلفاء بنى العباس كما كانت أولا بالديار المصرية و الشامية . ١٥ و سبب تسمية القاهرة بالقاهرة لغلبة العبيدين الشيعة على بنى العباس بأخذهم مصر منهم و قهرهم لهم عليها ، فقالوا نسميها القاهرة لقهرنا لهم . و تسمت العبيديون المذكورون بالفاطميين ، و ادعوا أنهم من ذرية فاطمة [بنت ١] النبي صلى الله عليه و سلم . و لما ولى المعز ملك مصر قال

(١) الكلمة ساقطة من الأصل ، و لزومها واضح من السياق .

أبو القاسم محمد بن هاني الشيعي قصيدته^١ التي أولها .

تقول بنو^٢ العباس هل^٣ فتحت مصر فقل لبسنى العباس قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر تطلعه البشري ويقدمه النصر
/ وقد أوفدت مصر إليه وفودها^٤ وزيد إلى المعقود من جسر ها جسر [بن ١٦١: ب]
فا جاء هذا اليوم إلا وقد غدت وأيديكا منها ومن غيرها صفر
فلا تكثروا ذكر الزمان الذي خلا فذلك^٥ عصر قد تقضى وذا عصر
أفى الجيش كنتم تمرون^٦ رويدكم فهذا القنا^٧ العراض والجحفل المجر^٨

(١) وردت القصيدة في طبقات ديوان ابن هاني وأقدمها طبعة بيروت ١٣٢٦
= ١٩٠٨ م، ثم طبعة زاهد على تحت عنوان تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني
في القاهرة ١٣٥٢ = ١٩٣٣ م، وأحدثها نشرة كرم البستاني بعنوان ديوان
ابن هاني الأندلسي في بيروت (دار صادر) ١٩٥٢ م. وقد صححنا النص على
هذه الأخيرة كما أدخلنا بالحواشي بعض ما اسقطه الناسخ من الآيات نظرا
لأهمية هذه القصيدة التاريخية وهي طويلة .

(٢) في الأصل : بنوا .

(٣) في الأصل : قد . ومحتها في الديوان (كرم البستاني) ص ١٣١ .

(٤ - ٤) كذا في ديوان ابن هاني ص ١٢١ . وفي الأصل : وقد وفدت
إليه وفودها

(٥) في الأصل : فذاك . ومحتها بالديوان ص ١٢١ .

(٦) في الأصل : تمرون . ومحتها من الديوان ص ١٢١ .

(٧ - ٧) في الأصل : العراض . وبقية البيت مطموس ، فأكلناه من الديوان
ص ١٢١ . ويتلو هذا البيت ساقط من الأصل وهو الآتي :

وقد أشرفت خيل الإله طوالها على الدين والدنيا كما طلع الفجر

وذا ابن نبي الله يطلب وتُره وكان حَسْرٌ ١ أن لا يضيع له وتر
ذروا الورد في ماء الفرات لحيله فلا الضَّحَلُ ٢ منه تمنعون ولا الغمر
أفى الشمس شك أنها الشمس بعد ما تجلّت عيانا ليس من دونها ستر
وما هي إلا آية بعد آية ونذر لكم إن كان يغنيكم النذر ٣
أطيعوا إماما للأئمة فاضلا كما كانت الأعمال يفضلها الر
ردّوا ساقيا لا تنزفون ٤ حياضه كجوما ٥ كما لا تنزف الأبحر النذر
فان تتبعوه فهو مولاكم الذى له برسول الله دونكم الفخر
ولا فبعدا للبعيد ٦ فينه وبينكم ما لا يقربه الدهر
أفى ابن أبي السبطين أم فى طليقكم ٧ تنزلت الآيات و السور الغر ٨

(١) فى الأصل : حرا .

(٢) فى الأصل : الضحك . و صحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٣) المقصود بكلمة « النذر » الإنذار و بلى هذا البيت فى القصيدة آخر ساقط من النص (انظر الديوان ص ١٣٢) :

فكونوا حصيدا خامدين أو ارعوا إلى ملك فى كفه الموت و النشر

(٤) فى الأصل : يعرفون . - و صحته من الديوان ص ١٣٢ .

(٥) فى الأصل : جموحا . - و صحته بالديوان ص ١٣٢ . و الجحوم الكثير الماء ، و الذر صغار النمل .

(٦-٧) الشطر مطموس أغلبه فى الأصل ، و قد أخذناه عن الديوان ص ١٣٢ .

(٧) فى الأصل : طليعتكم . و صحته من الديوان ص ١٣٢ . و المقصود بابن أبي السبطين على بن أبي طالب و الطليق هو عباس بن عبد المطلب أصل العباسيين .

'بني نَتْلَة ما أورث الله نَتْلَة' ١ وما نسلت؟ هل يستوى العبد والحر؟
 وأنى بهذا وهي أعدت برِقْها ذروا الناس ردوهم إلى من يسوسهم
 أسرتهم قُروما بالعراق أعزّة ٢ وقد بزّكم أيامكم حُصَب الهدى
 'ومقتبل أيامه متهلل' ٣ إليه • الشباب الغضّ والزمن النضر
 أدار كما شاء الورى وتحيزت ٤ على السبعة الافلاك أنمله العشر
 أتدرون من أزكى البرية منصبا ٥ وأفضلها إن عُدد البدو والحضر؟
 تعالوا إلى حكام كل قبيلة ٦ ففي الارض أقيال وأندية زهر
 ولا تعدلوا بالصيد من آل هاشم ٧ ولا تتركوا فِهرًا ٨ وما جمعت فِهر ٩
 فجيثوا بمن ضمت لُوى بن غالب ١٠ وجيثوا بمن أدت كنانة والنضر
 ولا تذروا عليا معدّ وغيرها ١١ ليُعرف منكم من له الحق والامر

(١ - ١) في الأصل : في نسله ما أورد الله مثله . - والتصحيح من الديوان

ص ١٢٢ . والمقصود بنى نتلة أم عباس بنت جناب بن كليب .

(٢) الكلمة غير واضحة بالأصل فأخذناها عن الديوان ص ١٣٢ .

(٣) في الأصل : أعناقها .

(٤ - ٥) هذا الشطر مختل بالأصل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٣ .

(٥) ساقطة من الأصل واردة بالديوان .

(٦) في الأصل : أحاكم . وجمعت بالديوان ص ١٣٣ .

(٧) فِهر قبيلة من أصول قريش .

١٠ من عَجَب أن اللسان جرى لهم بذكر على حين القضا وانقضى الذكر ١
فبادروا و عني ٢ الله آثار ملكهم فلا تخبر يلقاك عنهم ولا تخبر
ألا تلکم الارض العريضة أصبحت ٣ ولا لبني العباس من عرضها شبر ٣
فقد دانت ٤ الدنيا لآل محمد وقد جرّرت أذيالها الدولة البكر ٥
٥ ورد حقوق الطالبين من زكت صنائعه في آله وزكا الذخر
معزّ الهدى والدين والرحم التي به اتصلت أسبابها وله الشكر ٦
٦ من اتناشهم في كل شرق ومغرب ٧ فبُدِّلَ أمنا ذلك الخوف والذعر ٨
٩ فكل إمامي يحق كأنما على يده الشعرى وفي وجهه البدر

(١ - ١) البيت ساقط من الأصل و وارد بالقصيدة في الديوان ص ١٣٣ وإبراده بالنص لازم لأحكام السياق .

(٢) في الأصل : و عفا .

(٣-٣) بالديوان ص ١٣٣ : وما لبني العباس في عرضها فتر . وكلا الشطرين جائز .

(٤) بالديوان : دالت .

(٥) كذا بالديوان ، وفي الأصل : الغر .

(٦) ورد هذا البيت في غير موضعه بالأصل فنقلناه إلى هنا عن القصيدة بالديوان .

(٧-٧) بهذا الشطر خيل فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .

(٨) كذا بالديوان ، والكلمة في الأصل : والدهر .

(٩) اختلطت الأبيات التالية في النص ، فأثرنا إعادة تنظيمها على أساس أصل

القصيدة بالديوان ص ١٣٤ - ١٣٥ . مع إضافة بيتين في موضعها حتى يكتمل

تسلسل المعنى .

- ولما تولت دولة الثَّصِبِ عنهم تولى العمى والجهل واللوم والغدر
حقوق أتت من دونها أُعْصِرَ خَلْتُ فما ردها دهر عليهم ولا عصر
فجرّد ذوالتاج المقادير دونها كما جُرِّدَتْ يَبَضُّ مضاربها حمر
فأنقذها من برثن الدهر بعد ما 'تواكلها القرُس المتَّيَّب والهَصْر'
فأجرى على ما أنزل الله قَسَمَهَا فلم يُتَمَحَّرَمَ منه قُلٌّ ولا كُثْرٌ ٥
فدونكموها ؛ أهل بيت ؛ محمد صَفَتْ بمعز الدين جمّاتها الكُدر
فقد صارت الدنيا اليكم مصيرها وصار له الحمد المضاعف والشكر ٣
إمام رأيت الدين مرتبطاً به فطاعته فوز وعصيانه خسر
'أرى مدحه كالمدح لله أنه' قنوت و تسليح يحط به الوزر'
[بن ١٦١ : ب] وهي طويلة مذكورة بديوان أبي القاسم محمد بن هاني ١٠
الأزدى . ولما مات أبو القاسم بن هاني المذكور حزن عليه المعز حزناً
شديداً وقال : مات رجل كنا نقاخر به أهل المشرق ٨٠٠٠ بمصر قائد جيوشها
عشرين سنة إلى أن قتله الحاكم العبيدى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .
(١) في بن : بخر .
(٢-٣) في الأصل : توكلها الفرش المين والمصر . - والصواب ما أوردهناه
عن الديوان ص ١٣٤ .
(٣) البيت ساقط من الأصل ، فأخذناه عن الديوان ص ١٣٤ .
(٤-٤) في الأصل : جيت آل - والمقصود « بيت آل » .
(٥) في بن : أمواها .
(٦-٦) في الأصل : أرى مدحه من طاعة الله أنه - وقد أخذنا النص عن
الديوان ص ١٣٥ .
(٧) وللقصيدة بقية طويلة في خمسة ونحسين بيتا . انظر الديوان ص ١٣٥ - ١٣٩ .
(٨) يياض بالأصل .

وكان العبيديون أولهم أبو محمد عبد الله المهدي^٢ الذي عمر
 المهديّة بأرض المغرب على ساحل البحر، وهي مدينة حصينة ليس للفرنج
 عليها سبيل لحصاتها. ومولده ببغداد سنة ستين ومائتين، ووصل إلى
 مصر في ذي الحجة سنة تسع ومائتين ومائتين، وغدا إلى المغرب تسلطن
 به، ثم تسلطن بعده أبو القاسم محمد القائم بأمر الله^٣، ثم أبو معد إسماعيل
 المنصور بالله^٤، ثم أوتهم معد المعز لدين الله^٥ إسماعيل المنصور، وهو
 الذي أتى من المغرب إلى مصر وعمر له القاهرة جوهر القائد، وقيل
 بينما المعز مارا في موكبه ظاهر القاهرة وإذا بأمر (أ)ة^٦ استقبلته يدها
 طار تطبل به وتقول: يا بني العباس ردوا ملك الدنيا معد، إنها الدنيا
 ١٠ عوادي والعوادي ترد^٧. فأعجب المعز قولها بحنين صوتها وتك...^٨
 لهذين البيتين اللذين لاقا بخاطره، فقال: تعطي هذه الطبالة هذه الأرض
 إلى حيث انقطاع حس طلبها. فأعطيتها فسميت أرض الطبالة إلى الآن.
 وهذه لغة المغاربة يقولون للرجل الضارب للطل طبال وللراة^٩ الضاربة
 بالطار طبالة.

(١) في الأصل: كانت.

(٢) وسلطنته في المهديّة ٢٩٧ - ٣٢٢ = ٩٠٩ - ٩٣٤ م.

(٣) حكمه ٣٢٢ - ٣٣٤ = ٩٣٤ - ٩٤٥ م.

(٤) حكمه ٣٣٤ - ٣٤١ = ٩٤٥ - ٩٥٢ م.

(٥) حكمه ٣٤١ - ٣٥٠ = ٩٥٢ - ٩٧٦ م.

(٦) في الأصل: بأمره.

(٧-٧) آثرنا استرسال هذين البيتين في النص لعدم استقامة ميزان الشعر فيها.

(٨) الكلمة مطموسة جزئيا ولم نستطع حلها في السياق.

وكان المعز المذكور خرج بأهله وحاشيته وجنوده من مدينة المنصور من أرض المغرب قاصدا الديار المصرية بعدما مهد له غلامه جوهر القائد أمرها ، وبنى له القصرين ، فاستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية ، وأعمالها نوابا^١ من حزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد . ودخل المعز إلى الديار المصرية وصحبته توافيت آباءه ، فوصل إلى الإسكندرية وقد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناس خطبة بليغة ذكر فيها فضلهم وشرفهم وأن الله تعالى أغاث الرعايا بهم وبدولتهم ، وكان إلى جنبه قاضى مصر فقال له : هل رأيت خليفة أفضل منى ؟ فقال : لم أر من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال : نعم ! قال : زرت قبر رسول صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ! قال : ١٠ وقبر أبى بكر وعمر ؟ قال القاضى : فتحيرت ما أقول لأن المعز شيعى المذهب يبغضهما ، ثم نظرت فإذا ابنه قائم مع كبار الأمراء فقلت : أشغلتى عنهما زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أشغلتى أمير المؤمنين عن السلام على ولده وولى العهد من بعده ونهضت إلى ولده فسلمت عليه ورجعت ، فانفسخ المجلس إلى غيره ، وذلك أن ١٥ العبيدين الزاعمين أنهم فاطميون كانوا شيعة تقولون فى أذانهم بعد الحيعلتين^٢ حتى على خير العمل ، يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية فى أذانهم بمكة والمدينة فى غير أيام الحج وكذلك بصعدة أيضا وغيرها

(١) فى الأصل : ونوابا .

(٢) المراد بمحيعلتين «حتى على الصلاة» و«حتى على الفلاح» من كلمات الأذان .

من أرض اليمن ، و لهم مذهب خامس غير المذاهب الأربعة ، و هم ينفذون
أبا بكر و عمر رضي الله تعالى عنهما - انتهى .

نعود إلى ذكر بعض أخبار المعز ، و ذلك أنه لما وصل إلى
الإسكندرية تلقته أكابرها ، ثم دخل بها الحمار ، و سار من الإسكندرية
إلى مصر فنزل بالقصرين ، فيقال إن أول دخوله موضع ملكه خر
[بن ١٦٢ : الف] ساجدا لله تعالى . ثم كان أول حكومة حكم فيها أنه
تقدمت إليه امرأة محمد الإخشيد فذكرت له أنها كانت أودعت رجلا
من اليهود قبا من لؤلؤ منسوج بالذهب مكلل بأصناف الجواهر في جرة
نحاس حين زال ملكهم و أنه جحد ذلك ، فاستحضره و قرره ، فوجد
اليهودي ذلك و أنكره ، فأمر عند ذلك المعز بأن تحفر داره و يستخرج
ما فيها ، فوجدوا القبا في الجرة مدفونا . فسلمه المعز إليها ، فقدمته المرأة
إليه و قالت : ما بقى هذا يصلح لمثلي و إنما يصلح لحظاياك . فأبى أن
يقبله منها ، و قالت : أنت أحق به فاستحسن ذلك منها ، و أخذته
المرأة و انصرفت . فكانت خلافته سنتين و ستة أشهر .

١٥ و ولى ملك مصر بعد المعز ولده العزيز لدين الله نزار ، و كان
يحب اللعب بالحمام ، و كان وزيره يعقوب بن كلس ، و إليه تنسب الحارة

(١) كذا في الأصل ، فاذا أدخلنا النقط على الحاء أصبحت الكلمة « الحمار »
وهو جائز .

(٢) في الأصل : فأبا .

(٣) في الأصل : منه .

(٤) كذا في الأصل ، و التاريخ هنا لا يتفق و التواريخ المعروفة المعتمدة حتى
إذا اعتبرنا أن ما ذكره النويري قاصر على خلافة المعز بمصر لحسب .

المعروفة بالوزيرية و بساتين الوزير . فكان العزيز له مقاصير حمامات ولوزير كذلک ، فقال العزيز لوزيرہ المذكور : أريد المسابقة بجحامي و حمامك . فتسابقا فغلب حمام الوزير حمام العزيز ، فغضب العزيز و شق عليه ذلك ، فخاف الوزير على نفسه منه ، فأنشد يقول :

قل لأمير المؤمنين الذى له العلا والنسب الثاقب
طائرک السابق لكنه لم يأت إلا وله حاجب

فحينئذ سر بمقالته و رضى .

و ولى ملك مصر بعد العزيز بن المعتز منصور الملقب بالحاكم ، وهو الذى بنى جامع الحاكم بالقاهرة ، فحول إليه الجمعة ، و ترك الجامع الأزهر ، فلم تكن تقام فيه الجمعة من حين بنى الحاكم جامعہ الذى هو ١٠ بين بابى الفتوح و النصر إلى زمن دولة الملك الظاهر يبرس كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وكان الحاكم المذكور منع النساء فى دولته من الخروج من المنازل ، و أن لا يتطلعن من الأسطحة و الطاقات ، و منع الحثافين من عمل الاخفاف لهن ، و من الخروج إلى الحمامات ، و قتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك ، و هدم بعض الحمامات عليهن ، ١٥ و جهز عجائز كثيرة تطفن فى البيوت يستعلن أحوال النساء بمن تعشق أو يعشق بأسمائهن و أسماء من يتعرضن له ، و أكثر من الدوران فى الليل بالبلد ، و أحرق بيوت من يطلع على فسقه من الرجال و النساء ، فطاق النطاق على الفساق ، و لم يتمكن أحد منهم أن يصل إلى أحد

إلا نادرا ، حتى أن امرأة بادت قاضى قضاة مصر . هو مالك بن سعيد الفارقى ، وحلفت بحق أمير المؤمنين الحاكم الأمان ، وقف لها واستمع كلامها ، فوقف لها فبكت بكاء شديدا . قالت : إن لى أخا ليس لى غيره وهو فى سياق الموت ، وأنا أسألك الأمان ' وصلنى ' إلى منزله لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا . فرق لها القاضى رقة شديدة ، وأمر رجلين معه أن يكونا معها حتى يبلغاها إلى المنزل الذى تريده ، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح جارتها ، وذهبت حتى وصلت مع الرجلين إلى منزل رجل تهواه ويهواها ، فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضى وأعجبه ، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد باب داره مغلقا ، فسأل عن زوجته ، فذكر له ما صنعت ، فاستغاث على القاضى وذهب إليه وقال . ما أريد زوجتى إلا منك ، فأنها ليس لها أخ بالكلية ، وإنها ذهبت إلى عشيقها . تخاف القاضى من معرفة هذا الأمر ، فركب إلى الحاكم وبكى ٣ لديه ، فسأله عن شأنه ، فأخبره بما اتفق له من الأمر ، فأرسل الحاكم مع الرجلين اللذين وصلها من يحضر الرجل والمرأة جميعا على أى حال ١٥ كانا عليه ، فكسروا الباب ، [بن ١٦٢ : ب] فدخلوا فوجدوهما متعانقين سكارى ، فحملوهما إلى الحاكم . فسألها الحاكم فأخذا يعتذران بما لا يجدى

(١) فى الأصل : الاما . . . والتركيب فى الجملة إذا تركنا الأصل على ما هو عليه غريب ، واعتقادنا أن بعض الحروف ساقطة من الكلمة وهى « الأمان » فأبرزناها كما فى النص .

(٢) فى الأصل : وصلتني . وأغلب الظن أن المرأة طلبت من القاضى الأمان وتوصيلها لأخيها . (٣) فى الأصل : و بكاء . (٤) فى الأصل : فوجدوها .

شيئا، فأمر بتحريق المرأة بالنار فخرقت، وضرب الرجل بالسياط ضربا مبرحا، وازداد احتياط الحاكم العيديدى على النساء إلى أن مات .
 وكان أمير المؤمنين الحاكم قد عدم، فاستبشر المسلمون بذلك لأنه كان جبارا عنيدا . شيطانا مريدا . وكان كثير التلون في أفعاله وأقواله . وكان يروم أن يدعى الإلهية كما ادعاها فرعون، لأنه كان أمر الرعية إذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفًا إعظاما لذكره، واحتراما لاسمه . فكان يفعل هذا في سائر عماله حتى في الحرمين الشريفين . وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خروبا سجدا حتى أنه بسجد يسجدهم كل من في الأسواق . و فعل أشياء قبيحة تركت ذكرها لشناعتها . قال ...^١
 في تاريخه أن الحاكم العيديدى كفر كفرا لم يكفره فرعون . و مات مقتولا ،^{١٠} و صفة قتله أنه اتهم أخته ^٣ بنت الملك ^٣ بالمحاشة و أسمعها غليظ الكلام، فتبرمت منه . عملت على قتله و أرسلت إلى أكبر الأمراء الذي يقال له ابن دواس ، و وافقت هي و إياه على قتله ، فجهاز من عنده عبيد أسودين و قال لهما : إذا كان الليلة القلانية فكونا بالجبل المقطم ، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في السجوم ، و ليس معه إلا ركباني وصبي^{١٥}

- (١) في الأصل: بتحقيق . و الكلمة مصححة بنفس القلم إلى تحريق .
 (٢) قراءة الاسم هنا أشكلت فالكلمة غير منقوطة و جازء قراءتها « احسان » أو « احسان » أو « اختان » و كل هذه القراءات لا تدل على من يمكن متابعتها بين مؤرخى الدولة الفاطمية فتركنا المكان بياضا .
 (٣-٣) في الأصل: سب الملوك . و هو تحريف لاسم أخت الحاكم بأمر الله ، و قصتها معروفة و كذلك اسمها .

فاقتلاه واقتلاه معه ، و اتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : إن في هذه الليلة على قطعاً ، وإن نجوت منه عمرت أكثر من ثمانين سنة ، ومع هذا فانقلني إليك حواصلي ، فاني أخاف ما أخاف من أخق . فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديقه قريب ٥ من ثلاثمائة ألف دينار و جواهر آخر . فقالت له أمه : إذا كان الأمر كما تقول ، فارحني و لا تركب في ليلتك هذه إلى موضع . فكانت من كاشفه ٢ أن يدور حول الفصر كل ليلة . فدار ثم عاد فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، وقال : إن لم أركب الليلة فأمنت نفسي ، فركب فرسا فصعبه صبي و الركابي ، وصعد إلى الجبل المقطم ، فاستقبله ذلك ١٠ العبدان ، فأنزلاه عن مركوبه و قطعاً يديه ٣ و رجله و بقرا بطنه و أتيا به مولاهما الأمير ابن دواس ، فحمله إلى أخته ، فدفتته في مجلس دارها . و بايع بعده أبا الحسن على ولقبه بالظاهر . و لما بنى الحاكم الجامع المنسوب إليه بالقاهرة ، بنى ٤ فيه دار العلم ، و أجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين من بنائها أهدمها ، و قتل خلقا كثيرا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين ١٥ و أهل الديانة ، و كان يأمر بأن يكتب على حيطان المساجد السب للصحابة ، ثم يأمر بعد مدة بمحوها . و كان يأمر بجمع الأعتاب توضع (١) في الأصل : قطع .

(٢) كذا في الأصل كما أمكننا قراءتها مصححة و مطبوسة جزئيا ، و تركيب الجملة كما هو في الأصل غير محكم و لكن المدلول واضح على كل حال .

(٣) في الأصل : يده .

(٤) في الأصل : بنا .

على شاطئ النيل و تداس بالبقر فيسيل ماؤها فيه . و كان يمنع الناس من أكل الملوخية ١ و لحوم البقر ١ . و كانت أحكامه متناقضة ، يأمر بالشيء ثم يمنع منه . و كان يأمر بهدم الكنائس التي لليهود و النصارى فتهدم ، ثم يأمر بعد مدة ببنائها فبنى ٢ . و له سير غير مرضية لو استقصيتها لرأيت العجائب . منها أنه قال لكتّابه : كم ادّعى لنا الإلهية في دقتك من رجل ؟ ٥ قال ستة عشر ألف نفر . [بن ١٦٣ : الف] و سلط على أهل مصر عبيده ، فصاروا ٣ يؤذونهم و يهجمون ٣ (على^٤) دورهم حتى اجتمعوا و قالوا له : إن كان أمير المؤمنين (يأمر^٥) بالرحيل من مصر ارتحلنا ، و وطئ عبد من عبيده امرأة رجل من أكابر أهل مصر غصبا ، فقتلت نفسها من فضيحتها من زوجها و أهلها . و كان جماعة من أهل مصر عملوا صورة امرأة من ١٠ أقفاص ، و يزروها بازار ، و نقبوها بنقاب ، يدها قصة كأنها متظلة ، و أوقفوها على طريق ممره ، فلما اجتاز بها قال : آتوني بقصة هذه المرأة . فلما فتحها رأى ما فيها مما سوّد وجهه من ظله و شتمه و لعنه . ففحص عن المرأة ، فإذا هي أقفاص صورت ، فلم أن أهل مصر عملوها . فلذلك سلط عبيده عليهم . و كل ما شكّا^٦ أهل مصر له يقول : ما أمرتهم ١٥

(١-١) مكررة بالأصل .

(٢) في الأصل : فبنا .

(٣-٣) في الأصل : يؤذوهم و يهجموا .

(٤) ساقطة من الأصل و تكتمل الجملة بذكرها .

(٥) في الأصل : شكى .

بشيء مما ذكرتموه . فلما بلغهم قتله كما تقدم ذكره ، فرح الفرح الكامل بذلك . وكانت خلافته خمسة وعشرين سنة .

ولما ولى ولده الظاهر لإعزاز دين الله ، أقام مدة ومات ، فولى بعده المستنصر^١ لدين الله سنة سبع وستين ، فأقام في الملك ستين سنة . وعمر وزيره الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش جامعاً بالإسكندرية بالقرب من سوق العطارين . وكان بدر الجمالي مملوكاً أرمنياً رباه جمال الدولة ابن عمار . وكان سفاحاً للدماء غير مراقب للعواقب . ثم إنه مات على فراشه غير قتيل . وكان ولد^٢ الأفضل بن بدر الجمالي وزيراً للمستعلي على الديار المصرية وهو الملقب تاج الملك . فحصل له من الأموال ١٠ والذخائر ما لم يسمع بمثله . قيل إنه كان له بقصره عشرة^٣ مجالس ، في كل مجلس عشرة^٤ مسامير من ذهب ، زنة كل مسمار مائة مثقال ، يرسم تعليق عمامته وبقبعه . وكان عنده^٥ صندوقان ملآنان^٦ أبر ذهب يرسم عصائب حريمه وجواريه . وكان^٧ من جملة غلاله من يبيع ابن ماشيته في كل يوم عشرة آلاف درهم . وكان له من الأموال ما لا تحصى ١٥ الأقلام . وكان حسن الرأي ، فحل التدبير ، ولم يكن له قصد في سبك الدم . فقتلته طائفة من الإسماعيلية الملحدة . قال ابن الهيثارية في كتابه المعروف

(١) خلافته ٤١١ - ٤٢٧ = ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م .

(٢) خلافته ٤٢٧ - ٤٨٧ = ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م .

(٣) في الأصل : ولده . وهو خطأ قلبي واضح .

(٤) في الأصل : عشر .

(٥-٦) في الأصل : صندوقين ملأين . (٦) في الأصل : كانت .

بالصادح و الباغم و الحازم و العازم و الناسك و الفاتك في بدر الجمالى
 و الأفضل ولده : كان بمصر بدر له عليها الأمر بقتل كل ساعة من أهلها
 جماعة و يشرب الدماء حتى يخال ما أصلحها بسيفه و جوره و حيفه جزاء
 كل فعل لديه سوء القتل لما عصاه ولده ، و بان منه نكده خنقه يسده
 ثم رمى بحسده . ثم غزا .. ١٠ حماته ، فحين قيد الأسرى قال : اقتلوهم ٥
 صبرا عشرون ألفا كانوا حتى جرى الميدان في النيل من دمائهم ، و لج
 في إفنائهم و هو على ظهر الفرس كضيغم إذا أفرس . و مات حتف
 أنفه لم يعتسف بعسفه . و التاج تاج الملك كان قليل الفتك حرا قليل
 النفس كملك في القدس مهذب الشمايل ، مقدس الخصائل ، موطؤ الأكتاف ،
 ليس بنى اعتساف ، ما سل قط سيفا و لا استجاز حتما ، مهذب السيرة ١٠
 أعدل و آل سيرة ، لا يعرف القساوة ، ليس له تفرق في المام من شرطة
 الحجام ، يرحم من يقصد لشيء ، لا يقصد برقعه ٣٠٠٠٠ و قتل المسكين
 ، أيما قتل قتل فصل منه ما وصل ، يعلم اللبيب أن القضاء عجيب ، و أن
 للقصاص يوما [ن ١٦٣ : ب] يسوء العاصي ، و أمر هذى الدار للاعتبار
 جارة ، ليس له جزاء لكنه ابتلاء .

١٥

- (١) مكان هذا البياض بالأصل كلمتان أو ثلاثة يصعب استيضاحها في سياق
 العبارة ، و من الجائز قراءتها : ليرائه إذ ظن . - و بالكلام في هذا القسم ركابة
 في التركيب و نغموض في المعنى .
 (٢) في الأصل : ليست .
 (٣) هنا أيضا كلمة لا تقرأ تركنا مكانها بياضا و السياق مفهوم .
 (٤) في الأصل : جارى .

والأفضل لهذا هو الذي بنى الجامع بالإسكندرية ، فصار بها جامعان ١
جامع غربى وجامع شرقى ، و الغربى هو العتيق ، و كان موضعه دير
للروم ، فزاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الآتى ذكره فيه
زيادة كبيرة . و أهل الإسكندرية يحبون السعى إليه و الصلاة فيه .
هـ و الجامع الشرقى هو الجديد ، و هو القريب من سوق العطارين ، و كان
الفراغ من عمارة بدر الجمالى له فى سنة ست و سبعين و أربعمائة ،
و هو المعروف بالإسكندرية بالجامع الجيوشى ، و كان بانيه المذكور من
الشيعة الذين يقولون فى أذانهم حى على خير العمل ، فدام ذلك فى
الأذان بالجامع المذكور إلى أن انقرضت دولة العبيدين الشيعة ،
١٠ و أقبلت دولة السنين ، فأبطلوا منه ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم ،
ثم بطلت الخطبة و الجمعة منه و استمرت بالجامع الغربى مدة سنين .
فلم تزل كذلك إلى أن ولى قضاء الإسكندرية نجر الدين أحمد بن مسكين
الشافعى عوضا عن المالكية لأمور يطول شرحها ، و ذلك فى دولة
السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، فأقام به الخطبة و الجمعة
١٥ فاستمرت به إلى الآن .

وفى معنى ما كانت الشيعة تقول فى أذانهم من قولهم حى على
خير العمل نظم الشيخ الفاضل بهاء الدين عبد الله بن تاج الدين محمد
الدماينى فى شاب جميل رافضى أحيانا و هى :
ما سَلَّ سيف لحظة إلا قتل و طرفه أنفذ من وقع الأسل

(١) فى الأصل : جامعين .

- فارس حسن لا يبالى أن سطا بلحظه في دهره بمن حمل
قلت وقد فرق حاجباه لي ما أضعف القوس و أقوى البطل
مذهب الرفض فما أحسبه ينفر من حى على خير العمل
و في ربيع الاول من سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة ولى معين الدين
محمد ابن الشيخ بهاء الدين عبدالله المذكور نظر الإسكندرية ، فشرع ٥
في ترميم الجامع الغربى بها فرمه و جدد ياضه ، فشكر على ذلك و صار له
به تذكار على عمر الدهر بما نقش على الرخامة التى فيها تاريخ ذلك
واسمه أيضا بأعلى بابه الشرقى و القبلى من أبواب الجامع ، و كانت
الرخامة مزخرفة بالذهب : اللازورد . تم^١ فى سنة ست و سبعين
و سبعمائة ، و سياتى سبب قلعها و يياض مكانها إن شاء الله تعالى . ١٠
ولما كان فى وقت العصر من يوم الثلاثاء الحادى عشر من ذى
القعدة سنة اثنتين و سبعين و سبعمائة سقط عمود من الجامع الشرقى
فتكسر قطعاً ، و لم يحصر بوقوعه لأحد ضرر . و كان ناظره إذ ذاك
قاضى القضاة كمال الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين ابن قاضى القضاة
شمس الدين سبط النى^٢ ، فقال الشيخ بهاء الدين عبيد الله والد الناظر ١٥
المذكور فى تجديد والده معين الدين محمد فى يياض الجامع الغربى و سقوط
العمود من الجامع الشرقى :

بين ٣٠٠٠٠ هما الجامع الشرقى صنع محمد

بجامعنا الغربى لما تضرعنا

- (١) فى الأصل قراءة الكلمة أقرب إلى « تم » و لكن السياق يقتضى « تم » .
(٢) كذا ظهرت بالأصل و لو أنها مشكوكة فى قراءتها .
(٣) كلمة أو بعض كلمة مطموسة .

تميز غيظا واستشاط تنمرا

وخر 'عمود غيره' فتقطعا

فقلع قاضى القضاة كمال الدين عمودا من الجانب البحرى من الجامع

المذكور ووضعه مكان العمود الساقط، وأخذ عمودا من فندق الموز

ه الذى بشارع المرجانيين المنهدم [بن ١٦٤ : الف] بعمل الفرنج حين

الوقعة ووضعه مكان العمود بسرعة . ثم أن الشيخ الفاضل شهاب الدين

أحمد سليل الشيخ الصالح أبى العباس أحمد الشهير بالشاطر الدمنهورى

لما بلغه ٣ البيتان المذكوران ٣ نظم ثلاثة أبيات ردا على قائلها فقال :

أنزّه بيت الله عن قول من هجا لجامعنا الشرقى تدعدا

١٠ أيزعم جملا أنه اغتاظ إذ رأى أخاه بأبواب البياض تلبعا

وحاشا من غيظ به غير أنه من الذكر أضفى خاشعا متصدعا

قلبا وقف الشيخ بهاء الدين عبد الله عليها أجابه بأبيات وهى :

أضحك أم يبكى من الحزن جامع به الدين و الذكر المبين تجمعما

و لم لا نبكيه و نبكى تأسفا و صوّت فيه البوم جهرا و رجعا

(١ - ١) فى الأصل تصحيح جائز أن يكون بنفس القلم دون شطب : عموده

غيظا - و الغالب أن الكلمة الثانية « غيظا » لكن الوزن يقتضى استعمال الأصل

الغير المصحح

(٢) وربما كانت الكلمة « الموزة » .

(٣ - ٣) فى الأصل : البيتين المذكورين - بدون نقط .

و عمه جيش البلاد و اميره ١ مداد الدهر حزنا بالسواد تبرقعا
تهدم منه بعضه فجميه على الكل يكي حسرة و تفجعا
فمن يك ٣ هذا وصفه و صفاته أفرح أم يدي أسي و توجعا
و لم أتخذ عجزا سوى أن مقصدي أذكر جهدي أو أصادف موقعا
و قصدي به و الله يعلم أني أريد به خيرا و صاحبه معا
فكيف و إن باعتذارك عاطئا يخفّض جهلا حاله الله يرحمها
و كيف به و الأفضلية فرقت مكانيهما شخصا و ذاتا و موضعا
فأنت بنا تبدي و عيشك عالم و ذلك يا منقذي بعلم تشيما
و أن لك الذكرى و لو شاء مقولي لشرط أوصال العريض و قطعاه
و لكن تقوى الله عن ذا تصدني و شية إيماني و راعيت مارعا ١٠
و حسبك أن تثق عنائك مقلعا و إلا فاقني عنك عنقاء و أجزعا
و حسبك تركي أو أصادف مقتلا و إن ليس للانسان إلا ما سعا
قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما وقفت على الآيات الأولى و الثانية نظمت

(١) اقرأ الكلمة « و ميره » يستقيم بها ميزان الشعر .

(٢) في الأصل : مد .

(٣) في الأصل : يكن .

(٤) في الأصل : و بضعا . - و لا بد أن تكون الكلمة « و قطعاه » لانسجامها
مع كلمة « لشرط » في نفس البيت و هي لفظة من العريب المصري الدارج
و تحمل نفس المعنى الذي تؤديه لفظة « و قطعاه » و الآيات في مجموعها من نوع
المنظرة و الأدب الشعبي السكندري في القرن الرابع عشر الميلادي .

أياتا في الجامعين المذكورين ساويت بينهما في الأفضلية والعمارة
وهي :

رأى الجامع الشرقى ترميم جامع بغربى ثغر باليباض تلقعا
فسر له الشرقى عند سماعه لذاك فأضحى غاشعا متصدعا
ه فأكرم به من خشية ومرة لحسن صنيع من معين به سعا
لفرده حتى لقد صار روضة لكل رفيع القدر زال تورعا
وسر به الغربى عند إقامة سه لعمود بالعمارة أسرعا
فسر جميعا بالعمارة فيها فطوبى لمن بالجامعين تركعا
فيرجا له الغفران من فضل ربه ليبلغ بالغفران بالخلد موضعا
١٠ لسان التويرى بالمديح مقصر بما قاله في الجامعين وأودعا
وفي المحرم سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة رقم الجامع الشرقى وكسى
بالياض فقلت فه :

غدا الجامع الشرقى بالحس مبدا له بهجة يصبوا له كل من سعا
يباض له كالياسمين تخاله كدّر على حيطانه مترصعا
١٥ حوى روضة خضراء في وسط محته فأصبح ذاك الرّوض ريانا مترعا
تمايل في يبض الثياب وحسنها وخير الثياب اليبض لونا منصعا
رأى الجامع الغربى حس يياضه فصار الناس حسنها معا
سور' على الغربى (عا) د' ضياؤه ونور على الشرقى صاء مشعشعا

(١) في الأصل : صور .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا .

لسان النورى^١ بالمدائح فيها كشد وكافور ومسك تضوعا

[بن ١٦٤ : ب] - انتهى .

ثم ان معين الدين الناظر المتقدم ذكره أقام باظرا بالإسكندرية نحو سنة
و عزل منها ، فأقام مدة طالا ، فسعى بالقاهرة أن يكون الجامع الغربى
تحت نظره ، فحسب تجديده لعبارة عوضا عن عزله عن نظارته و عوضا
عن ناظره موفق الدين العوفى الذى هو من ذرية عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان موفق الدين
المذكور هو الذى جدوده لهم النظر خلعا عن سلف على الجامع المذكور .
فلما بلغ موفق الدين السعى عليه فى نظر الجامع توجه إلى القاهرة و قدم
للسلطان الملك الأشرف شعبان تواقيع الملوك السالفة بتواتر النظر له .
و لاحداده ، فرسم السلطان الملك الأشرف شعبان باستمراره على جارى
عادته من غير معارض له و لا منازع . فلما قدم إلى الإسكندرية قلع
الرخامة التى نقش عليها معين الدين الدمامنى الناظر كان اسمه بها ، فقلعها
من أعلا الباب و بيّض مكان الرخامة المذكورة بعد البناء حتى لم يصر لها
أثر ، وكانت هذه الرخامة مزخرفة بورق الذهب و اللازورد أيضا ،
ففسخ حكمها و ذهب رسمها ، و استمر موفق الدين العوفى على جارى عادته
فى النظر على الجامع المذكور .

و قد تغلغل بناء الكلام و تشعب إلى أن خرجنا عما كنا فيه من أخبار

(١) من الأمثلة المعدودة التى يذكر المؤلف اسمه فيها بصلب الكتاب . وهذا
طبعا مثل من شعره و لا يعتبر من الأدب الرفيع ، و لكنه من أمثلة الأدب
السكندرى بهذا العصر .

العبيدين وهم أربعة عشر خليفة ، فانقرضت دولتهم بوفاة العاضد ،
وذلك في سنة ست وستين وخمسة ، و أول دولتهم بمصر سنة ثمان وخمسين
وثلاثمائة ٢ ، فكان ملكهم بمصر مائتين وسبعين سنة ، فصاروا كما قال
الشاعر :

٥ وأناس تعد الدهر بهم زالت الأيام عنهم والليالي
وكان الناس في قلق شديد في زمن دولتهم ، وقتل المعز في دولته الشيخ
الصالح أبا بكر النابلسي ، وكان بلغه عنه أنه قال : لو كان معي عشرة أسهم
قاتلت الروم بتسعة و قاتلت لعبيدين بواحد . فأحضره وقال له : أنت
القائل كذا وكذا . فقال : لم أقل ذلك ، ولكني قلت لو كان معي
١٠ عشرة أسهم قاتلت الروم بواحد و قاتلت العبيدين بتسعة . قال : ولم ؟
قال : لأنكم عثرتم الرعية وقتلتم الصالحين . فأمر به فضرب بالسياط ضربا
شديدا ، ثم أمر به فسلخ وهو حي . وذلك أنه جئ يهودي ، فجعل
اليهودي يسلخه وأبو بكر يقرأ القرآن . قال اليهودي فأحذى راقه .
فلما بلغت تلقاء قلبه طعنت بالسكين فمات تخفيعا له من عذاب السلخ .
١٥ فقيل أبو بكر الشهيد ، واشتهر بالشهيد وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل
نابلس إلى الآن . فينبغي للإنسان أن لا يتعرض لذي سلطان بالكلام

(١) في الأصل فانقرت . وهو خطأ قلبي واضح .

(٢) التاريخ المضبوط لحكم العاطميين في مصر يوم دخول المعز بها سنة ٣٦٢ هـ =

٩٧٣ م و سبقه دخول جوهر سنة ٣٥٦ هـ = ٩٦٩ م . أما نهاية الدولة فكان في

سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م .

الحاد وخاصة المغاربة فانهم يتكفون^١ من الكلام الفاضح ، فيكون قد ألقى نفسه إلى الهلاك . قال الله تعالى : ” ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة “ .
وفي المثل السائر : اللسان سيف الإنسان ، إن حسن الضرب به نجا ، وإلا مات موت الفجأ - انتهى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وقفت على بعض التواريخ فرأيت فيه ٥ نسخة محضر كتب في جملة محاضر يتضمن الطعن والقدح في نسب الخلفاء العبيديين الذين يزعمون أنهم فاطميون وليسوا كذلك بل نسبهم إلى ديصان بن سعيد الخرمي في الدين ، وكتب في ذلك [ب : ١٦٥ : الف] جماعة من العلماء و الفضلة و الفقهاء و الأشراف و الأماثل و المعدلين و الصالحين . و سأذكر نص المحضر و هـ : شهدوا شهوده الواضعون ١٠ خطوطهم آخره ، شهدوا جميعا أن الناجم بمصر و هو المنصور بن زار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والدمار والحزى والنكال والاستئصال ، ابن العزيز بن المعز معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله ، فإنه لما صار إلى المغرب تسمى بعبيد الله و تلقب بالمهدي ، و من تقدم من سلفه من الأراجس و الأنجاس عليه و عليهم لعنة الله و لعنة اللاعنين ، ١٥ إذ هم خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ، و لا يتعلقون منه بسبب ، و أنه مزّاه عن باطلهم وزورهم ، و أنه لا يعلمون أن أحدا من أهل بيوتات العلاليين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعاء . و قد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين و في ٣٠٠٠ وله (١) في الأصل : يتشكوا . (٢) قرآن كريم ٢ : ١٩٥ .

(٣) هنا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام فتركنا بياضا للدلالة عليه .

أمرهم بالمغرب ينتشر انتشار المنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب
وهم إلى تصديقهم ، و أن هذا الناجم بمصر هو و سلفه دار قساق فجار
و ملحدون و زائدة معطلون و للاسلام جاحدون و لمذهب الثويصة
و المجوسية معتقدون ، قد عطلوا الحدود و أباحوا الفروج و أحلوا الخمر
و سكبوا الدماء و سبوا الأنبياء و ادعوا الربوبية ، و ذلك أن الحاكم
العبيدي قال لكاتبه : كم ادعى لنا الآن الربوبية من رجل في حسابك ؟ فقال :
سته عشر ألف رجل - انتهى .

نعود إلى ذكر المعز جد الحاكم ، فيل إن المعز معد لما دخل مصر ،
و جلس على سرير الملك قال له الشريف طباطبا : يعرض علينا الملك
١٠ نسيبه . فلما قال له ذلك كشف عن دنائير في منديل و جرد عن بعض
سيفه - و كان أعدهما لذلك لأنه علم أنهم لا يد أن يسألوه عن نسيبه .
فقال المعز^١ في جوابه : هذا حسي - وأشار إلى الذهب ، و قال :
هذا نسي - وأشار إلى السيف ، فرضى فله هذا و أشار إلى الذهب ،
و من سخط فله هذا ، أشار إلى سيف . فلما قال المعز ذلك قال جميع
١٥ الحاضرين بمجلسه : سمعنا و أطعنا رغبة و رهبة . قال بعضهم في المعز علقوا
صارما ، و قالوا صدقنا ، فأجنا معا سمعنا و أطعنا . فهذا يدل على كذبهم
في أنسابهم الذين ادعوا ، إذ ليس لدعواهم صحة في قولهم نحن^٢ عبيديون
فاطيون^٢ .

(١) في الأصل : الشريف . و هو خطأ واضح صححناه في النص .

(٢-٢) في الأصل : عبيدين اطمين .

[الدولة الأيوبية]

ولما انقرضت دولتهم بموت العاضد، تسلط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، فأمر بالدعاء في الخطبة لـ بنى العباس كما كانت أولا، وخطب الخليفة المستضى^١ بنور الله أحد خلفاء بنى العباس، وقطع من الأذان حتى على خير العمل من الديار المصرية كلها. وصنف الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتابا سماه السراج المضيء في خلافة المستضى. وصار السلطان صلاح الدين يوسف^٢ نائبا له بمصر على ما كانت عليه خلفاء بنى العباس الأول. وهرب نزار العاضد و الأمير كنز الدولة إلى ناحية أسوان خوفا من السلطان، فجهز إليهما جيشا مقدمه أبو بكر القائم بعده فقتل ١٠ نزار بن العاضد و الأمير كنز الدولة، وصارت ذرية كنز الدولة إلى الآن بأسوان يعرفون بأولاد كنز الدولة. ثم أن السلطان صلاح الدين يوسف أقطع الفيوم لأخيه تقي الدين بن أيوب، فسكن به و عمر على خليج المنهى دوره، وهو الخليج المنسوب حفره لـ بنى الله يوسف الصديق عليه السلام. فأقام بالفيوم ستين ثم نقله السلطان من الفيوم إلى مدينة ١٥ حماة، فوقف داره الكبيرة مدرسة على طائفة الفقهاء المالكية. وبنائها على رتبة ديار الاسكندرية بمجلس مطوى الأبواب [بن ١٦٥ : ب] يادهنج

(١) خلافته ببغداد ٥٦٦ - ٥٧٥ = ١١٧٠ - ١١٨٠ م

(٢) سلطنته بمصر ٥٦٤ - ٥٨٩ = ١١٦٩ - ١١٩٣ م

في صدره يلقي الهواء فيه و أكام بجانب المجلس و قاعة و صفتين متقابلتين و بيت عرضي في صدره شبايك مشرقة على خليج المنهى ، و جعل حرمية الدار المذكورة (و) قفا ' على طائفة فقهاء الشافعية ، و وقف دارا أخرى مجاورة لها على طائفة فقهاء الصوفية ، و أقام بها ' محارب و تركها ٣ على ذلك على بنائها الأول ، و عراب الدار الكبيرة بصدر مجلسها . و وقف على المدرستين و الخاقاه و قوفا كثيرة من أملاك ' تجار أراضى ' تزرع ، و مقاسم مياه تقسم على تلك الأراضى الموقوفة تسقيها ، و هى مستمرة جارية عليها إلى الآن ، جزاه الله تعالى عن فعله خيرا .

[المؤلف و ظفر القبرسى بالاسكندرية]

١٠ قال المؤلف رحمه الله تعالى : و لما ظفر القبرسى بالإسكندرية في آخر المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ، و شرد غالب أهلها منها ، خرجت بعيالى معهم ، فقصدت بلدة النورية ' بالصعيد الأدنى من مصر ، إذ ذاك مدرس المدرسة المالكية بمدينة الفيوم الشيخ الإمام العالم

(١) في الأصل : قفا - و واضح خطأها القلمى لفظة « وقفا » .

(٢) في الأصل : بهم .

(٣) في الأصل : و تركهم .

(٤) في الأصل : بنائهم .

(٥-٥) يجوز قراءة الكلمتين : تجا و أراضى - و لا تفيد معنى ، و القراءة الأخرى تفيد معنى أخذنا به رغم غرابته .

(٦) من القرى البوصيرية بالصعيد الأوسط - ذكرها ابن مئتى (كتاب قوانين الدواوين) ص ١٠٣ و قد نسب إليها المؤلف .

شرف الدين أبو حفص عمر ابن الشيخ الإمام العالم تاج المدرس بها قبله
ابن الشيخ الإمام العالم شرف الدين الشهير بابن سعيد الناس ، فصار متشوقا
لرؤيتي ، و ذلك للصحة التي بيني وبينه يلد النورية من المكتب و بالاشتغال
بالقاهرة بالمدرسة المنصورية لآخره بما اتفق بالإسكندرية ، قدحته
بأبيات ذكرت فيها ما اتفق بها ، و سرت بها إليه فسلمت عليه ، فسر بقدمي ٥
و ورودي عليه ، فقرأتها بين يديه بمجلسه العام . فتعجب من ذلك ، تألم
لما جرى للسلمين . و سأذكر هنا بعض تلك الآيات : هي :

يا سيد العلماء لا يخفك ما	قد شاع في و علا و في الديماس
بمصية نزلت بأهل مدينة	محروسة بالجيش و الاحراس
نهبت بأيدي كل عالج كافر	متعطّل متجسم خناس ١٠
من قبرس جاء بسفن خلتها	بقلوعها تزهو على القرطاس
أغنى بها إسكندرية أنها	بلد العلوم وقاعة الإيناس
أتت الفرنج إلى محل ديارها	بالمرهفات تجلبوا ١ بلباس
من أعين الزرد النفيد تسربلوا	و تنكبوا بوقارة الأقواس
و البيض فوق رؤسهم مصقولة	موضوعة كالوزن بالقسطاس ١٥
لاقتهم جمع المغاربة التي	من تونس أو ضيغم مكناسي
رمت الفرنج عليهم فتراجعوا	عهم قفروا مع رعاك الناس
فسعى العدو وراءهم بسلاحه	ضربوا الحسوم و سفقوا للراس
قفروا لعلسة جمعهم ولوانهم	جمعا كبيرا من مدينة فاس

(١) و جائز أن تكون : تجلبوا .

كانوا يحوا كل^١ الفرنج بأسرم بحصيدهم لجميعهم و الراس
 قصدوا المدينة أحرقوا بابا لها يدعا ياب الورد بين الناس
 بابا صغير القد منه بضايعا تباع^٢ في الديوان بالأكياس
 هجموا من الباب المعين ذكره دخلوا و كروا كرة في الناس
 ه فسمعوا ورا من مر عند دخولهم سفكوا الدماء بكل قلب قاس
 أسروا الأسارى قبل نهب ديارها جالوا كجولة لعبة البرجاس
 شردت أناس مسلمون تشتتوا من بعد عز في بلاد الناس
 حيرى تراهم في البلاد بذلة من كثرة الإعدام والإفلاس
 فشردت معهم بالعيال مشتتة ولهان من دعر و جرى^٣ الناس
 ١٠ وتركت كتبى والأثاث جميعه حيران أضرب أخسى أسداسى
 بلد النورية (قد^٤) قصدت بعلقى قدما بها وطنى و كناسى^٥
 وتشوقت نفسى لرؤية سيد يدعا جهارا بابن سيد الناس
 ومنها فى المدح :

يا من غدا بمدينة الفيوم فى عز جليل شائع فى الناس

- (١) فى الأصل جميع . و لفظة « كل » تساويها و يتزن البيت بها فأبدلتاها .
- (٢) فى الأصل : تنباع . وهى اللفظة المعروفة بين الشعب فى اللهجة المصرية الدارجة .
- (٣) فى الأصل : جرى - بدون واو العطف وهى لازمة للسياق ووزن البيت .
- (٤) غير موجودة بالأصل ، وزيادتها يتزن الشطر الأول من هذا البيت .
- (٥) الشطر الثانى من البيت مكسور ، وهو كذلك بالأصل ، و جائز أن تكون كلمة « كناسى » بالشين بدل السين لاستقامة المعنى وليس القافية .

يا من لدرس المالكية شاده بفضائل مأسوسة بأساس
 ياسيدا ياما جدا بمدينة قد أسست فيما مضى بأساس
 من حين وضع حجارة اللاهون بالمنهى^١ كالجليل الشديد الراسي
 ان ابن قاسم مخلصالك بالدعا يرجو الإجابة من إله الناس
 / لازلت محروس الجناب بغضة في نعمة مشوتة الأغراس^٥ [بن ١٦٦: الف]
 ما رجعت في الأيك شمع حمامة وتجملت^٢ من ريشها بلباس
 والله يتمتع من فوايدك الورى حتى يصيروا من حلاك كؤاسي^٣

[ذكر الصوفية]

نعود - ولما حبس تقي الدين بن أيوب مدرسته و خاتقته على العلماء
 و الصوفية؛ ابتغا. مرضاة^٤ الله ، حصل له بذلك الأجر الكبير عند الله ، لأن ١٠
 المدارس بنيت للاشتغال بالعلوم الشرعية ، لأنها أركان من المعادن
 الجوهر . قال بعضهم : العلم صحبته مهابة و جلالة ، و العلم من كنوز
 الجوهر . و قال : العلم بحر و الفهم جواهره ، و الفكر غواصه ، و عن
 الأنبياء مأخذه ، و العقل مدركه ، و اللسان ترجمانه ، و أهله تجاره ، و الله

(١) لا بد من تشديد ياء « بالمنهى » لضبط ميزان البيت .

(٢) في الأصل : تجملت .

(٣) في الأصل « كؤاس » و يقتضى وزن الشعر جعلها « كؤاسي » .

(٤) في الأصل : و الصوفة .

(٥) في الأصل : مرضات .

(٦) في الأصل : و أهل . به نسخناها « أهله » أى أهل العلم .

المكافئ* عليه في الدنيا والآخرة . وكذلك الخوانق بنيت للتجرد عما سوى الله ، المشتغل بتزكية نفسه بالأحلاق الجميلة ، العاكف على عبادة الله المشتغل بالآخرة عن الدنيا ، المجرد عن الأسباب ، المتزني^١ بزي الصوفية ، الذي قد ترك الدنيا ، و لبس المرقع و تزيا بزي لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠٠٠ آدم^٢ عليه السلام لما تطايرت عنه في الجنة أثوابه ، و حلته و تاجه و جلبابه ، و طال منه^٣ مدته* و انتحابه ، عدل هو و حواء^٤ بالمسكنة و الدلة ، و هما تحت هون المعصية و الزلة ، إلى ورق الشجر فقد رآه على ما تناسب القدر . و ألقيا طولاً لعرض و عرضاً لطول ، و خصفا كلاهما ذلك الورق بعضه إلى بعض تليماً و ترقيعاً ، و سترابه عورتهم . و إن نوحاً عليه السلام كان له قيص مطرف الديل ، و كان الكفار يقصدون كعبه بالأحجار فيتمزق فيزيله و يحمل عرضه . و إن متعباً عليه السلام كان يلدس قيصاً من جلود ، و كان اسمه في زمانه الرهط . فقال في قصته "و لو لا رهطك

(١) في الأصل : المتربا .

(٢) كلمة مطموسة بالأصل و المقروء : وفي .

(٣) الكلمة مطموسة حزئياً .

(٤) حائر قراءة الكلمة « عه » .

(٥) كذا في الأصل و لعل الكلمة « عديده » من السياق .

(٦) في الأصل : و حوى .

لرجلك وما انت علينا بعزير^١ . وإن إبراهيم عليه السلام اتخذ له جبة و طوقها حيا من أديم . وإن يحيى بن زكريا عليهما^٢ السلام كان لباسه مدة حياته مرقعة ، و كان أبوه زكريا يأتيه بأثواب غيرها فلا يلبسها ، فلما علم قصده تركه . و إن المسيح عليه السلام كان يلبس الصوف . و يركب الحمار ، و يجعل كلتا رجله إلى جانب واحد ركوب المتدللين . ٥ و كان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم أزهد الناس في الدنيا مع القدرة على تحصيلها ، و لكن نظر إليها بعين الصيرة ، فلم أنها حقيرة . و الإجماع على أن أبا بكر رضى الله عنه تحلل بالعباء ، و أن عمر رضى الله تعالى عنه كانت عليه مرقعة فيها أربع عشرة رقعة و سأذكرها حكاية اتفقت له في أيام الجاهلية . روى أنه رضى الله عنه ٣ مضى في أيام الجاهلية ١٠ إلى دمشق في تجار قریش ، فلما خرجوا من دمشق تحلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو باللد إذا بطريق أخذ حنقه ، وذهب عمر ينارعه فلم يقدر ، فأخذه البطريق و أدخله دارا فيها تراب . بجرة أو فأس و رنبيل فقال له : حوّل هذا من هنا إلى هنا . و أغلق عليه الباب و اصرف ، فلم يجرى إلى نصف النهار . قال عمر و حلست مفكرا و لم أفعل بما قال لى شيئا . ١٥ فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ و ضربني في رأسى يده . قال : فأخذت الفأس و ضربته به فقتلته و خرجت على وجهى ، فجئت دير الراهب فجلست عنده

(١) قرآن كريم ١١ : ٩١ .

(٢) في الأصل : عليهم .

(٣) في الأصل ريد هنا في الجملة لفظة « فيما » و حذفها ضرورى لصحة الجملة و انتظام معناها .

فأشرف^١ عليّ فزّل وأدخلني الدّير وأطعمني وسقاني وجعل يحقّق النظر فيّ
وسألني عن أمرى . فقلت : إني أضللت أصحابي ، فقال : إنك لتتظر بعين
خائف . وجعل يتوسّمني ثم قال : لقد علم أهل النصرانية أنّي أعلمهم بكتابهم ،
وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي
٥ كتاب أمان على ديري هذا ؟ فقلت له : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب .
فلم يزل [بن ١٦٦ : ب] بي حتى كتبت له في صحيفة ما طلب مني . فلما
كان وقت الإنصراف أعطاني دابة ، فقال : اركبها ، فاذا وصلت إلى أصحابك
فابعث إليّ بها وحدها ، فانها لا تمر بدير في طريقها إلا أكرموها .
ففعلت ما أمرني به . فلما جاء وولى عمر الخلافة قدم بيت المقدس
١٠ بسبب فتحه . أتاه ذلك الراهب بتلك الصحيفة فأمضاها له واشترط
عليه ضيافة من يمر به من المسلمين وأن يرشده إلى الطريق - انتهى .
نعود - وإن عثمان^٢ رضى الله عنه كان إذا قام لصلاة الليل لبس
مرقعة ويحتم القرآن في ركعة . وإن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى
عنه مشى في بعض طرقاته وعليه قبص جديد ، فعدل إلى بحار فقطع
١٥ كميّه وقال ينسل مع الدهر ، وكتب^٣ [بر ٢١٨ : الف] ' إلى سهل
ابن حنيف فقال : رقت قبصى حتى استحيت من راقعه . وإن عائشة
رضى الله عنها كانت ذات يوم ترقع قميصا لها وتنشد :
البس جديدك إني لأبس خلقى ولا جديد لمن لا يرفع الخلقا

(١) الكلمة مطموسة في الأصل . (٢) في الأصل : عثمان .

(٣) ها ينتهى الجزء الساقط من بر وما أخذناه عن بن .

(٤) من هذه الكلمة يستأنف الكلام في بر و بن على السواء .

وإن أهل الصفة وهم أربعائة نفس منهم عبد الله بن مسعود وأبو هريرة
وسلمان الفارسي وبلال بن حمزة وابن أم مكتوم وغيرهم، كانوا يأوون
إلى صفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم^١. وكان لهم مرقعات
بجلهم، فمن عن^٢ له حاجة إلى ظاهر الصفة لبسها وقضى حاجته وإذا
عاد نزعها. وقد أجمع الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أن لا لبسها ما رآه أحد في مقام الفاسقين، بل هو من الطالبين المختين.
قال الله تعالى: "وبشر المختين"^٣ والاختبات من أوائل مقام الطمانينة.
[بن ١٦٦: ب] ^٤ وينبغي للريد أن يلبس ما يليق به كالأزرق
والبرانس الخشن، ففي الأزرق إشارة إلى القلب سماوى، وفي الخشن حث
على القناعة. واختلف لما سميت الصوفية بهذا الاسم، فذهب قوم إلى
أنهم سموا صوفية نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف
لكونه لبس الأنبياء عليهم السلام. وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال: مر بالصخرة من الرضا سبعون نيا عليهم العبا يؤمون^٥

(١) في هامش بر: عدة أهل الصفة.

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن [١٦٦: ب].

(٣) في بن: عم.

(٤) قرآن كريم ٢٢: ٣٣.

(٥) في بن: أول.

(٦) ابتداء من هنا قسم ساقط من برو وورد في بن [١٦٦: ب إلى ١٦٧: ب]

و يستأنف الكلام في كل من برو بن من «تعود إلى أخبار السلطان صلاح الدين».

(٧) في الأصل: يامون.

البيت الحرام . و قيل إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف و الشعر
و يأكل من^١ و ينبت حيث أمسى . و قال النبی صلی الله عليه و سلم :
ثلاث خصال يحبها الله عز و جل في عباده . من تواضع لله و خشع
قلبه و رضى بالفقر و لبس الدون من الثياب . قيل : يا رسول الله و ما الدون
٥ من الثياب ؟ قال : الصوف . و قال : الحسن البصرى : لقد أدركت سبعين
بدريا كان لباسهم الصوف . و كان اختيارهم لبس الصوف . و قيل سموا
صوفية لأنهم أهل الصف الأول في عالم الأرواح . فقد روى أن الأرواح
كانت في أربع صفوف ، الصف الأول هم الأنبياء و خواص الأولياء ،
و الصف الثاني هم المؤمنون ، و الصف الثالث هم المسلمون ، و الصف الرابع
١٠ هم الكفار و المنافقون . و ورد في الخبر أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام
من ثمانية أشياء ، من طين و من ماء و من شمس و من سحاب و من نور
و من حجر و من بحر و من روح القدس ، فجعل من الطين لحمه ،
و من الحجر عظمه ، و من البحر دمه ، و من السحاب همومه ، و من
النور قلبه ، و من روح القدس إيمانه ، ثم جعل الله تعالى لكل واحدة
١٥ من هذه الخصال الثمانية دولة عند وقع الماء الدافق في الأرحام . فمضى
ذلك أنه إذا وافق الإفضاء دولة الطين جاء الولد أحرق لا عقل له .
و إذا وافق دولة الحجر جاء الولد جهم الوجه فاسق القلب ، و إذا وافق
الإفضاء دولة الشمس جاء الولد صبيح الوجه ، و إذا وافق الإفضاء
[بن ١٦٧ : الف] دولة السحاب جاء الولد طائشا كثير اللوم يسافر من
موضع إلى موضع لا يستقر في مكان أبدا ، و إذا وافق الإفضاء دولة الريح جاء
(١) هـا سقوط واضح من بن رغم استمرار الكلام تركنا فيه بعض بياض .

الولد قويا لا يستطيع عليه لشدته ، و إذا وافق الإفضاء دولة النور جاء
الولد عالما بعيد الغضب ، و إذا وافق الإفضاء دولة القدس جاء الولد
جيذا تقيا ذا دين و أمانة .

و قال ابن عباس إن الله عز وجل . . ١٠ في يوم ثلاثة عساكر .
عسكر من أصلاب الرجال إلى بطون النساء ، و عسكر من بطون النساء ه
إلى دار الدنيا ، و عسكر من دار الدنيا إلى طباق الأرض . قال الشاعر :
رأيت بني الدنيا كوفدين كل ما ترحل وفد حل في إثره وفد
فكل ترجى السير فيها و دونها يروح بذى نعش و يغدو بذى مهد - انتهى
نعود ، و قيل سميت الصوفية بهذا الاسم إلى الصفة التي كانت الفقراء
المهاجرين على رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال الله تعالى في حقهم للفقراء ١٠
الذين أحصروا في سبيل الله هذا ، و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق
اللغوي ، و لكن صحيح من حيث المعنى لأن 'صوفية' ٣ تشاكل حالهم
حال أولئك اكونهم مجتمعين متآلهين مصاحبين لله في الله كأصحاب الصفة
و كانوا نحو من أربعمئة رجل و لم يكن لهم مساكن بالدنيا ولا عشائر ،
جعلوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديما و حديثا في الزوايا ١٥
و الربط ، و كانوا لا يرجعون إلى زرع و لا ضرع . لا إلى تجارة ، و كانوا
يخطبون لخطب . يرضخون النوى بالنهار و بالليل يشتغلون بالعبادة و تعلم
العلم و قراءة القرآن . و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يواسيهم
و يحض الناس على مواساتهم ، و يجلس معهم ، و يأكل معهم ، و فيهم
(١) هنا سقط واضح في النص رغم استمرار العبارة في الأصل فتركنا بيضا
للدلالة عليه . (٢) في الأصل : بذا .

(٣) الكلمة مطموسة بالأصل و لكن قراءتها واضحة من النص و السياق .

نزل قوله تعالى: ^١ "ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون" وجهه "و نزل في أم مكتوم الأعمى: "عبس و نولى" ان جاءه الأعمى ٢" وكان من أهل الصفة. عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أهل الصفة، فرأى قهرم و جهادهم و طيب قلوبهم فقال: ٥ أبشروا يا أصحاب الصفة فن بقى منكم على البعت الذى أنتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائى يوم القيامة ٥ . ولم يكن هذا الاسم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعى الصوفى - وكان فى زمن التابعين . و نقل عن الحسن البصرى أنه قال: رأيت صوفيا فى الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه و قال: معى أربع دوايق يكفينى ما معى ، و الدائق درهم ١٠ و ثلثا* درهم ، فيكون ما معه ستة دراهم و ثلثا* درهم ، وهو يعد نفسه غنيا . و قيل إن الصوفية لما آثروا الذبول و الخمول و التواضع و الانكسار و التخفى و التوارى . كانوا كالخرقة المرمأة ، و الصوفة المرمية التى لا يرغب فيها و لا يلتفت إليها ، فيقال صوفى بالنسبة إلى الصوفة ، كما يقال كوفى بالنسبة إلى الكوفة . و قيل الصوفية كانوا يخدمون الكعبة ، و قيل سموا ١٥ بذلك لأنهم تشكوا تشبك الصوف بما يثبت عليه ، فالصوفى منسوب إلى الصوفية لاشتغالهم بعضهم ببعض . أتى الحسن البصرى يوما فرقد

(١) قرآن كريم ٦: ٥٢ .

(٢) فى الأصل: يريدون ، وهو خطأ .

(٣) قرآن كريم ٨٠: ١ - ٢ .

(٤) فى الأصل: القيمة .

(٥) فى الأصل: و ثلثى .

للتصوف و عليه جبة صوف مرقعة ، فأخذ^١ بأطرافه و قال : يا ابن أم
فريقد ليس التقوى بأكل القيط و لا بلبس العبا ، إنما التقوى بما وقر
في الصدر و صدقة العمل . و قيل في المعنى :

ليس التصوف لبس الصوف تلبسه و لا بكأوك ان غنى المغنونا
و لا صياح و لا رقص و لا طرف و (لا) تغاش^٢ كان قد صار مجنونا^٥
بل التصوف أن تصفو بلا كدر و تتبع الحق و "قرآن و الدينا
و أن تُرى خاشعا مكتئبا على ذنوبك طول الدهر محزونا
[بر ١٦٧ : ب] قال أحمد بن مقابل : كنت مع الشعبي في مسجده في
شهور رمضان و هو يصلي خلف إمام و أنا يحنه قال : فقرأ الإمام
" و لئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك^٣ " قال فزعق الشلي زعقة ، ١٠
قلت طارت روحه معها و هو يرتعد و يقول : مثل هذا يخاطب الأحباب .
و قيل السماع فيه نصيب لكل عضو فواقع إلى العين تبكي ، و ما وقع إلى
اللسان يصيح ، و ما يقع على اليد يمزق الثياب و بلطم الوجه ، و ما يقع
على الرجل يرقص . و قيل أوحى إلى موسى عليه السلام ان قد جعلت
فيك عشرة آلاف سمع حتى أحببتني . و في معناه : ١٥
لا تنساني ، فاذا لقاني ما يلقياني ، حتى يسفنا

(١) الكلمة مطموسة حزئيا .

(٢) في الأصل : و تغاش . - و الظاهر من سياق البيت الأول و ورن الشطر
الثاني وجوب كونها « و لا تغاش » .

(٣) قرآن كريم ١٧ : ٨٦ .

فك المعجم ، فاعزم تفنم وافهم وافهم ، سر المعنا
واسمع مني ، وافهم عسى سرا تنظر ، اذنا اذنا
سافر وحدك ، وابدل جهدك واجعل قصدك ، ذاك المعنا
واحصر عقلك ، واجمع شملك عليك عليك ، يوما تدنا
عبدى عبدى ، احفظ عهدى وافهم قصدى ، فيما يعنا
فارق دارك ، واجهر جارك وارقب نارك ، تبدوا وهما
فارغب واطمع ، واقلب اجمع عليك تسمع ، يوما منا
لا لا تهرب ، مالك يهرب ، هذا المشرب ، أحلا واهما
روح علقت ، لما عتقت ، إذ قد سبقت ، منا الحسنى - انتهى .

[من أخبار صلاح الدين الأيوبي]

١٠

نعود^٢ إلى أخبار السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين
أيوب وخبر بيت المقدس حين أخذ الفرنج له وفتح السلطان صلاح الدين
يوسف المذكور له ونزعه هو وغيره من الحصون التي كانت بأيدي
الفرنج^٣ إن شاء الله تعالى ٣ .

١٥ قال بعض المؤرخين : وفي بضع وتسعين و أربعمائة من الهجرة
النبوية أخذت الإفرنج بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وقتلوا^٤ أزيد

(١) إلى هنا ينتهي هذا القسم الساقط من بر وقد أخذناه عن بن .
(٢) من هنا يبدأ الكلام في بر و بن علي السواء . وفي هامش بر : مطلب ، أخبار
صلاح الدين و بيت المقدس .

(٣-٣) ساقطة من بن .
(٤) في بن [١٦٧ : ب] : بعد أب قتلوا . وفي هامش بر : مطلب ، ولاية
الإفرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٠ .

من سبعين ألف قتيل من^١ المسلمين ، وأخذوا من حول الصخرة^٢ اثنين وأربعين^٣ قنديلا من فضة زنة كل قنديل منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وتَنَوَّر من فضة زنته أربعون^٤ رطلا بالدمشق ، وذلك مائة وستون^٥ رطلا بالمصرى ، وثلاثة وعشرين^٦ قنديلا^٧ من ذهب . وهربت الناس إلى العراق قاصدين الخليفة المستظهر بالله^٨ . فلما سمع أهل بغداد ذلك تباكوا . وكان أبو سعيد الهروى نظم قصيدة فقرئت على المابر ببغداد فعظم بكاء الناس وأمر الخليفة المقهء إلى الخروج ليجرضوا الملوك على الجهاد^٩ ، فساروا فلم يفد ذلك شيئا . وبيت المقدس هو بيت الأنبياء ومهبط الوحي قديما .

حكى^{١٠} أن رجلا من الصوفية بيما هو نائم فى الحرم بالمدينة إذ رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فقال له : اذهب إلى صلاح الدين يوسف

(١) زيد فى بن ايدى .

(٢-٣) فى بر : اثنان وأربعون . وصحتها فى بن كما أوردناه بالنص .

(٣) فى بن : أربعين .

(٤) فى بر : وستين . وصحته فى بن كما أوردناه بالنص .

(٥) فى بن : وعشرين . وفى بر : وثلاثة وعشرون .

(٦) كذا فى بن ، وفى بر : قنديل .

(٧) الخليفة العباسى وخلافة ٤٨٧ - ٥١٢ هـ = ١٠٩٤ - ١١١٨ م .

(٨) ويلاحظ فى هذه المناسبة ان بيت المقدس كانت فى حكم الدولة الفاطمية وقتئذ .

(٩) فى بن : وحكى .

ملك مصر فقل له إن رسول الله صلى [٢١٨ : ب] الله عليه وسلم يقول لك : قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس^١ فانك تفتحه إن شاء الله تعالى ٣ ، و اعله بذلك سرا ، و قل له بأمانة صلاتك على في كل ليلة ألف مرة . قال فذهب الرجل حتى وصل إلى صلاح الدين و قال :
 ه يا مولاي عندي بشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وما هي ؟
 قال : إنه يقول لك قم من وقتك هذا فانزل على بيت المقدس فانك تفتحه^٢
 إن شاء الله تعالى . قال : الحمد لله أعطوه خمسمائة درهم . فقال بعض
 الحاضرين كالمستهزئ : و أنا والله أحب أن أرى مثلها . فقال الرجل
 أما أنا فلا آخذ شيئا ، لكن عندي حديث أقوله . قيل له : ما هو ؟
 ١٠ قال : ما أقوله إلا للسلطان سرا . فأدماه السلطان إليه فقال^٣ : يقول لك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمانة صلاتك عليه في كل ليلة ألف
 مرة . فقرح السلطان بذلك و عرض عليه الذهب^٤ فلم يأخذه . و بعد
 مدة دخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق فرأى الفقير في الجامع ،

(١-١) العبارة ساقطة من بن و هو الأصح لأن الكلام صادر عن الرسول .

(٢) الكلمة مكررة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ستفتحه .

(٥) في بن : وما .

(٦) زيد في بن : له .

(٧) في بن : ذهبا .

فعرفه فصاح به فأتاه ، فقال له : أسألك^١ أن تأخذ الخمس مائة دينار عوضا عن الخمس مائة درهم^٢ التي تركتها ولم تأخذها . فقال : نعم ، على أن نعطيها هؤلاء^٣ الفقراء . فقال : اصنع ما شئت . فدفعتها له ففرقها فيهم ، وحصل له دينار واحد . فتحقق السلطان صدق منامه^٤ بتعففه و أمارته^٥ .

و كان رجل من أهل المغرب بالمدينة فبكي^٦ عند قبر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله بلدي^٧ بريد و أنا فقير و ضعيف ، و أنا أحب أن أرجع إلى بلادي . قال فنام^٨ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : امض إلى صلاح الدين يوسف فانه يعطيك مائة دينار^٩ سافر بها إلى بلادك . قال : فمضى الرجل إلى أن وصل إلى الشام . و قدم على صلاح الدين ، فلما رآه قال : أنت صاحب المائة دينار^٩ ؟ قال : نعم . ١٠ . قال : اعطوها له . فأخذها و انصرف .

و يقال إن رجلا أتى إلى صلاح الدين يوسف قبل أن يلى

(١) كذا في بن ، و الكلمة في بر : أسألك .

(٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٨ : الف] .

(٣-٣) في بن : بفضل أمارته .

(٤) في بن : فبكا .

(٥) في بن : يرسل .

(٦) في بن : بلد .

(٧) في بن : و نام .

(٨-٨) العبارة بكاملها ساقطة من بن .

الملك^١ قال: رأيت^٢ فيما يرى النائم كان قاتلا يقول لي في المنام
وأشار إليك :

ملك الصياصي والنواصي ناصرا^٣ للدين بعد إياسه أن ينصرا
و يستفتح^٤ البيت المقدس بعد ما يطوى الطراز له ويهلك قيصر
٥ [٢١٩: الف] الصياصي الحصون . قال الله تعالى : ” وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتب من صياصيمهم ” .

فبعد قليل أخذ صلاح الدين يوسف الملك ، وفتح قلعة طبرية ،
و فتح عكا صلحا ، و خلص منها أربعة آلاف أسير من المسلمين ، و فتح
صيда و بيروت و غزة و عسقلان و نابلس و ييسان ، و فتح بيت المقدس
١٠ و كان فيها ستون^٦ ألف مقاتل أو يزيدون من الإفرنج^٧ . و قاتل^٨
المسلمون معه قتالا شديدا ، و لم يزالوا كذلك حتى فتحوه . و هو أن
ملك الروم أرسل إلى السلطان صلاح الدين على أن يبدل كل رجل

(١) في بن : المملكة .

(٢) في بن : فرأيت .

(٣) في بن : تارا .

(٤) في بن : و سيفتح .

(٥) قرآن كريم من : ٢٦ . و في هامش بر : مطلب ، فتوحات صلاح الدين .

(٦) في الأصليين : ستين .

(٧) في بن : الفرنج .

(٨) في الأصليين : قاتلت .

منهم عن نفسه عشرة دنانير و على المرأة خمسة دنانير و على كل صغير و صغيرة دينارين ، و أن تكون الغلات و الأسلحة يؤدونها^١ للمسلمين ، و يتحولوا من "قدس إلى مدنة صور . فأجاب الملك صلاح الدين إلى ذلك ، و دخلوا بيت المقدس يوم الجمعة ، ، كان يوما مشهودا خفس فيه الباقوس ، و حضر المؤذنون و غاب القسوس ، و تلى التنزيل ، عوضا عما كانوا يقرأون^٢ من التحريف في الإنجيل ، و لله الحمد و المنة على ذلك . ثم أنه فتح^٣ الكرك^٤ و صفد و حصن كوكب و غيرها من الحصون . و كان سبب أخذ الإفرنج^٥ للقدس من أيدي المسلمين لأنهم كسروا الأفضل^٦ ابن أمير الجيوش على الرملة و استولوا على القدس سنة تسعين و أربعمئة . و قتل الأفضل سنة ست عشرة ، خمسمئة من غير أن يقتل أحدا . و أما أبوه بدر الجمالي^٧ فكان سفاكا للدماء ، و مع ذلك مات على فراشه . و كان الأفضل فحل التدبير حسن الرأي ، و لم يكن للخليفة المستعلي^٨ أحد خلفاء العبيديين معه كلام^٩ .

(١) في الأصلين : يؤدوا .

(٢) في الأصلين : يقرأون .

(٣) في بن : انتزع .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) انظر ما سبق في موضوع الفاطميين .

(٧) في بن : الجمال .

(٨) الخليفة الفاطمي و حكمه ٤٨٧ - ٤٩٥ = ٩٤ - ١١٠١ م .

(٩) في الأصلين : كلاما .

ثم أن الإفرنج^١ أقاموا بالقدس تسعين سنة ، ففتحها السلطان صلاح الدين يوسف سنة ثمانين^٢ وخمسمائة^٣ . و توفي السلطان صلاح الدين^٤ يوسف المذكور وعمره سبعة^٥ وخمسون سنة . فعز على المسلمين فقده . وكان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، و تشبه بالملك العادل نور الدين العادل عمه ، و دفن بترتبه عند مدرسة أنشأها بالموصل^٦ رحمه الله تعالى .^٧ و كان قبل ملكه السلطان صلاح الدين يوسف سار أسد الدين شيركوه بعد أن كسر الفرنج و المصريين إلى الإسكندرية فملكها ، و جرى بأموال ، و استناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، و عاد إلى الصعيد فملكه و جمع منه أموالا كثيرة جزيلة ، ثم أن الفرنج و المصريين اجتمعوا^٨ على حصار الإسكندرية ثلاثة أشهر ، انتزعوها من يد صلاح [الدين] يوسف في غيبة عمه شيركوه في الصعيد . و امتنع بها صلاح الدين و من معه أشد امتناع ، و لكن ضاقت عليهم الأقوات و ضاق الحال جدا . فسار إليهم شيركوه أيده الله تعالى ، فصالحه شاور الوزير عن الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأبى عليه^٩ ذلك . و خرج صلاح الدين منها و سلبها

(١) في بن : الفرنج (٢) في بن : ثمان .

(٣) في هامش بر : مطلب ، مدة استيلاء الإفرنج على بيت المقدس تسعون سنة .

(٤) لفظة « الدين » ساقطة من بن .

(٥) في بن : تسعة . و في هامش بر : توفي صلاح الدين و عمره ٥٧ سنة .

(٦) كذا في بر و بن ، و هو خطأ لأن صلاح الدين مدفون في دمشق .

(٧) من هنا إلى قوله « والله الحمد » ساقط من بر ، و أخذناه عن بن [١٦٨ :

الف ، ب] .

(٨) في الأصل : إلى . و أغلب الظن أنه خطأ قلبى .

للصريين و عاد إلى الشام . و قرر على شاور الفرنج ' كل سنة مائة ألف دينار ، و أن يكون لهم شحنة بالفاخرة . و عادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين قد عقبهم في البلاد ، و فتح كثيرا من بلادهم ، و قتل خلقا من رجالهم ، و أسر أمما من نسايتهم و أطفالهم ، و غنم شيئا كثيرا من أمتعتهم و أموالهم ، و لله الحمد ' .

٣ و كان السلطان صلاح الدين يوسف المذكور ' في دولته ' يجلس جلوسا عاما لإزالة المظالم . فجلس يوما جلوسا عاما ، و قضى حوائج الناس ، و نظر في المظالم ، و نادى [٢١٩ : ب] مناديه * : من كانت له حاجة و مظلمة فليأتني فتقدم شيخ له هيئة حسنة فقال : إن الفقير يقدمني و الحياء يؤخرني . فقال : قل . قال : أنا رجل كنت من أمراء الدولة المصرية ممن كان لله على أسلافه نعمة و سلبها و أحتاج إلى الناس و أنعمت عليّ بخمسة دنانير في كل شهر و عاملك يمطلني فيها مدة ستة أشهر . فغضب صلاح الدين و قال : عليّ بالعامل . و قال : تعطى له ما منعه إياه أو لا فعلن بك و لا صنعن . قال : فلما رأى العامل الجدة ' ،

(١) زيد هنا لفظة « علي » و لكن النسخ صحيح مكانها كما أوردناه في النص ، و لكنه لم يشطب الزيادة .

(٢) انتهى الساقط من بر .

(٣) من هنا يستأنف الكلام في كل من بن و بر معا .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في هامش بر : مطلب ، واقعة .

(٦) في بن [١٦٨ : ب] : منذ .

(٧) ساقطة من بن .

و كان صلاح الدين رجلا حليما قليل الغضب ، فقال العامل : لو لا غضب مولانا السلطان لأخبرته بالعدر الذى منعى^١ الاطلاق والعذر الذى منعى^٢ الكلام . قال ٣ : قل فاني لا أغضب . قال : العلامة التى على توقيعك مزورة ، فامتنعت من الدفع ، وأردت الستر وما أردت أن أفضحه ، هـ والأمر لمولانا السلطان . فقال صلاح الدين : أرنى التوقيع . فنظر إليه وقال : صدقت والله ما هو خطي ولا كتبه ٣ . ثم التفت إلى الرجل وسبه واتهره وقال : النفاق باق^٤ فيكم ، وإلا أنا فما أمنع رزق^٥ الله أحدا على^٦ ، وعلى^٦ لا قطعن يدك . و كان بالمجلس رجل وله عقل وأدب ، والجلساء متشابهون لللك - المرء^٧ على دين خليله - فقال ذلك ١٠ الرجل الحاضر : إن مولانا السلطان لا يمنع خطه من أحد ، ويكتب في كل وقت قائما وجالسا وراكبا ، يكتب مولانا السلطان علامة بجانبها ، وننظر إلى الخطين ، فان اختلفا فالسلطان يفعل^٨ ما يريد وإن

(١) في بن : يمنعى .

(٢-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في الأصلين : باق .

(٥) في بن : الرزق .

(٦) في بن : وصلى .

(٧) في بن : والمرء .

(٨) في بن : يحكم .

اتفقا فلا كلام . فقال : نِعَمَ ما قلت . فكتب السلطان علامة أخرى .
فقال الرجل : غلبنا و الحمد لله . قال : و كيف ؟ قال : إن كانت
الأولى ما هي خطك يقين فهذه العلامة الثانية خطك يقين . فضحك
السلطان و عني عن الرجل و أمر برزقه ' .

- و كان أول دولة بني أيوب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ٥
أيوب بن شاذى ، ولى ' سنة أربع و ستين و خمسمائة ٣ ، و استقل
بالملك سنة ست و ستين و خمسمائة ، و بنى ' قلعة الجبل بالقاهرة في
سنة خمس و سبعين و خمسمائة . و لما توفى السلطان صلاح الدين يوسف
المذكور قام ' بملك مصر ' بعده ولده الملك العزيز عثمان ' . ثم بعده الملك
الأفضل قطب الدين ' عثمان ' بن صلاح الدين المذكور ' . ثم بعده الملك ١٠

(١) زيد فى بن : قال الأصمى قيل لشيخ من الأعراب قتت مقاما خفنا عليك
منه . فقال الموت خفتم على و كيف يخاف الموت شيخ كبير و رب غفور
و لا كين و لا بنات و لا صبية أطفال .

(٢) فى بن : فى .

(٣) فى هامش بر : «مدة توليته سنة ٥٦٦ . بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٥» . و سلطنته

٥٦٤ - ٥٨٩ = ١١٦٩ - ١١٩٢ م .

(٤) فى بر : بنا ، و هى فى بن : بنى .

(٥-٥) فى بن : بالملك من .

(٦) و هو العزيز عماد الدين عثمان و سلطنته ٥٨٩ - ٥٩٥ = ١١٩٣ - ١١٩٨ م .

(٧) هذا خطأ صحته أن الذى خلف العزيز عثمان هو المنصور ناصر الدين محمد

و سلطنته ٥٩٥ - ٥٩٦ = ١١٩٨ - ١١٩٩ م .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

العادل^١ أبو بكر بن أيوب . ثم بعده الملك [٢٢٠ : الف] الكامل
 محمد^٢ بن أبي بكر العادل ، وهو الذي بنى^٣ المدرسة الكاملية^٤ بين
 القصرين المسماة بدار الحديث . وانكسرت الإفرنج في اليوم الذي
 ولي الملك الكامل فيه بكسر الجسور عليهم في وقعة الفرنسيس بدمياط ،
 هـ و كانت كسرتهم بالمنصورة بالقرب من أشمون الرماح ، وقد تقدم ذكر
 ذلك فأغنى عن إعادته . وقيل كان الملك العادل ظلما و ولده الكامل
 عادلا ، فقال بعضهم قصيدة منها :

يا ظلما سميت بالعادل لا عدل إلا للملك الكامل

وقيل أقام الكامل ملكا نحو ثلاثين سنة ، والله أعلم .

١٠ و ولي ملك مصر بعد الكامل ولده نجم الدين الملك الصالح أيوب

(١) وهو الملك العادل سيف الدين أبو بكر المشهور عند الفرنج باسم

(Saphadin) وحكمه ٥٩٦ - ٦١٥ هـ = ١١٩٩ - ١٢١٨ م

(٢) سلطنته ٦١٥ - ٦٣٥ هـ = ١٢١٨ - ١٢٣٨ م

(٣) في بر : بنا ، وهي في بن : بني .

(٤) في هامش بر : المدرسة الكاملية . وفي بن لفظة « الكاملية » ساقطة .

(٥) سلطنته ٦٣٧ - ٦٤٧ هـ = ١٢٤٠ - ١٢٤٩ م ويلاحظ هنا أن المؤلف

أخطأ بتولية الصالح نجم الدين بعد الكامل مجد ، وبذلك يكون قد تجاوز
 عن حكم العادل سيف الدين أبي بكر وهو ابن الكامل مجد وقد جاء حكمه

بيها .

ابن الملك الكامل ، وهو الذى بنى المدرسة الصالحية ٢ بين القصرين بالقاهرة ، وهو أستاذ الترك ، وقلاوون الصالحى أحد عماليكه . ثم ولى ملك مصر بعده الملك المعظم طرنتشاه ٣ بن أيوب . ثم بعده الملك الأشرف موسى بن أقيس ٤ . ثم بعده الملك المعز أيك ٥ التركمانى مملوك الصالح نجم الدين ، وهو الذى عمر المدرسة المعزية 'برجبة الخروب' بمصر . ثم ولى ٥ الملك ٦ بعده الملك المنصور ٧ على بن أيك . ثم ملك مصر بعده الملك المظفر قطز ٨

(١) فى بر : بنا ، وهى كذلك فى بن .

(٢) فى هامش بر : باني الصالحية ، أستاذ الترك .

(٣) كذا فى الأصلين و صحته : المعظم توران شاه - و سلطنته ٦٤٧ - ٦٤٨ هـ =

١٢٤٩ - ١٢٥٠ م .

(٤) فى الأصلين : امس (بدون نقط) و صحته فى المقيزى (كتاب

السلوك لمعرفة دول الملوك . نشر محمد مصطفى زياده . القاهرة ١٩٥٧ ج ١

قسم ١ ص ٣٦٩) و شاركه فى الحكم بعض الوقت المعز أيك مؤسس دولة

المماليك البحرية .

(٥) أول المماليك البحرية للمعز حماد الدين أيك و حكمه ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ =

١٢٥٠ - ١٢٥٧ م .

(٦-٦) ساقطة من برو و واردة فى بن .

(٧) فى بن : ملك مصر .

(٨) المنصور نور الدين على أيك ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ = ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م .

(٩) حكمه ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ = ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م .

مملوك المعز^١ قتلته زوجته شجر الدر وأخفته أربعة أشهر وأظهرت للناس أنه ضعيف ، فلما تحقق أمره ولى الملك بعده ولده على الصالح ، فرمى زوجة أبيه شجر الدر من أعلى القلعة إلى أسفل فهلكت ، ومضى إلى الشام ورجع منه طالبا القاهرة ، فقتله^٢ الأمراء في الطريق .
 ٥ وولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس^٣ مملوك بتدقدار الصالحى ، وهو الذى عمر المدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة ، وصلى بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم تكن الجمعة تقام فيه من زمن نقل الحاكم منصور العيديدى الجامع منه إلى جامع المعروف به بالقاهرة بين باب النصر و باب الفتوح فصار الجامع الأزهر بغير خطبة فى المدة المذكورة ، فتشعث حاله و تغيرت رسومه ، فأمر الملك الظاهر بعمارتها و يياضه وإقامة الخطبة فيه^٤ فاستمرت إلى الآن^٥ .

[أبواب القاهرة]

و للقاهرة* أبواب عدة ، منها باب زويلة و باب القنطرة و باب

(١) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : هذا خبط زائد فان الذى قتلته زوجته أيك التركمانى وأما قطز فعند عودته من قتال التتر قتله الظاهر بيبرس باتفاق الأمراء .
 (٢) فى الأصلين : قتلته .

(٣) حكمه ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٦٩ : الف] .

(٥) فى هامش بر : عدة أبواب القاهرة .

النصر و باب سعادة و باب الفتوح و باب الفرج^١ ، فقال [٢٢٠ : ب] بعضهم في باب الفتوح و باب الفرج يتين تورية^٢ وهما :

لا بد أن يرضى الزمان و ينصلح بعد الحرج
رب فتح باب الفتوح يفتح لنا باب الفرج

٥ [أخبار الظاهر بيبرس]^٣

ثم أن الملك الظاهر بيبرس فتح فتوحات كثيرة ، منها أرصوف و الطبور^٤ و صفد و مرج بن عامر و الشقيف و باتياس و الصيبية و حصن عكا^٥ و حصن ابن الأحمر و حصن الأكراد ، و نزل على طرابلس بعساكره و حاصرها ، فأرسلت الإفرنج التي بها يقولون^٦ الملك الإفرنج بأنطاكية : انجدنا^٧ سرعة فان الملك الظاهر قد حاصرنا ، فأتت جواسيس الملك ١٠ الظاهر أخبروه بذلك فأمر النقباء أن تعلم الجيش بالرحيل بعد فراغ الخيل من عليقتها و أن يتركوا الخيام على حالها و النيران تقدر ، و أخذوا

(١) زيد في بن : و غيرها . و الأبواب فيها وردت على غير هذا الترتيب في بر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في هامش بر : فتوحات الملك الظاهر بيبرس .

(٤) في الأصلين : و الطور .

(٥) في الأصل : حصن عكار .

(٦) في بن : تقول .

(٧) في بن : أدر كنا .

ما يحتاجونه وتركوا الفاضل . وأمر الأدلاء في الليل أن يقصدوا به أنطاكية ، فساروا^١ حتى أتى قريبا من أنطاكية قبل الفجر من غير حس ولا خبر . فلما أصبح الصباح وفتحت أهل أنطاكية أبوابها رحل من منزله التي نزل بها ، وحرك و هجم بعسكره دخلها^٢ فللكها بكل ما فيها ه من مال ورجال و حريم و ذراري - هذا ما كان منه .

و أما ما كان من أهل طرابلس النصارى^٣ فانهم عند صباح رحيل الملك الظاهر ، نظروا من أعلا السور فلم يروا بوطاقه أحدا ، فقرحوا و طعمطوا وقالوا: رحل^٤ المسلمون عنا خوفا منا^٥ وتركوا خيامهم و أثقالهم من شدة الخوف الذي جعل لهم^٦ . ففتحوا أبواب البلد و نهبوا الوطاق بما ترك فيه من الأثقال . و وافاهم صاحب أنطاكية الكافر من البحر^٧ فدخل طرابلس بمن معه من الجيش ، فمدوا له الأطعمة^٨ فأكل و أحضروا الخمر فشرب^٩ ، و صاروا يغنون و يرقصون

(١) في بن : فسار .

(٢) في بن : و دخلها .

(٣) في بن : الإفرنج .

(٤) في الأصلين : رحلت .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن [١٦٩ : الف ، ب] .

(٦) في بن [١٦٩ : ب] : في مراكيه في البحر .

(٧) في بن : أطعمة .

(٨) في بن : فشربوا .

على حس آلات الطرب^١ ويقولون: الظاهر من مخافتنا هرب . فينما هم
 في زهوهم ولهوهم وإذا الخبر^٢ قد ورد عليهم بالعطب، فلحقتهم الكربة^٣،
 فانقلب فرح أهل طرابلس ترحا^٤، وصار صاحب أنطاكية من القهر^٥
 شبحا، وقال^٦ لاهل طرابلس: لا كانت ساعتكم، قطع المسيح جادرتكم،
 أتم تفرحون وترقصون، وبلدى ملكها^٧ المسلمون، ونهبوا أموالى^٨
 وبلادى، وأسروا حريمى وأولادى . فصارت النصارى عما^٩ سمعوا منه
 يائسين، ومن^{١٠} سوء أحوالهم آتسين . واستعظموا أمر الملك الظاهر،
 إذ صار على النصارى مظفرا^{١١} ظاهرا^{١٢}، [٢٢١ : الف] تخاف منه
 كل عالج كافر، وقالوا: ما بقى لنا معه حليف ولا ناصر، وإذا هو^{١٣}

(١) فى بن : الملاهى .

(٢) فى بن : بالخبر .

(٣) فى بن : المرض والكرب .

(٤ - ٤) فى بن : وانقلب فرحهم ترحا .

(٥) فى بن : الهم .

(٦) فى بن : فقال .

(٧) فى الأصلين : ملكتها .

(٨) فى بن : بما .

(٩ - ٩) فى بن : سواحلهم .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١) صوابها « ظاهرا » ولكن تركناها بحكم السجع .

(١٢) فى بن : إذ .

قد فتح أنطاكية فلم يبق^١ لنا معه باقية ، و ستصير طرابلس منا خاوية^٢ ،
لا شكوى إلا للسبح^٣ ولألمه ماريه^٤ . قيل إن دور سور مدينة أنطاكية
اثنا عشر ميلا ، وعدد بروجها مائة وستة و ثلاثون برجاً ، وعدد
شرافات^٥ سورها أربعة وعشرون ألف شرافة .

وقيل : كان الملك الظاهر^٦ في بدايته مملوكا للامير بندقدار
الصالحى ، وأن بندقدار عدى يوما من مصر إلى الجيزة يسرح بأرضها ،
فوجد في طريقه جيزة ، وكان الحر^٧ فقصد أن يقبل تحتها ويستظل
بظلها ، و كان يبرس المذكور بشمقدار يحمل شرموزة^٨ أستاذة الامير
المذكور ، فادعى به يلبسه^٩ مشايته^{١٠} لينزل عن فرسه فأتى إليه ومعه^{١١}

(١) في بر : يبق . و صحتها في بن .

(٢) في بن : خاليه .

(٣-٢) في بن : و ماريه .

(٤) في الأصول : اثني .

(٥) في بن : شرافات .

(٦) في هامش بر : مطلب ، واقعة لطيفة .

(٧) في بن : وقت القايلة .

(٨) في بن : زرموزة .

(٩) في بن : ليلبه .

(١٠) كذا في بن ، و مكانها بياض في بر .

(١١) الكلمة مقطوعة في بر بالتجديد ، ولكنها واردة في بن .

واحدة^١ وقد وقعت منه الثانية^٢ من غير علمه بوقوعها ، فغضب الأمير عليه وأخذ منه تلك الفردة ضربه بها على رأسه حتى تقطعت ، ثم ضرب الدهر ضرباته ، فأعتقه أستاذه المذكور ، وكان من أمره في التقدم ما كان إلى أن ولي ملك مصر ، فعدى يوما إلى الجيزة في عساكره^٣ ، ومر بتلك الجيزة نفسها ، فوقف^٤ وادعى^٥ بالأمير بندقدار معتقه^٦ ، هـ^٧ فأتى إليه^٨ ، فقال له : تعرف هذه الجيزة ؟ قال : نعم أيها الملك بصبرك على ذلك القهر صرت ملك مصر . فأعجب الملك الظاهر كلامه وخلع عليه وزاده في اقطاعه وقال : صدق فيما قال ، لولا فعل اخوة يوسف يوسف^٩ ما فعلوا ما صار^{١٠} ملك مصر^{١١} ، فن صبر ظفر و البلايا مفاتيح الارزاق^{١٢} - انتهى .

١٠

- (١) في بن : فردة .
- (٢) في بن : الأخرى .
- (٣) زيد في بن : المبرحة .
- (٤) زيد في بن : بازائها .
- (٥-٦) في بن : بمعتقه الأمير بندقدار .
- (٦-٧) ساقطة من بن .
- (٧) في بن : به .
- (٨-٩) في بن : ملكا بمصر .
- (٩-١٠) ساقطة من بن و واردة في بن .

[الإقطاع]

قال المؤلف اغفر الله له وللسلمين أجمعين^١، وإذ قد ذكر الإقطاع^٢
 فسأذكر ما قيل في إجارته إذا خرج عن مؤجره^٣ عقيب إجارته^٤.
 سئل بعض العلماء في مؤجر^٥ أجر إقطاعه مدة معلومة، فخرج الإقطاع
 منه إلى غيره قبل انقضاء المدة، فقصد المقطع الثاني تسليم الناحية إليه
 فامتنع المستأجر عن تسليم ذلك، فهل للمقطع الثاني نزع الناحية من يد
 المستأجر أو يطالبه بالآجرة أو يطالب المقطع الأول بالآجرة إذا كان
 قد التمسها من المستأجر أو شيئاً منها؟ فأجاب: إذا أجر الإقطاع مدة
 ثم انقطع حق المؤجر في أثناء المدة بموت أو إخراج السلطان له فإن المقطع
 الثاني مخير بين إمضاء الإجارة وبين فسخها، فإن فسخها كان للمستأجر من
 المنفعة ما للمقطع الأول [٢٢١: ب] و عليه من الآجرة بقدر ذلك،
 فإذا كان خروج الإقطاع في أثناء السنة مثلاً و نصف المنفعة للمقطع
 الأول و نصفها للثاني، كان للمستأجر نصف المنفعة و عليه للمؤجر الأول
 نصف الآجرة و النصف الثاني يرجع به عليه إن كان سلفه إياه، ثم إن
 أمضى المقطع الثاني الإيجار كان له نصف الآجرة يطالب بها المستأجر،
 و إن أحاله على المقطع الأول فأسلفه إياه فله أن يقبل الحوالة و له أن
 لا يقبل، و الله أعلم^{*}.

(١-١) في بن: رحمه الله تعالى. (٢) في هامش بر: إجارة الأقطاع.

(٣-٣) ساقطة من بن. (٤) في بن: مؤاجر.

(٥) زيد في بن [١٧٠: الف]: انتهى فعود.

[وقعة يبرس و محي الدين النوى]

وقيل إن الملك الظاهر يبرس لما توجه بعساكره إلى الشام بسبب الترحين تحركت عليه أخذ فتاوى الفقهاء ٢ بأن يجوزوا ٢ له أن يأخذ من الرعية مالا يستعين به على قتال العدو ، فكتب له فقهاء الشام بذلك . فقال هل بقي عندكم أحد من الفقهاء ؟ قالوا : نعم ، بقي الشيخ الصالح ٣ . محي الدين النوى . فطلبه فحضر ٤ فأوقفه على الفتاوى ٥ . قال ٥ : اكتب خطك مع خطوط الفقهاء . فامتنع من ذلك ، فقال له : ما سبب امتناعك ؟ قال : أعفى من ذلك . قال : ما السبب في ذلك اذكره لى . قال : أعرف أنك كنت مملوكا ٦ للأمير بندقدار و ليس لك مال ، ثم يتر الله لك أمرا على المسلمين ٨ فوليت الملك ٨ ، و سمعت أن عندك كذا ٩ ألف ١٠ مملوك ، كل مملوك منهم حياصته بألف ١٠ دينار ، وعندك مائتى جارية

(١) زيد بن : السلطان .

(٢-٢) في بن : أنه يجوز .

(٣) زيد بن : الورع - و بهامش بر : واقعة النوى مع الظاهر يبرس .

(٤-٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا في بن ، و هي في بر : فقال .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : في الرق .

(٨-٨) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٩) الكلمة ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(١٠) في بن : بمائة .

كل ١ جارية ٢ عندها حق ٢ حلى يزيد على عشرة آلاف دينار ، فاذا أنفقت ذلك كله و بقيت مالىكك بنود الصوف بدلا من تلك الحوايص و بقيت جواريك بثيابهن دون الحلى حيثنذ أقى لك بجواز أخذك المال من الرعية . فغضب الملك الظاهر من كلامه و قال : اخرج من بلدى ، ه يعنى دمشق . قال : سمعا و طاعة ٣ . و انتقل ٤ منها إلى بلده * نوى ، و هى ضيعة بأرض حوران . فقالت الفقهاء للملك الظاهر بعد ذلك : إن هذا ٦ الذى أمرت بخروجه من دمشق ٦ الفقيه من كبار ٧ العلماء و الصلحاء و ممن ٧ يقتدى به فأعده إلى دمشق ، فرسم برجوعه إليها ، فساروا إليه و رغبوه فى الرجوع إلى دمشق ، ٦ و قالوا قد رسم السلطان برجوعك ١٠ إليها ٦ فامتنع و قال : لا أدخلنها و الملك الظاهر بالحياة أبدا . فلما كان بعد شهر كان الملك الظاهر فى نفسه شىء من بعض أمرائه ، فصنع له شربة مسمومة و دسها بين شربات غير مسمومة ، فلما قصد ٨ أن يسقى الأمير

(١) فى بن : لكل .

(٢-٢) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٣) فى بن : و طاعا .

(٤) فى بن : فانتقل .

(٥) فى بن : بلد .

(٦-٦) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٧-٧) فى بن : علمائنا و صلحائنا و من .

(٨) فى بن : اراد .

تلك الشربة المسمومة غلط فيها ١ فشرب هو المسمومة ١ ، [٢٢٢ : الف] فأت و شرب الأمير غير المسمومة فسلم ٢ . فلما سمع ٣ الشيخ يحيى الدين بموت ٤ الملك الظاهر دخل دمشق . و هو يحيى الدين يحيى . بن شرف ابن موسى بن حسن بن حسين بن جمعة الجذامي أبو زكريا العالم العلامة الشافعي شيخ المذهب و كبير الفقهاء في زمانه . ولد سنة إحدى و ثلاثين ٥ و ستائة بنوى ، و قدم دمشق سنة تسع و أربعين ، فقرأ التنبيه في أربعة أشهر و نصف . ثم لزم المشايخ تصحيحا و شرحا ، ثم عفى بالتصنيف ٦ فشرح كتاب مسلم في الحديث ، و صنف الروضة و المنهاج و الرياض و الأذكار و تحرير التنبيه و تصحيحه و تهذيب الأسماء و اللغات و طبقات الفقهاء و كتاب الإيضاح في مناسك الحج و كتاب الإيجاز في المناسك ١٠ و غير ذلك . و كان رحمه الله ٨ من الزهاد و العباد ٩ و التجرد و الورع ٩

(١-١) في بن : فشربها هو .

(٢) زيد في بن : هكذا قيل و الله تعالى أعلم .

(٣) في بن : بالغ .

(٤) في بن : وفاة .

(٥) بهامش بر : يحيى الدين النووي .

(٦) في بن : اعتنى .

(٧) بهامش بر : مؤلفاته .

(٨) زيد في بن : تعالى .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

والانجماع عن الناس والتخلي لطلب العلم^١، و كان يصوم الدهر^٢ ولا يجمع بين إدامين . حكى^٣ أنه كان يدفع لبواب المدرسة الذي^٤ هو ساكن بها فلسين يشتري له بهما^٥ حمصا مصلوقا يفطر عليه فيشتريه بهما له . فلما كان في بعض الليالي قال البواب : لا بد لي الليلة
 ٥ أن أقتن الشيخ فاشتري له حمصا ، وجعل^٦ عليه زيتا وطحينة و خلا و كمونا وملحا . فأتى^٧ به إليه^٨ ، فنظر إلى ذلك^٩ فاستغربه وقال^{١٠} :
 ما هذا؟ فقال^{١١} : يا سيدي هكذا تأكل الناس الحمص بجوائجه . فقال :
 قال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم الإدام الخل » ولم يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إدامين قط ، فالحمص وحده إدام والزيت إدام

(١) زيد في بن : على جانب .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) بهامش بر : مطلب يذكر فيه أخبار الإمام العلامة شيخ الإسلام محي الدين النووي .

(٤) في بن : التي .

(٥) زيد في بن : له .

(٦) في بن : وأى .

(٧) في بن : له به .

(٨) في بن : إليه .

(٩) في بن : فقال .

(١٠) في بن : قال .

و الطحينة إدام و الخل إدام و الكمون إدام ، فانا لا نأكل غير إدام واحد ، كله أنت و لا تعد لمثل ذلك . ٢ فأخذته و اشتريت له حصا وحده ، ٣ و أتيت به إليه فقله ٢ . و كان ٤ الناس يأتون إليه يقرأون ٥ القرآن عليه ، و كان فيهم صبي يقرأ عليه و الشيخ لا ينظر إليه اصغر سته و حسن وجهه ، فلما كان بعد سته من حين فراءته عليه قال : من أبوك ؟ ٥ قال : فلان الحلوى فأتى الصبي إلى والده ذكر له ذلك ، ففرح بسؤال الشيخ عنه ، فصنع ٦ الرجل من السكر حلاوة مطيبة بماء الورد و المسك و العنبر ٦ و لوّنها ألوانا ٣ و ملأ طبقا كبيرا ٣ و غطاه و أتى به إلى الشيخ . ٣ فذق بابه دقا خفيفا فقال : من ٣ ؟ ٧ و قال له ٧ : عبدك الحلواني ٨ أبو الصبي الذي سأله بالأمس ٨ بعد قراءته ٩ عى ، و قد أتيتك بما معى أرجو بركتك ١٠ فقله منى . ٣ فأمره بالدخول فدخل و وضع الطبق بين يديه ٣ . و رفع

(١) في بن : إلا .

(٢) زيد في بن : قال .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) عن بن ، و في بر : وكانت .

(٥) في الأصلين : يقرون .

(٦-٦) في بن : حلوى طيبة من سكر و وضع فيها المسك و الماء و العنبر انطام .

(٧-٧) في بن : قال .

(٨) في بن : الحلوى .

(٩-٩) ساقطة من بن .

الغطاء عن الطبق ، فنظر الشيخ لتلك الحلوى [٢٢٢ : ب] ^١ وهى ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ^١ ، ورأى منها ما هو متطاوى وملوى ومدور ومشوب ومبسوط ، وقد سمعت ^٢ تلك الروائح الطيبة العبقة إلى خياشيمه فقال : هذا طعام الجبارة ، ارفعه عنى طافك الله . فرفعه الحلوانى ورجع به إلى حانوته مكسور الخاطر على عدم قبوله منه - انتهى .

وكان الشيخ محي الدين المذكور على جانب كبير من الورع والزهد فى الدنيا . وكانت وفاته فى ليلة الجمعة ثانى عشر ربيع الأول سنة ست وستين ^٣ و ستائة - انتهى .

نعود إلى من ولى مصر بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس - ولى ^٤ ملك مصر بعده . الملك السعيد ^٥ . ثم ولى بعد الملك السعيد الملك العادل شلامش ^٦ ابن بيبرس وأتابك عسكره الأمير سيف الدين قلاون الصالحى . نقله قلاون من الملك ونقاه ، كما قيل إلى بلاد الإفرنج ، والله ^٧ أعلم .

(١ - ١) فى بن : التى منها الأصفر والأحمر والأخضر والأبيض .

(٢) فى بن : سطعت .

(٣) وربما كانت حصة التاريخ «وسبعين» كما ورد فى دائرة المعارف الإسلامية .

(٤) فى بن : ثم .

(٥) فى بن : بعد وفاته .

(٦) وهو الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس و سلطنته

٦٧٦ - ٦٧٨ هـ = ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م .

(٧) وهو الملك العادل بدر الدين شلامش وكانت سلطنته قصيرة فى ٦٧٨ هـ =

١٢٧٩ م .

(٨) زيد فى بن : تعالى .

[أخبار السلطان قلاون]

وولى قلاون^٢ ملك مصر ولقب بالمنصور . و أتى فى دولته منكوتمر
التترى ابن غال الملك ابنا ابن الملك قلاون^٣ طامعا فى الشام . فنفق الملك
المنصور قلاون فى جيوش مصر و خرج بهم للقائه ، فكان اجتماعهم
فى حمص ، وعضده فى الملك 'الأميران الكبيران' اليسرى و الحلبي ، ه
و جاءه الأمير* سنقر الاشقر من قلعة صهيون بعد أن كان امتنع من مبايعته
له ، ففرح^١ السلطان به و قال له : يا خشداش^٢ أرسلت^٣ لك كتابي فلم
تأت^٤ و جئتني الآن بغير^٥ طلب . فقال : ما أتيت إلا^٦ نصرة للمسلمين^٧ ،
و الموافقة على لقاء العدو اللعين . ففرح السلطان و المسلمون به* ، و قاتلوا
منكوتمر التترى ، فكانت كسرة التتر على يد الأمير سيف الدين أزدمر ، ١٠

(١) فى بن : ثم ولى .

(٢) وهو الملك المنصور سيف الدين قلاون و سلطته ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ -

١٢٩٠ م .

(٣) فى بن : هلاكو .

(٤ - ٤) فى الأصل بر : الأميرين الكبيرين - و صحته فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ففرح .

(٧) فى بن : يا خشد .

(٨ - ٨) فى بن : إليك ثلثت إلى فلم تأنى .

(٩) فى بن : من غير .

(١٠ - ١٠) فى بن : لنصرة المسلمين .

فدا^١ المسلمين بنفسه، فمات شهيدا بجيلته التي دبرها، فحصل لهم به النصر، وحصل له جنة الماوى بالشهادة التي رزقها، وصار له جميل الذكر بما خيل له فهمه من الفكر. وذلك أن الأمير أزدمر المذكور جمع حاشيته وجماعته^٢ وماليكه وغلناته في الليل وقال لهم: إني غدا فاعل أمرا ه أرجو به أجرا ولست أكرهكم عليه إلا من رضى. ثم عمد إلى بماليكه أعتقهم وأعطى كل واحد منهم مالا، وفرق على غلناته وحفدته المال^٣ من خزائنه وذلك في الليل^٤، ثم قال^٥ لهم: إني^٦ في غداة^٧ أفدى المسلمين بنفسى، أخرج إلى العدو في صفة رسول، فاذا قربت من الملك منكوتمر قتلته فأقتل حينئذ، فن أراد الجنة فليتبغى^٨، [٢٢٣ : الف] فقبه بمملوك واحد ورجل كان عنده جمالا يسمى^٩ عليا السيروان. فكان الجمال^{١٠} المذكور بين يدي أزدمر ومملوكه على فرس خلفه، وأزدمر راكبا على فرس قد ربط كتابا مطويا في عقب رمح، وجعل منان رمح خلف ظهره^{١١} وودع السلطان والأمراء^{١٢}، وبرزين الصفين وصرخ قائلا: أنا رسول إلى الملك. فلما سمعوا تكرار مقالته تلك أفرجوا^{١٣} له طريقا،

(١) في بن: فدى .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في بن: وقال .

(٥) زيد في بن: غد .

(٦) في الأصل: فيتبعنى . والأصح في بن كما أوردنا بالنص .

(٧) في بن [١٧١ : الف] : المال - وهو خطأ قلبى واضح .

(٨) في بن: أفرجت التتر .

فلما قرب من الملك منكوتمر^١، قلب رمحاً وطعنه بسنانه^٢ طعنة ألقاه
عن فرسه قتيلًا . فترجل جيشه عند وقوعه، فداستهم عند ذلك عساكر
المسلمين . و قتل الأمير أزدمر و مملوكه و السيروان باختطاف سيوف
التر لهم حين وقوع الملك منكوتمر^٣ . و انتصر المسلمون على العدو المخذول
قتلوه و غنموه . فبينما الملك المنصور بالنصر مسروراً، إذ نادى مناد^٤ •
في ذلك النادى : نصيحة لمولانا السلطان . فسمعه السلطان فطلبه فحضر
ف قيل له : ما نصيحتك ؟ فقال : إن نصارى أهل الأمانة يلدقاراً صاروا
يتخطفون المسلمين من الطرق^٥ يكبلونهم بالقيود و يرسلونهم إلى طرابلس
يبيعونهم بها للأفرنج^٦، و قد صار^٧ المسلمون بفعلهم ذلك معهم في العذاب
و الهوان، و قد فعلوا في ذلك و باعوني بها فتجلبت و هربت، و قد أتيت^٨ •
مستغيثاً بالله و بمولانا السلطان، فأغث المسلمين المأسورين بفعل نصارى
قارا الذميين . فلما سمع السلطان مقالته أمر بالحفظ به و رحل طالباً
دمشق . فبينما هو سائر^٩ إذ رأى بلداً^{١٠} على طريقه^{١١}، فسأل عنها، فقيل^{١٢} •

(١) في بر : ابنا . و في بن : التمر . و الواضح من السياق ما أوردناه بالنص .

(٢) في بن : بسرعة .

(٣) في الأصل : ابنا، و هي ساقطة من بن، و صوابها واضح كما في النص .

(٤-٤) في بن : منادى ينادى . و زيد بعدها : بأعلا صوته . و في بر : منادى .

(٥) في بن : الطرقات .

(٦) في بن : للأفرنج .

(٧) في الأصلين : صارت .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بن .

(٩) كذا في بن و هي في بر : فسئل .

(١٠) في بن : قيل .

هي قارا . قتل عليها فخرجت أهلها النصارى له بالإقامات ، و كان بها ألف نصراني ليس بينهم مسلم واحد . فلما وقع نظر السلطان على القسيسين و الرهبان مع تلك الإقامات^١ ، أمر بكل نصراني بقارا^٢ أن يخرج منها^٣ إلى العرض ، فدخلها^٤ الجند أخرجوا^٥ كل نصراني كان بها في الجبال ، فقدموا إلى السلطان فقال لهم : أتم^٦ أهل قارا الذميون^٧ . قالوا : نعم . قال : بلغ من أمركم و أتم تحت الذمة إلى أن صرتم تنخطفون المسلمين من الطرق تبيعونهم للفرنج^٨ بطرابلس . فقالوا : حاشا لله أن نفعل^٩ ذلك ، و إيماننا تحت الذلة و المسكنة و الطاعة . فادعى السلطان حينئذ باحضار المسلم المنخطف^{١٠} به فحضر . فقال له : إنك ادعيت أن نصارى قارا أسروك [٢٢٣ : ب] و باعوك بطرابلس ، و أنهم صاروا يتخطفون المسلمين و يبيعونهم بها^{١١} ، و قد أنكروا ما ذكرت عنهم^{١٢} ، فما حجتك عليهم^{١٣} .

(١) في بن : الإقامة .

(٢) في بن : بها .

(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .

(٤) ساقطة من بن

(٥) في الأصلين : فدخلتها .

(٦) ساقطة من بر و وارة في بن .

(٧) في بن : أنت .

(٨) في الأصلين : الذميين .

(٩) في بن : للفرنج .

(١٠) في بن : نكون نفعل .

(١١) في بن : المختطف

(١٢ - ١٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

فصار الرجل يذكر لهم فعلهم بأدلة ذكرها لهم^١ و أمّاير^٢ حققها وأظهرها ،
 فقويت حجته عليهم ، فسقط ما بأيديهم ،^٣ فعند ذلك دحضت حججهم
 و ظهرت فضيحتهم^٤ ، فأمر السلطان بقتلهم ، فقتلوا عن آخرهم ، و أخذت
 أموالهم ، و سيّيت نسوانهم^٥ و أطفأهم ، و سكن المسلمون قارا بعد هلاك
 النصارى ، و جعلت كنائسهم مساجد^٦ ، فكثّر بها الراكع و الساجد ،^٧
 و بدل الناقوس بالآذان ، و الكفر بالإيمان ، فله الحمد و الشكر على ذلك .
 و اعلم أن أهل الذمة إذا خرجوا قاطعين لطريق المسلمين مخيفين
 لهم^٨ ، فهل يكون ذلك نقضا للعهد أو لا^٩ ؟ مذهب ابن قاسم^{١٠} -
 و هو المشهور - أنه لا يكون نقضا . و قال ابن مسلمة هو نقض للعهد ،
 و رجحه بعض الشيوخ بمسألة إكراه المسلمة على الزنا ، فذهب ابن القاسم^{١١}
 بأن الذى^{١٢} أكره المسلمة على الزنا ١١ يقتل - انتهى .

نعود ١٢ - ثم ان السلطان الملك المنصور قلاوون بقى فى نفسه من

(١) الكلمة ساقطة من برو واردة فى بن .

(٢) جمع « أمارة » فى اللغة المصرية الدارجة بمعنى إشارة أو علامة أو دليل .

(٣-٢) الجملة ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤) فى بن : نسأؤهم . (٥) فى بن : مساجدا . (٦) فى الأصلين : لها .

(٧-٧) فى بن : نقض العهد أم لا .

(٨) فى بن : القاسم . (٩) فى بن : القسم .

(١٠) فى بن : المسلم إذا - و بهامش بر : ط الذى .

(١١) زيد فى بن : انه .

(١٢) الكلمة ساقطة من بن .

طرابلس الشام^١ شيء^٢، فرحل من قارا ونزل على^٣ دمشق، قهرح^٤
 به أهلها^٥، وزينوا البلد لقدومه ونصره على التتر^٦ بالخلي والحلل
 والستور والكلل^٧. فأقام حتى استراحت العساكر، وارتحل منها طالبا
 مصر بالغانم التي اكتسبها. ثم بعد ذلك بمدة^٨ عزم على فتح طرابلس،
 ٥ تجهز لها العساكر وقصدها في عام ثمان^٩ وثمانين وستمائة، فحاصرها^{١٠}
 ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا، ورماها بالحجارة^{١١}، في الليل والنهار،
 إلى أن أخرج منها الديار. فكان مدة حصاره لها أربعة و ثلاثين يوما،
 وقيل أربعة وخمسون^{١٢} يوما. فحينئذ طلعت الصناجق^{١٣} المتصورة إلى
 المدينة، فقتلوا وأسروا و غنموا الغنائم الكثيرة، وهرب بعض الإفرنج^{١٤}
 ١٠ من البلد في المراكب دخلوا الجزائر، فحصل في قبضة السلطان منها
 ألف ومائتا^{١٥} أسير. وكانت الإفرنج^{١٦} ملكتها من المسلمين في سنة

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن : فرجع من قارا إلى .

(٣) في الأصليين : ففرحت .

(٤) زيد في بن [١٧١ : ب] : المسلمون .

(٥-٦) الجملة ساقطة من بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن ، و واردة في بن .

(٧) في بن : ثمانية . (٨) في بن : وحاصرها .

(٩) في بن : بالحجارة . - وهو الأصح ولكن تركناها كما في بر لضمان السجع .

(١٠) في بن : وخمسين . (١١) في بن : الصناجق . (١٢) في بن : الفرنج .

(١٣) في الأصليين : وماتى .

ثلاث وخمسمائة بعد أن حوصرت سبع سنين ، و صاحبها يومئذ أبو علي
عمار بن محمد بن عمار . فلما فتحها الملك المنصور قلاون ، أمر بخرابها^١
وهدم أسوارها ، فأخربت ديارها ، ورميت أسوارها . و أمر ببناء
طرابلس التي هي الآن بعيدة من الساحل عوضها . ورحل السلطان إلى
مصر مسرورا مؤيدا منصورا ، فأقام بقلعة الجبل إلى أن توفي^٢ سنة ٥
تسع وثمانين وستمائة ، ودفن [٢٢٤ : الف] بقبة المنصورية التي عمرها
له بأمره الأمير علم الدين الشجاعى ، و المدرسة و المارستان أيضا بين
القصرين بالقاهرة ، فكانت مدة مملكته إحدى عشرة^٣ سنة و ثلاثة أشهر
فولى ملك مصر بعده الملك الأشرف^٤ صلاح الدين خليل ابن الملك
المنصور قلاون .

١٠

[سلطنة الأشرف خليل]

و فى شهر شعبان سنة تسع و ثمانين وستمائة ثار جماعة من الإفرنج^٥
بعكا و قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين بها^٦ ، كانوا دخلوها بسبب التجارة ،
و أرسل^٧ أهل عكا يعتذرون للسلطان الملك الأشرف أن ما^٨ فعله

(١) فى بن : باخرا بها . (٢) زيد فى بن : فى . (٣) فى بن : احد عشر .

(٤) وسلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

(٥) فى بن : الفرنج .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) كذا فى بن و الكلمة فى بر : وأرسلوا .

(٨) فى الأصلين : إنما .

إلا جماعة من الإفرنج^١ الغرباء الذين أتوا عكا في هذه الأيام ، وإنه لم يكن عن رضائهم^٢ ولا أرادوه^٣ ، وكان ذلك من أقوى الأسباب في تجهيز السلطان الملك الأشرف بالعاكر وخروجه لحصار عكا في السنة المذكورة ، وزحفت العساكر على عكا ،^٤ ونصب عليها المجانيق . وقيل كان في أسرى المسلمين بعكا رجل بواق طالته إقامته عندهم ولم يقدر على الهرب ، فجعلوه بواقا لهم على السور ، فلما رمى منجنيق المسلمين على عكا لم يصل الحجر إلى السور ، بل بقي من وصوله نحو ذراع أو ذراعين ، فصار المسلم المبوق على السور يقول في بوقه : قدموا قدموا . وتكرر هذا اللفظ بصوته فيه ، ففهم مبوقوا* المسلمين قوله ذلك ، فأعلموا السلطان به ، فقال لأصحاب المنجنيق : قدموه ! فقدموه ورموا به رميا مترادفا فأخربوا جانبا من السور . وزحف المسلمون فدخلوها^٥ وملكوها^٦ بعون الله تعالى ، فقتلوا وأسروا وضموا غنائم كثيرة . وكان مدة حصارها أربعة وأربعين يوما وكان عليها نحو سبعين منجنيقا كبارا وصغارا . وأمر بإخربها^٧ فتواتر الرمي عليها بالمجانيق^٨

(١) في بن : الإفرنج . (٢) في بن : رضا منهم . (٣) في بن : ارادة .

(٤-٤) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة في بن ويكتمل الكلام بها ، وهي في بن [١٧١ : ب] .

(٥) في بن : مبوقين .

(٦) في بن : زحفت .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : فملكوها .

(٨-٨) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

فأخربت ، و هي الآن ا خراب ياب^١ ، و إلى جانبها طائفة من المسلمين
سكانا^٢ ، . . في جبلها مقطع^٣ الأرحية التي للطواحين^٤ . و وصل إلى
الملك الأشرف بعد فتحه لعكا مفاتيح صور و صيدا و بيروت و انطرسوس
و عدة قلاع أختلتها^٥ النصارى لعليهم أنهم بعد فتح السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيوب ليت المقدس و فتح السلطان الملك الظاهر لأنطاكية .
و فتح السلطان الملك المنصور قلاوون طرابلس و فتح السلطان الملك
الأشرف لعكا^٦ لم يبق لهم في برهم سكنى معهم^٧ ، فصاروا إذ ليس لهم
طاقة بالسكنى بين المسلمين ، فأخلوها و دخلوا جرر البحر سكنوها ،
و وصلت البشار إلى القاهرة بفتح عكا و إخراجها ، فزينت القاهرة أحسن
زينة ، و حصل عند العالم مسرة عظيمة بأخذ ثأر قتلى^٨ التجار المسلمين .
بها ، و بخرابها و طهارة سواحل المسلمين من الإفرنج^٩ الكافرين . و رحل
الملك الأشرف و أتى إلى القاهرة فدخلها^{١٠} من باب النصر و أسارى أهل

(١-١) في بر : حرابا يابا . . و لفظة « يابا » ساقطة من بن ، و ربما كانت
الكلمة « ياب » .

(٢-٢) في بن : و في جانبها قرى للمسلمين .

(٣-٣) في بن : الرحى و هي حجارة الطواحين .

(٤) في بن : احتلها .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) كذا في بن [١٧٢ : الف] ، و هي في بر : قتلا .

(٧) في بن [١٧٢ : الف] : الفرنج .

(٨) عن بن ، و في بر : دخلها .

عكا قدامه ، و شق المدينة و هى منخرقة بالزينة ، فدعوا الناس له
و هتّوه بالنصر إلى أن وصل إلى القصر .

^١ قال بعض العلماء : تكره التجارة إلى أرض العدو لأن فيه تغيرا
للإنسان بنفسه و ماله و إذلالا للدين و اعزازا للشرك أن تجرى أحكامهم
عليه ، و يرى الكفر جهارا و لا يأمن على نفسه من الفتنة ، و تكره
على ... ٣٠ أو يغدروه ، و كل ذلك منه الشرع و له في بلد المسلمين
مندوحة عن التعرض لهذه الأمور ، و قد قال النبي صلى الله عليه
و سلم : " السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدهم نومه و طعامه
و شرايه " .^٢

١ وكان الملك الظاهر بيبرس في دولته بلغه أن صاحب جزيرة قبرس
أتى بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفا من إتيان الملك الظاهر إليها ،
فأراد الملك الظاهر [٢٢٤ : ب] اغتنام هذه الفرصة ، فبعث جيشا كثيفا
في سبعة عشر شينى ليأخذوا جزيرة قبرس^٣ ، فسارت الشوانى سرعة

(١) في بن : فدعا .

(٢-٢) هذا القسم ساقط من برو و وارد في بن [١٧٢ : الف] .

(٣) مطموسة بالأصل .

(٤) الكلمة ساقطة من برو و واردة في بن .

(٥) في بر : ياخذوا - و في بن : يفتحوا .

(٦) في بن : قبرص .

- إليها ، فلما قربت من الجزيرة جاءتها ريح عاصف تصادمت بعضها لبعض فتحطم منها أحد عشر مركبا وغرق خلق ، وأسر من الصنائع والرجال قريبا من ألف وثمانمائة ، فأن الله وإنا إليه راجعون . فسار الملك الظاهر ونصب المجانيق على عكا ، فقال أهلها الأمان الأمان ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل عكا يوم عيد الفطر فتسلم حصنها . وكان هذا الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهو في وادي بين جبال . وقد كان الملك الظاهر سار^٢ إلى طرابلس الشام^١ ، فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها الملك ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم^٣ وأخرب بلادكم وأعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ، ووضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك .
- ١٠ ثم أن السلطان الملك الظاهر مات ، فلما كان في دولة الملك المنصور قلاون فتحها^٤ وفتح ولده الملك الأشرف عكا كما تقدم ذكره ، وفي رجب سنة إحدى وتسعين وستمائة ملك المسلمون قلعة الروم ، وأخذوا منها ألف أسير ، وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوما .

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر : صار .

(٣) في بن : زروعكم .

(٤-٤) ساقطة من بر ، وواردة في بن .

(٥) في بن : ذكر ذلك .

(٦) في الأصلين : كان .

١. وكانت الروم أسرت عبد الرحمن الأعشى الشاعر ، و بقى في أيديهم مدة ، ثم أن بنت العليج الذي أسره هويته^٢ فكنته من نفسها فواقعها في ليلة ثمان مرات ، فقالت : يا معاشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم؟ فقال : هكذا تفعل و أكثر من ذلك . فقالت : بهذا العمل نصرتم علينا ، أفرايت إن^٣ نصرتك و خلصتك تصطفيني لنفسك؟ قال : نعم ! فلما كان الليل حلت قيوده و أخذت به طريقا نجيا فيها و سارا إلى أن دخلا أرض المسلمين . و كان المهلب بن أقي صفرة كثير النكاح ، قال ابن قتيبة : يقال إنه وقع من صلبه إلى الأرض ثلاثمائة ولد ، و كان ميمون النقية لم يكن في جيش ، وكسر ذلك الجيش أصلا ، و كان يقول : الحياة خير من الموت ، و الثناء الحسن خير من الحياة ، و لو أعطيت ما لم يعط أحد لأحببت أن أكون أذنا أسمع بها ما يقال في غد إذا مت - انتهى .

و قبض السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل^٤ ابن الملك المنصور

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من برو و وارد في بن [١٧٢ : الف - ب] .

(٢) في الأصل : هويته .

(٣) في الأصل : انى .

(٤) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م .

فلاون على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة المنصورية ، و رسم
للأمير حسام الدين استادار ٢ و الطواشي بلال بأن ينزلوا إلى دار طرنطاي
و يطلعوا للقلعة بكل ما فيها ، فذكر بأن الذي أخرجوه منها
ستمائة ألف دينار مصرية و مائة و إحدى و سبعين قطارا دراهم و جميع
قماشه و عدته و سلاحه ، و لم يتركوا بالدار شيئا ، كان شيئا كثيرا ، ٥
و أخذ جميع خيله ٣ و جماله و مواشيه و ممالكه ، فأخذ السلطان بعض
ممالكه و فرق الباقي على الأمراء ، و أحيط على جميع موجوده مصر
و الشام ، و عوقب بعد ذلك ، و عمر بالمعاصير ، ر بقى في لعقوبة إلى
أن مات ، و بقى بعد موته أياما مرميا في المكان الذي مات فيه ، ثم
أنزلوه من القلعة إلى زاوية الشيخ ابن السعود بالقراة ، فغسلوه و كفنه ، ١
و صلوا عليه ، دفنوه قبلى الزاوية من ظاهرها . فلما كان في أيام السلطان
الملك العادل كتبغا رسم بنقله إلى تربته التى أنشأها بجوار داره و مدرسته
[٢٢٥ : الف] بالقاهرة فدفن بها .

(١) في بن [١٧٢ : ب] : نائب نائب السلطنة

(٢) كذا في بن ، و هى في بر : استادارا .

(٣) في بن : خيامه .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في الأصل بر : موجوده - و صحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٦) في بر : مرمى . و صحته في بن .

(٧) في بر : مرمى و في بن : موى .

(٦) في بن : مسعود .

و في ١ المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة توجه السلطان الملك
 الأشرف صلاح الدين خليل إلى الصيد ، و عدى نزل الأهرام ، و رحل
 يوم السبت خامسه و نزل على تروجه يوم الخميس ٠ و يوم ٢ السبت
 ثاني عشره قتل السلطان الملك ٣ الأشرف المذكور على تروجه ، قتله
 الأمير بدر الدين يدرأ نائب السلطان ٤ و جماعة من أكابر الأمراء
 المتفقين معه ، و كان ابن السلعوس من أعيان دمشق ، و كان الملك
 الأشرف في دولة أبيه الملك المنصور قلاون سافر إلى دمشق ، فقدمه
 ابن السلعوس خدمة بالغة و أكرمه إكراما جزيلا ، فلما توفي الملك
 المنصور قلاون ، و ولي الملك الأشرف استوزره ، فتمكن ابن السلعوس
 ١٠ في الوزارة و شمع بأفنه على الأمراء ، و كان علم الدين الشجاعى نائبا
 للسلطان الملك المنصور قلاون و نائبا أيضا لولده الملك الأشرف بعده ، فركب
 ابن السلعوس المذكور ٣ بحمقه ٦ رقاب الأمراء حتى الشجاعى أيضا ،
 و استطال عليهم بتقدمه عند السلطان ٧ و قر به منه ٨ فكرهته الأمراء

(١) في بن : في ؛ بسقوط واو العطف مع استمرار الكلام السابق فيتنغير معنى العبارة .

(٢) في بن : و في يوم .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : السلطنة .

(٥) في بن : الأكابر .

(٦) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٧-٧) الكلمتان ساقطتان من الأصل بر و واردتان في بن .

وتمت له العثرات ، فقال بعضهم في المعنى :
تبصر يا وزير الملك واعلم بأنك قد وطأت على الأفاعى
فإنك تك سألما منهم فاني أخاف عليك من لدغ الشجاعى
فلما نزل السلطان الملك الأشرف على تروجه بسبب الصيد و القنص ٢ ،
ترجعه ابن السلعوس إلى الإسكندرية ، وقد استصحب معه حملين مقارع ٥
بسبب مصادرة ٣ كبار أهلها ٣ ، فدخلها آخر النهار ، وكان المتولى بها
إذ ذاك الأمير حسام الدين بن ماخل ، فعنفه الوزير المذكور و شتمه ٦
وقال له : غدا أضربك بالمقارع . تخاف منه وخافت أهل الإسكندرية
منه أيضا خوفا شديدا بسبب إتيانه لهم بالمقارع لآخذ أموالهم منهم
بظلمه وعنفه ، فبانت الناس في كرب شديد لما يصبح يفعله ٧ بهم . فلما ١٠
قتل الأمير بيدرا الملك الأشرف ٨ بعد العصر ٩ و بعد دخول ابن السلعوس
إلى الإسكندرية ١٠ وقت العصر ١١ ، أتى بدوى في الليل إلى الطاق التى بدار
الإمارة فى السور . صاح ففتح الأمير الطاق وقال : ما الخبر ؟ فقال :
أيها الأمير تعيش و تبقى ١٢ فى السلطان فإنه قتل وقت ١٣ العصر وقد

(١) فى بن : و تصفوا . (٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : أعيانها .

(٤) فى بن : يفعل .

(٥-٥) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .

(٦-٦) الكلمتان ساقطتان من بن .

(٧) فى بن : و تبقا .

(٨) فى بر : بعد .

أتيت^١ مطردا بخبر قتله فانظر لنفسك . فضى الأمير إلى منزل الوزير
 ابن السلعوس^٢ ودق الباب ، فخرج [٢٢٥ : ب] له الطواشى فقال : من
 أنت ؟ قال^٣ : أنا الأمير^٤ ابن باخل ، فقال : ما تريد ؟ قال^٥ : أريد الاجتماع
 بمولانا الوزير . فأخبره الطواشى بذلك ، فقال : قل له يا شيخ النحس
 ه جئت ه في هذا الوقت ه تبرطلى ، غدا أضربك^٦ بالمقارع . فبلغه
 الطواشى^٧ الرسالة ، فقال^٨ للطواشى : قل له جاءك^٩ في أمر أهم^{١٠} من البرطلة^{١١}
 وفيه مصلحتك لا مصلحتى . فأعلمه الطواشى بذلك فخرج إليه فقال له :
 ما الذى أتى^{١٢} بك في هذا الوقت ؟ فقال له :^{١٣} أمر مهم . فقال : وما هو ؟
 قال^{١٤} : يا مولانا الوزير انظر في أمرك فان مولانا السلطان قتل بالأمس

(١) في بن : أتيتك .

(٢) في بن : سلعوس .

(٣) في بن : فقال .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) الكلمات ساقطة من بن [١٧٢ : الف] .

(٦) كذا في بن ، وهى في بر : يضربك .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بر : قل . والكلمة لا محل لها في السياق فأسقطناها لاستقامة العبارة .

(٩) في بن : أتاك .

(١٠-١٠) في بن : بما ذكرت .

(١١) في بن : أتا .

بعد^١ العصر ، ونفذ حكم الله فيه ، وقد أتاني الخبر مع بحّاب الآن بذلك . فلما سمع الوزير كلامه^٢ كشف رأسه وانكب على رجل^٣ الأمير يقبلهما^٤ ، وقال : يا أمير الجيرة^٥ أخرجني في هذه الساعة لئلا يقتلني أهل الإسكندرية غدا بالحجارة . فعند ذلك طلب الأمير الأجناد والجبليّة سلّمه لهم^٦ وقال : احتفظوا به إلى أن توصلوه^٧ وطاق السلطان^٨ بتروجه . فلما وصل الوزير إلى^٩ الوطاق ، ظفر به الأمير علم الدين الشجاعى ، فلم يزل يضربه بالمقارع إلى أن مات^{١٠} . وكانت مده مملّكة^{١١} الأشرف ثلاث سنين و شهرين وستة أيام . ولما وصل خبر قتله^{١٢} إلى الوطاق ركب الأمير حسام الدين استادار الأمير زين الدين كتبغا والمعالبك السلطانية و التقوا مع الأمير يدرا قتلوه وهرب من كان معه . ووصل^{١٣}

(١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : كلامك .

(٣) في بن : أقدام .

(٤) في بن : قبلها .

(٥) زيد في بن [١٧٣ : الف] : يا أمير .

(٦) في بن : إليهم .

(٧) زيد في بن : إلى .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

(٩) في بن : هلك .

(١٠) في بن : مقتل السلطان .

الخبر إلى القاهرة بقتل السلطان ' وهو يتصيد ' فغلقت القاهرة و مصر
' وفي يوم الإثنين رابع عشر المحرم أحضروا رأس ييدرا على رمح
وطافوا به مصر و القاهرة ، ثم علقوها على باب داره ' .

[سلطنة الناصر محمد الأولى]

وفي يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم سنة ثلاث و تسعين و ستمائة
ش^١وا في تحليف العساكر المنصورة للسلطان الملك الناصر محمد^٢ بن الملك
المنصور قلاون و عمره يومئذ تسع سنين كاملة . وفي هذا النهار قبض
على الأمير بهاء^٣ الدين رأس نوبة و على اقوش الموصلى الحاجب . وكانا^٤
من جملة الأمراء المخامرين ، و طلعوا بهم القلعة ، فعند وصولهم إلى
القلعة قامت إليهم الممالك السلطانية قتلوهم و قطعوا رؤسهم و علقوها
على أبواب دورهم . ثم أن الحرافيش سحبا جثثهم و أحرقوهم في أقمعة
الجير . وفي هذا اليوم وقع الاتفاق على أن يكون الأمير زين الدين
كتيغا نائب السلطنة المعظمة و الأمير علم الدين الشجاعى و زيرا^٥ ، فقتل
الشجاعى وقت العصر من يوم السبت تاسع عشر المحرم [٢٢٦ : الف]

(١-١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢-٢) العبارة تأكلها ساقطة من بن .

(٣) و سلطنته الأولى ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ = ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م .

(٤) كذا في بن ، وهى في ر : بهاء .

(٥) في بن : وكان .

(٦) في الأصل : وزير .

من السنة المذكورة ، وطيف برأسه على رمح . ٥٩٣٤٧
 وفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ركب^١
 المماليك السلطانية المقيمون^٢ بالكبش أحرقوا باب سعاد - أحد أبواب
 القاهرة - ودخلت المماليك المذكورون^٣ منه إلى سوق السلاح كسروا
 الدكاكين وأخذوا ما احتاجوا إليه من جواشن وخوذ وطوارق وسيوف ،
 ثم خرجوا إلى ظاهر^٤ باب زويلة كسروا دكاكين برّبع الأمير زين الدين
 كتبغا وهو يومئذ نائب السلطنة المعظمة ، وأخذوا منها سروجاً مدهبة
 وعدداً ، ثم ركبوا واجتمعوا تحت القلعة إلى بكرة يوم الثلاثاء ، فلم يتم
 لهم مرادهم ، فنزل إليهم الأمراء من القلعة حملوا عليهم فكسروهم ، وقتل
 منهم جماعة وأسروا الباقين ، ومسك مقدميهم قطع^٥ أيديهم وأرجلهم ،
 وكل^٦ بعضهم بالنار ، وقطعت ألسنة بعضهم على باب زويلة . ٣

[سلطنة العادل زين الدين كتبغا]

وفي يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة

- (١) في بن : ركب .
- (٢) في الأصلين : المقيمين .
- (٣) في الأصلين : المذكورين .
- (٤) الكلمة ساقطة من بن .
- (٥) وردت الكلمة في الأصلين بدون ألف التنوين .
- (٦) في بن : قطعت .
- (٧) كذا في بن ، وهي في بر : كلوا .

ركب الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة من دار النيابة فرسا بالرقبة^١ والكنبوش، وحملوا^٢ الغاشية^٣ قدامه، ومشى الأمراء في خدمته، ودخل الإيوان الكبير، وجلس على كرمى المملكة، وتقلد السلطنة، وتلقب بالملك العادل^٤. وأخلع على الأمير لاجين، وولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية، وأخلع على الأمير عز الدين الأفرم وجعله جان دار. وفي شهر شوال سنة أربع وتسعين وستمائة ابتداء الوخم والموت، وكان أكثره في الصعاليك بسبب الغلاء. وكان القمح في هذا الوقت بخمسة وسبعين درهما نقرة الأردب بالكيل المصرى. وفي تلك السنة بلغ النيل ستة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعا. ثم زاد^٥ السعر^٦ فبلغ^{١٠} القمح^٦ مائة^٧ وعشرة دراهم نقرة الأردب بالكيل المصرى. وبلغ رطل اللحم المصرى درهمين^٨ نقرة. وفي ذى الحجة^٩ من السنة المذكورة^٩

(١) في بن: بالرقبة.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) في بن: والغاشية.

(٤) سلطنة العادل زين الدين كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ = ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م.

(٥) في بن [١٧٣: ب]: ازداد.

(٦-٦) في بن: في القمح فبلغ.

(٧) زيد في بن: درهم.

(٨) في بر: درهمان. وفي بن: بدرهمين.

(٩-٩) في بن: وهي سنة أربع وتسعين وستمائة.

ازدادت الأسعار ، فبلغ القمح مائة و ثلاثين^١ درهما^٢ نقرة الأردب بالكيل المصرى . ٣ وفى صفر سنة خمس و تسعين و ستائة بلغ القمح بالكيل المصرى ٣ مائة و خمسين درهما نقرة الأردب ، والخبز رطل و نصف مصرى بدرهم نقرة . و كان كل ترأس يحمل فى زمن النخشب أردبا على كتفه ، فصار يحمل ربع أردب لضعفه بسبب الجوع . و بلغ ٥ الرطل اللحم الجروى وهو رطلان^٤ و سدس رطل بالمصرى تسعة دراهم [٢٢٦ : ب] نقرة بالإسكندرية . و كانت^٥ العربان بها تلعب^٦ عد ذبح الخرفان دمه^٧ . و مات من إصعاليك بسبب الجوع خلق كثير ، و حفرت لهم الحفائر ، فدفن فى كل حفرة جماعة كثيرة . ثم اشتد الغلاء بمصر ، فهلك كثير^٨ من الفقراء و الأغنياء . ثم عقبه فناء ١٠ عظيم حتى قيل إن السلطان الملك العادل كتبنا كفن من ماله فى مدة مسيرة نحو^٩ من^{١٠} مائتى ألف ميت و عشرين ألف ميت . و أكلت

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : و ثلاثون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) فى الأصلين : رطلين .

(٥) عن بن ، و فى بر : و كان .

(٦-٦) فى بن : دم الخراف حين ذبحها بالمجازر .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : كثيرا .

(٨) فى الأصلين : نحو .

الناس الكلاب و' الميتات ، و أكلت الناس ' من الأطفال ' شيئا كثيرا ' ،
 يشوى ٣ الوالدان ولدهما ٣ و يأكلانه . و كثر' هذا في الناس حتى صار
 لا ينكر بينهم حتى صاروا يحتالون على بعضهم البعض ، و يأكلون من
 يقدرون عليه . و كان الرجل يضيف صاحبه ، فإذا خلا به ذبحه و أكله .
 ه و وجد عند رجل نحو من أربعمئة رأس أكل هو ، عياله أجسادها .
 و هلك كثير من الأطباء الذين يستدعون إلى المرضى فيذبحون و يؤكلون .
 * و قد استدعى^٦ رجل طيبا فذهب معه على وجل ، فجعل الرجل يتصدق
 على من وجدته في الطريق و يذكر و يسبح و يكبر ، فارتاب الطبيب ،
 و مع هذا حمله الطمع على الاستمرار معه . فلما وصل الدار إذا هي
 ١٠ خربة ، فاشتد خوف الطبيب ، فخرج رجل من الدار فقال لصاحبه :
 ما هذا البطء^٧ ، جئتنا بصيد ؟ فلما سمع الطبيب هرب * .

[سلطنة حسام الدين لاجين]

و في المحرم سنة ست و تسعين و ستمائة كان الملك العادل كتبنا

(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢-٢) في بر : شىء كثير . و في بن : خلق كثير .

(٣-٣) في بر : الوالد ولده . و في بن : الوالدين ولدهما .

(٤) في بن : و كثير .

(٥-٥) هذه العبارة بكاملها ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في الأصل : استدعا .

(٧) في الأصل : المطو .

بدمشق ، فخرج طالبا الديار المصرية ، فركب الامير حسام الدين لاجين نائب السلطان بمصر و الامراء في خدمته ، و قصدوا الملك العادل كتبغا وهو بالدهليز ، فلما قربوا و علم منهم أنهم قد عملوا عليه ، خرج و ركب في قمر يسير من مماليك و طلب نحو دمشق ، فخلعوه من الملك ، و تسلطن الامير حسام الدين لاجين^١ و لقب بالملك المنصور . و توجه الملك العادل كتبغا من قلعة دمشق إلى صرخد يقيم بها . و ركب الملك المنصور لاجين ، و هو أول يوم ركوبه إلى الميدان ، فينما هو يلعب الكرة و إذا به تقنطر من على فرسه ، فانكسرت يده ، و أقام مدة أربعين يوما لم يركب .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء : و لما اجتمعت ' بالسلطان الملك ' ١٠ المنصور لاجين حين توجه للعافية قلت له : يجب عليكم الشكر لله تعالى^٢ على العافية و أن الله سبحانه قد قرن دولتكم بالرغاء فانشرحت قلوب الرعايا لكم ، و الرغاء أمر لا يستطيع تكسبه و لا استجلابه^٣ كما يتكسبون العدل و الجود و العطاء . فقال : و ما هو الشكر ؟ قلت : الشكر على ثلاثة أقسام ، شكر اللسان ، و شكر الاركان ، و شكر الجنان ؛ فشكر ١٥

(١) سلطنته ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ = ١٢٩٦ - ١٢٩٨ م .

(٢-٢) في بن : بالملك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : استجلابه . و هو خطأ قلمي واضح .

اللسان التحدث بنعم الله ، قال الله سبحانه " و أما بنعمة ربك فحدث " ١ ،
و شكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال [٢٢٧ : الف] الله سبحانه " اعملوا
أل داود شكرا " ٢ ، و شكر الجنان الاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد
من العباد من الله سبحانه ٣ ، قال الله سبحانه " وما بكم من نعمة
ه فبن الله " ٤ .

ووصل السلطان * الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون *
إلى الكرك من القاهرة ، و كان الملك المنصور لاجين سيّره إلى الكرك
من العشر الأخير من ربيع الأول سنة ست و تسعين و ستمائة ليقيم بها ،
و توجه به في خدمته ، منهم الأمير سيف الدين سلار و هو يومئذ استاداره ٥ ،
١٠ فأوصله إلى الكرك و عاد إلى القاهرة . و في ربيع الأول سنة ثمان
و تسعين و ستمائة قتل السلطان الملك المنصور لاجين . قتله الأمير سيف الدين
كرجى مقدم الممالك السلطانية و جماعة متفقون ٦ معه ، فسكوا الأمير
منكوتمر نائب السلطنة و اعتقلوه ٧ في الجب بالقلعة ، ثم أخرجوه
و ذبحوه .

(١) قرآن كريم ١١ : ١١٠ .

(٢) قرآن كريم ١٣ : ٢٤ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٦ : ٥٣ . و زيد في بن بعد ذلك : انتهى ، فعود .

(٥-٥) في بن [١٧٤ : الف] : محمد بن المنصور

(٦) في بن : استاداره .

(٧) في الأصلين : متفقين .

(٨) في بن : و اعتقل .

[سلطنة الناصر محمد الثانية]

ثم اجتمع^١ الأمراء الكبار مثل يسبرس ششنكير و سلا ر مدبروا^٢ الدولة و اتفقوا على أن يطلبوا السلطان^٣ الملك الناصر محمد^٤ من الكرك و يولوه السلطنة ثانيا^٥ . و أتت البشار إلى القلعة بخروج الملك الناصر من الكرك . فوصل إلى القاهرة ليلة السبت من شهر^٦ ٥ سنة ثمان و تسعين و ستمائة ، فبات باقى ليلته فى الإصطبل ، و طلع بكرة النهار إلى القلعة . و أخلع على الأمير سلا ر و ولاء نيابة السلطنة^٧ بالديار المصرية ، و فرق الخلع على الأمراء المقدمين و الأعيان^٨ و القضاة و الدواوين الكبار و من جرت عادته بالخلع عند جلوس الملك على كرسي الملك . فكث السلطان مدة و ششنكير^٩ و سلا ر حاكين عليه حتى ١٠ قيل إنه كان يطلب أوزة^{١٠} مشوية لم تعط^{١١} له حتى يشاوروا عليها

(١) عن بن ، و فى بر : اجتمعوا .

(٢) فى الأصلين : مدبرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٥) سلطنته الثانية ٦٩٨ - ٧٠٨ = ١٢٩٨ - ١٣٠٨ م .

(٦) بياض بالأصلين .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) فى بن : و ششنكير .

(٩) فى بر : وزه . و هى كما أوردنا فى بن .

(١٠) كذا فى بن ، و هى فى بر : تعطى .

سلار و ششكير^١ ، فضجر السلطان من ذلك و طلب^٢ السفر إلى^٣ الحجاز الشريف ، فطلع من التيه إلى الكرك أقام به ، و التيه بين الشام إلى أرض مدين ، فأقام السلطان بالكرك ينتظر الفرج من ربه ، و لسان حاله يقول :

ه اصبر على الضيق إن أصبحت منغصا

في الضيق من لجج تهوى إلى لجج

فما تجزع كأس الصبر معتصا

بالله إلا أتاه الله بالفرج

[سلطنة بيبرس ششكير]

١٠ ثم أن بيبرس ششكير^١ تسلطن و لقب بالملك المظفر ، و أقام في الملك مدة يسيرة .

[سلطنة الناصر محمد الثالثة]

ثم أن أمراء الشام الكبار أتوا إلى الكرك أخذوا الملك [٢٢٧ : ب] الناصر محمد^٢ و أتوا به إلى مصر ، فهرب بيبرس ششكير^١ إلى الصعيد ، فأدرسته الأمراء فقلته^٣ . ثم أن السلطان^٤ الملك

(١) في بن : جاشنكير .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) عن بن ، و هي ساقطة من بر .

(٤) في بن : جاشنكير . و سلطنته ٧٠٨ - ٧٠٩ = ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م .

(٥) سلطنته الثالثة ٧٠٩ - ٧٤١ = ١٣٠٩ - ١٣٤٠ م .

(٦) عن بن ، و في بر : قتلته .

(٧) ساقطة من بن .

الناصر محمد حبس سلا رين حائطين قائمين أمر بينائهما عليه ومنعه
 من^١ الطعام في الليل والنهار لمخامرته مع ششنيكير^٢ عليه ، ولما قصده
 أيضا للناس^٣ من الغلاء بخزنه شون القمح يطلب فيه السعر الكثير .
 فقيل : إنهم كانوا يأكلون الحشيش بربع درهم نقرة الوقية ، فما يأكلون
 الخبز بربع درهم نقرة الرغيف^٤ ، فكان^٥ يصرخ في مجلسه و يقول^٦ :
 الجوع الجوع . فأرسل السلطان له طبقا فيه دنانير^٧ وقال للحامله :
 قل له^٨ يقول لك السلطان كَلَّ من هذا الطعام الذي كنت^٩ تحبه
 وتحب^٩ جمعه و تسميته من الغلاء الذي كنت^٩ تريده للسليين . فقيل :
 إنه صار يعضغ^{١٠} أخفافه و ينهش بأسنانه أكتافه من الجوع ، ولم يزل
 يصيح : الجوع الجوع ، حتى هلك بالجوع^{١١} .

١٠

- (١) ساقطة من بن .
- (٢) في بن : جاشنيكير .
- (٣) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٤-٤) العبارة كلها ساقطة من برو واردة في بن .
- (٥) كذا في بن ، وهي في بر : أنه كان .
- (٦) في بن : و يصيح .
- (٧) في بن : ذهب .
- (٨-٨) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٩-٩) في بن : تحب .
- (١٠-١٠) في بن : أكتافه و ينهشها بأسنانه من الجوع حتى أهلكه الله تعالى بالجوع .

و سأذكر الآن ما وقعت عليه من كثرة الأموال^١ التي وُجِدَتْ
 لسار حين القبض عليه ، وحلت إلى القلعة ، وهي قائمة مباركة يعتبر بها
 المعتبرون ، و يتفكر فيها المتفكرون ، بالذي وجد للأمير^٢ سار ،
 ونقل إلى^٣ قلعة الجبل بالقاهرة المعزية^٣ : أول يوم - صناديق جوهر^٤
 ٥ ثمانية ، صناديق ياقوت أحمر بهرمان^٥ أربعين رطلا بالرطل المصرى ،
 بلخش محكوك ثمانية وستين رطلا^٦ ، زمرد ريماني ثمانية وستين أرطالا^٦ ،
 فصوص ماس وعين هر خمسة آلاف فص ، لؤلؤ كبار كل حبة مثقالين
 ستة آلاف وخمسين حبة ، ذهب مصرى أربعين ألف دينار ، دراهم
 مائة ألف ألف^٧ درهم وعشرين ألف درهم . ثانى يوم -^٨ أواني ذهب^٨
 ١٠ ثلاثة وعشرين قنطارا ، أواني فضيات مثل أطباق و طاسات^٩ و هواوين
 و طشوت وغيرها مائة وعشرين^{١٠} قنطارا ، عقود و حلق و دمالج

(١) فى هامش بر: تركة سار .

(٢) زيد فى بن: سيف الدين .

(٣-٣) فى بن: القلعة بالقاهرة .

(٤) فى بن: جواهر .

(٥) فى بن: بهرمان .

(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب] .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨-٨) فى بن: ذهبيات .

(٩) الكلمة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(١٠) فى بن: وعشرون .

ثلاثمائة وستين^١ رطلا ، دراهم ثمانية آلاف ألف وتسعة آلاف درهم ،
 ذهب مصرى مائة^٢ ألف دينار . ثالث يوم - زركش عمل الإبرة سبعة
 وسبعين رطلا بالدمشقي والرطل الدمشقي أربعة أرطال مصرية ، ذهب
 مصرى خمسة وسبعين ألف دينار ، دراهم ثمانمائة ألف وخمسة وعشرين
 ألف درهم ، قاش أطلس ألف وسبعمائة بغلطاق ، مزركشات^٣ قبة^٤ ٥
 وخشاخيش نمرو^٥ وقاقم^٦ سبعمائة قبا . رابع يوم - ذهب مصرى
 مائة ألف وخمسة وأربعين ألف دينار ، دراهم تسعمائة ألف درهم ،
 سروج مذهبة بجوهرة ثمانمائة سرج ،^٧ سروج زرخونى مذهبة سبعمائة
 سرج^٨ ، سروج زرخونى بفضة مذهبة^٩ [٢٢٨ : ألف] تسعمائة وخمسين
 سرج . ووجد عنده ثمانية^{١٠} صناديق ما يعلم ما فيها ، غير أنه حمل منها إلى
 الخزانة ثانى يوم حوايص وبنود كاشات عليها رنك الملك الأشرف
 صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاون وذلك خمسمائة قطعة ،
 منها حوايص ثلاثمائة ، بنود^{١١} وكاشات مائتين . والذى وجد له بالشوبك :

(١) فى بن : وستون .

(٢) الكلمة ساقطة من بن

(٣) فى بن : مجركسات .

(٤) فى بن : اقية .

(٥) فى بن : نفرو .

(٦) فى بن : وقايم .

(٧-٨) ساقطة من بر و واردة فى بن [١٧٤ : ب]

(٨) فى الأصليين : ثمان (٩) فى بن : و بنود .

ذهب مصرى خمسة وتسعين ألف دينار، دراهم ستمائة ألف وتسعين ألف درهم، سروج مذهبة بلؤلؤ خمسمائة سرج،^١ خلع كنجى طرد وحش ألف وستمائة بغلطاق^٢، خيول عربية ألف وسبعمائة وثمانين فرس، أكاديش وحجورة سيديات ألفين^٣ وسبعمائة، بغال للحمل ٥٠٠ مائة وعشرين قطارا^٤، هجن بكيران فضة سبعمائة هجين، جمال للحمل ألف ومائتى جبل. وذلك خارجا عما هو للنساء من ذهب وفضة وقاش. ووجد بعد ذلك فى داره أربع^٥ فساقى من ذهب وفضة حملت^٦ ما يعلم^٧ وزنها. ومات بحسرة كسرة خبز^٨ يسد بها جوعه^٩، إن فى ذلك لبرة لأولى الأبصار. فانظر إلى سعة هذه الدنيا العريضة التى كانت ١٠ لسلار، ومات بحسرة رغيف بارد أو حار.

لما دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه مسدأنا
الأكاسرة بعد أن دارت عليهم الدائرة لينظرها بعد زوال ملكهم
وهلكهم، تمثل بعض أصحابه يقول:
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

(١-١) ساقطة من بن.

(٢) عن بن، وفى بر: ألفى.

(٣) فى بن: قنطارا.

(٤) عن بن، وفى بر: أربعة.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦-٦) فى بن: لم نعلم.

(٧-٧) ساقطة من بر وواردة فى بن.

إن التعميم و كل ما يلهمي بهم يوما يصير إلى بلا و تفاد
فقال على : لا تقل هكذا و لكن قل : قال الله تعالى : "كم تركوا من
جنت و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فكهين . كذلك
اورثوها قوما اخرين . " هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين . ^٢ قال
بعضهم في المعنى :

قد تلذذت مدة بأمور فتدريتها فكانت خيالا
قال عمر بن ذر : عباد الله لا تغتروا بطول حكم الله و احذروا ٣٠٠٠٠
فقد سمعت قوله سبحانه و تعالى : "قلنا اسفونا اتقمنا منهم فاعرقتهم" .
و قال بعضهم لحبيب العجمي : ليتنا لم نخلق . قال : قد وقعتم فتحيوا في
الخلاص بطاعة الله و التمسك بأوامره و النهي بعاصيه ، يا رب غفرانك ١٠
عن مذب أسرف إلا أنه نادم . قال : إن الحكمة في إخراج آدم من
الجنة بسبب أكله من الشجرة التي نهاه الله عن أكلها فأكل منها ، إنه
كان في صلبه من لا يستحق الولاية و لا يصلح لحضرة القدس ، فاذا
أخرجهم من صلبه أعاده إليها خالدا فيها . عن عثمان بن منه قال : سمعت
ابن عطاء يذكر أن آدم كان نسلا من نسل الجنة ، فسبانا إبليس بالخطية ١٥
إلى الأرض ، فليس ينبغي الفرح في الدنيا و لكن الحزن و البكاء ما دمنا

(١) قرآن كريم ٤٤ : ٢٥ - ٢٨ .

(٢ - ٢) من هنا إلى قوله « نعود » ساقط من بر و وارد في بن [١٧٤ : ب -
١٧٥ : الب] .

(٣) بقية الكلمة مطموسة .

(٤) قرآن كريم ٤٣ : ٥٥ .

في دار الدنيا حتى نردا إلى الدار التي منها سينا . قال الشاعر :
 متك قسا ٢٠٠٠٠٠ سبل الرجاء فهنّ غير قواصد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى عرف الجنان بها و فوز العابد
 ونسيت أن الله أخرج آدم منها إلى الدنيا بذنب واحد
 ٥ نعود ٣ ، ثم أقبلت بعد زوال ملكة الكسروية الدولة الإسلامية
 قهرتها وأفتتها ، وكذلك قهرت الدولة الإسلامية الدولتين الرومية
 والقبطية ببركة سيدنا محمد خير البرية ^٦ الذي ذكرته الأخبار المتقدمة
 في كتبها كما قال عبد المطلب بن هاشم حين حضرته الوفاة يوصي
 ولده أبا طالب ^٧ بمحمد صلى الله عليه وسلم ^٨ :

١٠ أوصي أبا طالب خيرا بذى رحم محمدا وهو بين الناس محمود
 هو الذي تزعم الأخبار أن له أمرا ^٩ سينصره نصر ^{١٠} وتأيد
 في كتب عيسى وموسى ^{١١} منه بينة فيها تحدثنا القوم العبايد ^{١٢}

(١) في الأصل : نردا .

(٢) في الأصل « طنه فاعمها » ناقصة النقط و غامضة فأثرنا نقلها للهامش وترك
 مكانها بياضا .

(٣) كذا في بن ، وفي بر : انتهى .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في بن [١٧٥ : الف] : دولتي .

(٦-٧) العبارة ساقطة من بن . (٧-٧) من بن ، وفي بر : به .

(٨) في الأصلين : امر (٩) في الأصلين : نصرا .

(١٠-١٠) في بن : موسى وعيسى .

(١١) الكلمة ساقطة من هامش بن غالبا في عملية القص بالتجليد .

يعنى بالعبايد أخبار اليهود و رهبان النصارى المنتظمين فى الديارات
و الكنائس للعبادة ، أحدهم عابد و الجمع عبايد - انتهى .
نعود - ثم استقر ملك الملك الناصر محمد و ثبت أمره بعد سلا ر
و ششكير^١ ، فهرب منه الأمير قراسنقر و الأفرم^٢ و الزرد كاش
الثلاثة أمراء^٣ إلى بغداد و صاحبها يومئذ^٤ السلطان قازان . و كان الأمير
قبجق نائباً للسلطان الملك الناصر محمد بحماة ، ولما^٥ بلغه أمر سلا ر و ششكير^٦
بما فعلاه بالملك الناصر محمد كما تقدم ذكره اغتاض و حلف ليأتين
بالتتر إلى الشام ، فتوجه إلى بغداد حين كان^٧ سلا ر و ششكير^٨
لهما^٩ الأمر و النهى عليه^٩ ، فاجتمع بقازان و رغبه فى الشام ، فجمع
قازان^{١٠} الجيوش ؛ و استنجد بالكفور ملك نصارى الأرمن ، فدخل^{١٠}
قازان الشام فى ثلاثمائة ألف ، فلك الشام و دمشق^{١١} و لم تطعه

(١) فى بن : ششكير .

(٢) فى بن : و الأمير الأفرم .

(٣) عن بن ، و فى بر : أمر إلى .

(٤) فى بن : إذ ذاك .

(٥) فى بن : فلما .

(٦) فى بن : ششكير .

(٧) زيد فى بن : الأمر و النهى لسلا ر - الخ .

(٨) فى بن : جاشنكير .

(٩-٩) ساقطة من بن .

(١٠) زيد فى بن : الجموع و جيش .

(١١) ساقطة من بن .

الحصون ولا قلعة دمشق . فقدم الأمير قبجق على فعله ذلك حين بلغه أن السلطان الملك الناصر قد استقل بالملك وانتصر على سلاز و ششكير^١ و قتلها بعد أخذه لأموالها . و كان قازان لما قدم بجيوشه إلى الشام في سنة تسع و تسعين و ستمائة و نزل بظاهر دمشق ، أتاه هـ التكفور ملك الأرمن قال^٢ له : أيها الملك خذ مني ثلاثين حملا ذهباً^٣ و دعني أدخل دمشق بعسكري من أحد أبوابها و أخرج من الباب الآخر . و كان الشيخ تقي الدين بن التيمية^٤ الفقيه^٥ الحنبلي جالسا بمجلس قازان حينئذ ، فلما سمع مقالة التكفور تلك^٦ قال لقازان : أمسلم أنت ؟ قال : نعم . قال : إن أموالنا و دماءنا عليك حرام ، و نحن نعطيك ستين حملا^٧ ذهباً و لا تمكن هذا النصراني من المسلمين . فرضى قازان بذلك و منع التكفور من العبور . فاجتمع لقازان من أموال أهل دمشق ستون^٨ حملا ذهباً . و دبر الأمير^٩ قبجق الحيلة حتى رجع قازان إلى بغداد بعد أن أقام على دمشق خمسة^{١٠} أشهر - انتهى .

(١) في بن : جاشنكير .

(٢) في بن : و قال .

(٣) في بن : من الذهب .

(٤) في بن : تيمية . و هو معروف أكثر بغير أداة التعريف .

(٥) في بن : العالم .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصولين : ستين .

(٨) في بن : للأمير .

(٩-٩) الكلمتان ساقطتان من بن .

و قال^١ الشيخ بهاء^٢ الدين بن سواد صاحب ديوان الإنشاء بحلب في السيرة السلطانية الملكية الناصرية: إن قازان لما وصل إلى دمشق بما جمع من عساكر العجم و خراسان ، خرج إليه منها جماعة من الأعيان ، و قدموا له التقدّم المقتخرة الحسان ، و طلبوا منه [٢٢٩ : الف] الصّح و الأمان ، فحسّن الأمير قبجق إلى السلطان قازان قبول تقديمهم^٣ ، و إجابة^٤ سؤلهم ، و أشار عليه بتحقيق قصدهم و آمالهم . و قصد بذلك سلامة الرعية و حفظ البلاد ، و حسن له الرجوع إلى بغداد ، فرجع و ترك بالشام نوابه . فأرسل الأمير قبجق إلى السلطان^٥ الملك الناصر محمد^٦ يقول له : إن الفعل الذي فعلته لم يكن إلا لأجلك بسبب فعل سلاّر و ششكير^٧ بك ، فترسل نجدة إلى الشام لنخرج نواب قازان منه . . ١٠ . فأرسل السلطان نجدة أخرجهم منه ، فلما بلغ قازان ذلك عزّ عليه ، و جهز جيشا أرسله إلى الشام في سنة اثنتين^٨ و سبعمائة ، فالتقى^٩ المسلمون و التتر على شقحب ، فانكسرت التتر كسرة شنيعة ، فقال بعضهم من

(١) في بن : قال .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : بهاء .

(٣) في بن : هديتهم .

(٤) ماقطة من بن .

(٥) زيد في بن [١٧٥ : ب] : بن قلاون .

(٦) في بن : جاشكير . و زيد فيها بعد الكلمة : بما فعلا بك أما الآن .

(٧) عن بن [١٢٥ : ب] ، و في بر : اثنين .

(٨) في الأصلين : فالتقت .

قصيدة مدح بها الناصر محمد :

في شقحب حوز الرؤس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز قاهر
واستقر حيثئذ ملك مصر و الشام للـك الناصر محمد ، فاهتم قازان
لذلك ، و حصل له مرض ١ مات منه ٢ ، فولى الملك بعده أخوه محمد
٥ خذا بنذا . و سأذكر ٣ فيما يرد من هذا الكتاب خبر ٤ خذا بنذا في دخوله
الشام و صلحه مع الملك الناصر محمد ٥ إن شاء الله تعالى .
و في ثالث عشر رجب سنة سبع مائة ٦ رسم السلطان الملك الناصر
محمد ابن الملك المنصور قلاوون أن تلبس اليهود العمام الصفر ، و السمرة
العمائم الحمر ، و النصارى العمام الزرق ، لـتـمـيـزوا بذلك ٧ و يعرفون به ٨ ،
١٠ فاستمروا على لبس ذلك إلى الآن ، فقال أحمد بن أبي المحاسن الطيبي
في ذلك :

تعجبوا للـنـصـارى و اليهود معا و السامريين لما عمووا الحرقا

(١) في ر : مرضا . و في بن : ضعف .

(٢) في بن : به .

(٣) في بن : و سياتى .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) زيد في بن : و غير ذلك من أخباره .

(٦) في هامش بر : لبس اليهود و السمرة و النصارى العمام .

(٧) في بن : بها .

(٨) الكلمة ساقطة من بن .

كانما بات بالصباغ^١ منسهلا نسر السماء فأضحى فوقهم درقا^٢
وفي يوم الخميس سابع صفر سنة إحدى وسبعمائة وصل كهرداش^٣
ومن صحبه من الممالك السلطانية بالمراكب والشواني من جزيرة أروى،
ومدة غيبتهم ثلاثة وأربعون يوما. وذكروا أن عدة القتلى الذين
قتلهم المسلمون بها ألفان ومائتا نفر من الإفرنج^٤. ووجدوا بها من
أسارى المسلمين مائة وعشرين نفرا. ووصلت أسارى^٥ الفرنج من
جزيرة أروى إلى القلعة المحروسة.

ولما فتح الملك الأشرف خليل^٦ عكا أتته^٧ معاتيج صور وصيدا
وبيروت وانطرسوس^٨ كما تقدم ذكره^٩. انتقلت أهل انطرسوس منها
سكنوا جزيرة [٢٢٩ : ب] مقابلها في البحر تدعى^{١٠} جزيرة رواد، ١٠

(١) في بن : الصباغ .

(٢) عن بن ، وفي بر : ذرقا . وقد جاءت الكلمة في هذين البيتين بالسيوطي
(حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٥٩) : فرقا .

(٣) في بن : دمر داش .

(٤-٤) في بر : النى ومأتى . وفي بن : الفين وماتى .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) في بن : مايتين .

(٧) الكلمة ساقطة من بر وواردة في بن .

(٨) سلطنته ٦٨٩ - ٦٩٣ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م . وزيد في بن : ابن الملك المنصور

قلاون . (٩) في بن : وأتته . (١٠-١٠) ساقطة من بن .

(١١) في بن : تدعا .

وهي عن البر مقدار سبعة أميال ، فلم يزالوا مقيمين بها إلى أن فتحها
الأمير أسندمر نائب طرابلس و معه الرئيس^١ البطرني^٢ المغربي ، وذلك
في دولة الملك الناصر محمد^٣ ، نخلت السواحل من الإفرنج^٤ ، ولم يبق
منهم في بر المسلمين أحد^٥ بالشام إلا من هو أسير أو نصراني ذمي .

٥ وفي خامس عشر ذي الحجة سنة اثنين و سبعمائة ورد الخبر بوفاة
الأمير زين الدين كتبغا النائب بحماة ، و كان قبل ذلك سلطان مصر .
و تسمى بالملك العادل كما تقدم ذكره .

[الزلازل و الطاعون و الأهوية و الفيضان و الغلاء]

و في يوم الخميس الثالث و العشرين من ذي الحجة سنة اثنين^٦ و سبعمائة
١٠ حصل^٧ بالقاهرة و مصر^٨ زلزلة عظيمة هدمت أماكن^٩ كثيرة ، و كذلك
فعلت بالإسكندرية و بلاد مصر . و أتلقت هذه الزلزلة^٩ شيئا كثيرا ،

(١) في الأصلين : الرايس .

(٢) في بن : البطراني ، و ربما كان هذا هو الصواب .

(٣) زيد في : بن قلاون .

(٤) في بن : الفرنج .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في بن : اثنتين .

(٧ - ٧) في بن : بمصر و القاهرة .

(٨) في الأصلين : أماكن .

(٩ - ٩) كذا في بن ، و هي في بر : شيء كثير .

و أقامت أياما تزلزل و ترجف رجفا خفيفا ، و لم تزل تعد ١ إلى قريب أربعين يوما . و حصل عند العالم خوف عظيم من ذلك إلى أن خرج أكثر الناس من مصر و القاهرة إلى القراقة ، و بعضهم ضرب له خياما ٢ خارجها و نزل فيها ، و أقاموا أياما على ذلك خوفا على أنفسهم أن تعود . و أقامت مقدار ٣ ثلاث ساعات عند أول الأمر .

وسأذكر^٤ الآن هنا ما وقعت عليه من الزلازل و الحسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض^٥ و الغلاء^٦ . و غير ذلك^٧ إن شاء الله تعالى^٨ . و ذلك^٩ بعد الهجرة النبوية^{١٠} إلى سنة خمس و سبعين و سبعمائة^{١١} ، فأقول و بالله التوفيق . إن قال قائل ما سبب^{١٢} هذه الزلازل؟ قيل إن أصلها

(٥) في الأصلين تعهد - و الغالب أنه خطأ قلبي لكلمة « تعد » . كما أثبتناه بالنص .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : خيام .

(٣) في بن [١٧٦ : الف] : تقدير .

(٤) في بن : و إذ قد ذكرت الزلزلة فسا ذكره - و بهامش بر : مطلب ، يذكر فيه الزلازل و الحسف و الرجم و الرجفات و الوباء و الأمراض و الغلاء و غير ذلك .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨) زيد في بن : أصل .

جبل قاف له عروق تجري منها المياه في البحور من البياض و السواد
و الحمرة و الصفرة و الكدر و العذب و المالح و المر و الزعاق . فاذا أراد
الله أن يزلزل ١ بقرية أوحى الله إلى ذلك الجبل أن حرك منك عرق
كذا و كذا . فاذا حرك خسف الله ٢ بالقرية مع ما يرسل إليه من
الملائكة - انتهى .

و لما وقع ٣ الوباء بالديار المصرية و غيرها في سنة تسع و أربعين
و سبعمائة تعجب الناس من ذلك الفصل الوخم الذي مات فيه ٤ من
الناس خلق ٥ لا يحصى عددهم إلا "الله تعالى" ، فكانوا كما قيل ٦ :
هبت عليهم رياح الموت فانتثروا كأنهم كلهم كانوا ببيعاد
١٠ " فقال قائلهم : ما أظن أن هذا الوباء وقع في عصر من الأعصار ٧ .
و كان سبب موتهم كبة تطلع للإنسان في مراقه ٨ يموت منها بسرعة .

(١) في بن : يزلزله .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : خلائي .

(٥-٥) في بن : الذي خلقهم .

(٦) في بن : قال بعضهم .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) في بن : مراقاة .

- فرأى [٢٣٠: الف]. بعضهم ١ حرفوشا مسطولا وقت الفناء ١ فأنشأ يقول:
- عائنت في الفصل أخا سطة ٢ يغض عينا منه مسطولة
- الناس بالكبة قد قتلوا و كبة المسطول مقتولة
- و في سنة ثلاث و ستين و سبعائة . وقع الفناء بمصر و الإسكندرية
- و غيرهما ٣ ، فمات من الخلق ٤ كثير . و في سنة خمس و سبعين ٥
- و سبعائة ٦ قصر النيل عن الوفاء ، فغلت الحبوب بالإسكندرية ٧ . سائر
- بلاد مصر ؛ و مات بالإسكندرية خلق كثير أكثرهم أطفال و جوار
- و عبيد ٨ ثم رجال و نساء ٨ ، ٩ . كان موتهم بالطاعون في شوال و ذى
- القعدة من السنة المذكورة ٩ . و فيها مات ملك الأمراء أرغون الاحمدى
- ١٠ بعد أن أقام بالإسكندرية متوليا بها أربعين يوما من حين دخوله نائباً
-
- (١-١) الكلمتان الأوليان مطموستان في بن ، و الأخيرتان واخختان به
- و لكنهما ساقطتان من بر .
- (٢) في بن : سطة .
- (٣) ساقطة من بن .
- (٤-٤) في بن : مات من الناس .
- (٥) في الأصلين كثيرا ، و زيد في بن : فيها و في غيرهما .
- (٦) ساقطة من بر و واردة في بن - و بهامش بر : حادثة .
- (٧) في بن : بمصر و الإسكندرية .
- (٨-٨) العبارة ساقطة من بن .
- (٩-٩) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .
- (١٠) من هنا إلى قوله « انتهى » يأكله قفلا عن بن [١٧٦: الف] ، و في بر فقط
- العبارة : وقاضى القضاء الحلبي .

بها إلى حين وفاته . وكذلك مات فيها قاضى القضاة شهاب الدين الحنفى
الحلبى ، كان بالإسكندرية قاضى قضاتها مع قاضى قضاتها كمال الدين ابن
قاضى القضاة نضر الدين ابن قاضى القضاة شرف القضاة المالكى الرينى ،
وتوفى قاضى القضاة كمال الدين الرينى المالكى فى حدود صفر سنة ثمانين
هـ وستائة رحمه الله . ومات ولده قاضى القضاة عز الدين بن كمال الدين
فى ذى القعدة من السنة المذكورة ١ - انتهى .

نعود إلى ذكر ما ٢ قاله ابن الجوزى ٢ وغيره فى الطاعون ٣ والوباء
من ذلك الطاعون الذى كان فى سنة ثمانى عشرة من الهجرة بعمواس ،
وهى ٤ على عشرة مراحل من بيت المقدس ، مات بها يومئذ ستة وعشرون
١٠ ألفا . وفى مات أبوعبيدة بن الجراح والحارث بن هشام وسهيل
وزيد ٥ ومعاذ بن جبل . وبهذه القرية مات بلال الحبشى ٦ مؤذن النبى
صلى الله عليه وسلم وقبر بها . ولما كثر الموت جدا أحدث الناس كيف
أصبحت وكيف أمسيت .
وفى شوال ٧ هلك فى ثلاثة أيام سبعون ألفا . وقال رجل رأيت

(١) انتهى ما نقل عن بن .

(٢-٢) كذا فى بن ، أما فى بر فقط : قيل .

(٣) فى هامش بر : الطواعين .

(٤) فى بن : وعمواس .

(٥) فى بن : وزيد .

(٦) فى هامش بر : قبر بلال المؤذن .

(٧) فى هامش بر : غريبة .

في المنام أيام الطاعون إني أخرج من داري اثني عشر^١ جنازة وأنا مع عيالي اثنا^٢ عشر، فمات منها إحدى عشر وبقيت وحدي، فقلت في نفسي أنا ثاني عشرة، فخرجت من الدار^٣ ثم رجعت^٤ إليها بالغد، فإذا بلص قد دخل ليسرق فأصابه الطاعون فمات. فكان هو الثاني عشر، وبقيت أنا وحدي^٥. قال ورأى نافع أيام الطاعون رجلاً قد هرب من البصرة على حمار، فجعل نافع يقول: انظروا إليه يهرب من الله على حماره. وفي حديث قال الطاعون: أنا لاحق بالشام، قال الخير والرخاء: إنا معك. وقال الجوع والشقاء والعري والبلاء: إنا لاحق بالبادية، فقالت الصحة: وأنا معك - انتهى.

وأما الزلازل فقال ابن الجوزي^٦ في كتاب العقود^٧ في تاريخ^٨ العهود إن في سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة زلزلت^٩ فرغانة، فمات بها أكثر من خمسة عشر ألفاً. وفي سنة خمس وعشرين ومائتين كانت رجفة بالآهواز عظيمة حتى^{١٠} تصدعت منها الجبال وهرب أهل البلد

(١) في الأصلين: اثني. ولفظة «عشر» ساقطة من بن.

(٢) في الأصلين: اثني.

(٣) في بن: داري.

(٤) في بن: عدت.

(٥) الكلمة ساقطة من بن.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) في بن [١٧٦ : ب] : زلزلة.

(٨) ساقطة من بن وواردة في بن.

إلى البر وإلى السفن، وسقطت فيها ١ دور كثيرة. وسقط نصف الجامع، ومكثت ستة عشر يوما. وفي سنة ست وعشرين ومائتين [٢٣٠: ب] مطر أهل تيم مطرا وبردا كالبيض، فقتل بها ثلاثمائة وسبعين انسانا، وسمع في ذلك صوت ٢ يقول: ارحم عبادك، أعف عن عبادك. فنظروا إلى أثر قدم طولها ذراع بلا أصابع وعرضها شبران، من الخطوة خمسة أذرع أو ست. واتبعوا الصوت فجعلوا يسمعونهم ولا يرون شخصا. وفي سنة ثمان وعشرين ومائتين غلا السعر بطريق مكة. وبلغ رطل خبز بدرهم، وراوية ماء بأربعين درهما، ٤ وسقطت قطعة من الجبل ٥ عند جرة العقبة فقتلت عدة من الحاج. وفي ثلاث ١٠ وثلاثين ومائتين رجفت دمشق رجفة شديدة من ارتفاع الضحى، فانتفضت منها البيوت، وزالت الحجارة العظيمة، وسقطت عدة طاقات في الأسواق على من فيها فقتلت خلقا كثيرا، وسقطت بعض شرافات المسجد الجامع، وانقطع ربع المنارة، وانكفأت قرية من عمل الغوطة على أهلها، فلم ينج منهم إلا رجل واحد. واشتدت الزلازل على أنطاكية والموصل، ووقع أكثر من ألفي دار على أهلها فقتلتهم، ومات ١٥ من أهلها عشرون ألفا، وفقد من بستان أكثر من مائتي نخلة بأصولها

(١) في بن: منها.

(٢) في هامش بر: واقعة.

(٣) في الأصلين: صوتا.

(٤-٤) في بن: وطرقه طائفة من الخيل.

فلم يبق لها ، أثر^١ . وفي سنة أربع و ثلاثين و مائتين هبت ريح شديدة لم يعهد مثلها ، و اتصلت نيفا و خمسين ميلا و شملت بغداد و البصرة و الكوفة و واسط و عبادان و الأهواز ثم إلى همدان فأحرقت الزرع . ثم ذهبت^٢ إلى الموصل فنعت الناس من الانتشار و عطلت الأسواق^٣ ، و زلزلت هراة حتى سقطت الدور . و في سنة تسع و ثلاثين و مائتين^٥ غزا بلاد الروم علي بن يحيى الأرمني ، فقتل عشرة آلاف عجمي ، و سبي عشرة آلاف رأس ، و من الدواب سبعة آلاف دابة ، و أحرق أكثر من ألف قرية . و رجفت طبرية في الليل حتى ماتت الأرض و اصططكت الجبال ، ثم انقطع من الجبل قطعة ذرعها خمسون ذراعا طولاً في^٤ خمسين ذراعا^٦ عرضا ، فمات تحتها خلق كثير . و في سنة أربعين و مائتين سمع^{١٠} أهل حلاط صيحة من السماء فمات^٣ خلق كثير . و خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرور فقتلت خلقا كثيرا بالزكام ، و أصاب أهل بغداد حمى و سعال و زكام . قال محمد بن حبيب جاءت الكتب من المغرب^٥ ان ثلاثة عشر قرية من قرى القيروان خسف بها فلم ينج منها [٢٣١ : الف] إلا اثنان و أربعون رجلا سود الوجوه ، فأتوا القيروان^{١٥}

(١) كذا في بن ، و هي في بر : أثرا .

(٢) في بر : هبت ، و صحتها في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : عرض .

(٥) في بن : الغرب .

فأخرجهم أهلها وقالوا: أتم مسخوط عليكم . فبنى^١ لهم العامل حظيرة خارج المدينة فنزلوها . وفي هذه السنة وهي سنة أربعين ومائتين سئل بطريق عمورية وهو أحد البطريقين اللذين كانا خرجا إلى أمير المؤمنين المعتصم^٢ فمات أحدهما في أيام أمير المؤمنين جعفر المتوكل^٣ ، وأسلم الآخر على يد المتوكل وكان اسمه ندراقس^٤ فسمى نفسه إسحاق ، وكان عاقلا فهما أديبا ، فسئل عن أنساب الروم فقال : الروم ولد روم^٥ بن سملاحين ابن هربا^٦ بن عسفا^٧ بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ، ومن ولده^٨ الملك قسطنطين الأكبر ملك الملوك ، وهو الذي بنى مدينة قسطنطينية ، وأظهر دين النصرانية ، و بطرك البطارقة ، و سَقَف الاساقفة ، ١٠ . وعمل الهياكل والمذابح ، وجمع الاساقفة بمدينة نيقية^٩ ، وهو الذي بطرق

(١) في بن : فينا .

(٢) الخليفة العباسي وخلافته ٢١٨ - ٢٢٧ هـ = ٨٢٣ - ٨٤٢ م .

(٣) الخليفة العباسي ، وخلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٤) في بن : بدراقس . - وأغلب الظن أنه اندروننيق Andronikos .

(٥) في بن : الروم .

(٦) في بن : هربا .

(٧) في بن : عسفا .

(٨) زيد في بن : الولد .

(٩) مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ م .

البطارقة وجعلهم رؤس^١ المدن والبلدان ، و قومس^٢ القوامسة^٣ و هم القواد ، و رسم رسوم المملكة . فأما البطارقة فهم الرؤساء والوزراء لأنهم أشرف الروم ، والقوامسة^٤ أصحاب الأعمال والحروب . و مثل أيضا عن بني إسرائيل و أنسابهم فقال : هم شعوب كثيرة و بطون شتى ، لم تزل علماءهم يعرفونها و يعلمونها ، فأولهم بنو^٥ لاوى بن يعقوب بن هـ إسحاق بن إبراهيم الخليل ، و هو الثالث من ولد يعقوب ، و من ولد يهودا بن يعقوب أيضا جميع بطون بني إسرائيل الأنبياء و الكهان ورؤس الجواليث و أئمة اليهود و أخبارهم ، فمن الأنبياء من ولد يهودا داود الذى جعله الله خليفة فى الأرض ، و سليمان^٦ بن داود الذى سخرت له الجن و الرياح و البهائم ، و بعده رحيعم^٧ بن سليمان^٨ و اقترقت أسباط بني^٩ إسرائيل فى أيامه ، و من ولد يهودا شمويل بن عزرا ، و من ولده أيضا اليشع^{١٠} النبي عليه السلام تناسل أولاد هؤلاء الأنبياء و الكهان ، فهم بطون كثيرة يتعارفها علماءهم . و من سبط يوسف بن يعقوب عليها السلام

(١) فى بن : روسا .

(٩) مأخوذة عن الأصل Comes و جمعها Comites و يقابلها فى العصور الوسطى لقب Comte بالفرنسية ثم Count بالإنجليزية .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن [١٧٧ : الف] .

(٤) فى الأصلين : بنوا .

(٥) فى بن : سليمان .

(٦) فى بن : رحيعم .

(١٤) فى الأصلين : اليسع .

يوشع بن نون خليفة موسى بن عمران عليه السلام ، وهو الذى أخرج
 بنى إسرائيل من التيه . قال بعضهم فى يهودى 'أحق يهجوهُ':
 لنا صديق يهودى حماقته إذا تكلم يبدو النتن من فيه
 يتيه و الكلب خبر منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه - انتهى
 ٥ [٢٣١ : ب] نعود - وفى سنة إحدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم
 فى السماء و جعلت تطاير ٢ شرقا و غربا كالجراد من قبل ٣ غروب الشفق
 إلى قريب الفجر . ولم يكن مثل ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . وفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجعت قرية يقال لها
 السويداء بناحية مصر بخمسة أحجار ، فوق حجر منها على خيمة أعرابي
 ١٠ فاحترقت ، ووزن منها حجر فكان فيه عشرة أرطال ، فحمل منها أربعة
 إلى فسطاط مصر ٤ (و) إلى تنيس ٥ . وزلزلت الرى و جرجان و طبرستان
 و نيسابور ٦ و أصهان كلها فى وقت واحد ، و تقطعت جبال و دنى ٧
 بعضها من بعض ، و سمع للسماء و الأرض أصوات عالية ، و سار جبل
 بالين عليه مزارع حتى أتى مزارع قوم آخرين فوقف فيها . وزلزلت
 ١٥ الدامغان ٨ فسقط بعضها على أهلها فهلك بذلك خمسة و عشرون ألفا .

(١-١) الكلمتان ساقطتان من بر و واردتان فى بن .

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : تطاير .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤-٤) ساقطة من بن ، و واو العطف ساقطة من بر .

(٥) فى الأصلين : نيسابورس .

(٦) فى بن : و دنا . (٧) فى بن : دامغان .

وسقطت بلدان كثيرة على أهلها . ووقع طائر أبيض دون الرخمة
وفوق الغراب على دابة بحلب اسبع مضين من رمضان فصاح : «يامعشر
الناس اتقوا الله الله الله ، حتى صاح أربعين صوتا ، ثم طار وجاء من
الغد ، صاح أربعين صوتا ، ومات رجل في بعض كور الأهواز، فسقط
طار أبيض على جنازته ، فصاح باللغة 'فارسية : إن الله قد غفر لهذا
الميت . في سه خمس ٣ وأربعين ومائتين زلزلت بلاد المغرب حتى
تهدمت الحصون والميادين والقاطر ، فأمر المتوكل بتفريق ثلاثة آلاف
درهم في الذين أصيبوا بمنزلهم . وكانت بأطاكية زلزلة ورجفة قتلت
خلقا وسقط ألف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون
رجلا ، وسمع أهلها أصواتا هائلة لا يحسنون وصفها من كوى المنازل ، ١٠
وهرب الناس إلى الصحارى . وسمع أهل تنيس صيحة هائلة دامت
فترات منها حلق كثير وذهبت حلة بأهلها . وفي سنة ست وأربعين
ومائتين ٣ زلزلت مدينة دبل بالليل ، فأصبحوا ولم يبق من المدينة

(١) في بن : طر .

(٢ - ٢) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) في بن : و المآذن . - وهو الأصح على ما يظهر .

(٥) الخليفة العباسي وخلافته ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م .

(٦) في بن : كرى .

إلا اليسير، فأخرج من تحت الردم خمسون ومائة ألف . وفي سنة أربع
وثمانين و مائتين ظهرت ظلة بمصر و حمرة في السماء شديدة حتى كان
الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر وكذلك الحيطان وغيرها ،
ومكثوا كذلك إلى العشاء ، فخرج الناس يدعون الله و يستغثون إليه ،
و وعد المنجمون الناس بالغرق^١ فقارت المياه و احتاجوا إلى الاستسقاء .
و في سنة خمس و ثمانين و مائتين ارتفعت ريح بالبصرة كذلك^٢ و مُطِرُوا
بردا في [٢٣٢ : الف] البردة الواحدة^٣ مائة و خمسون درهما . و في
سنة تسع و ثمانين و مائتين صلى الناس العصر يوم عرفة ببغداد في ثياب
الصيف ، ثم هبت ريح فبرد الهواء^٤ إلى أن احتاج^٥ الناس إلى التدفئ
بالنار، و خمد الهواء^٦ . و في سنة ثلاثمائة كثرت الأمراض ببغداد في الناس ،
و كلبت الكلاب و الذئاب في البادية ، وكانت تطلب الناس و الدواب ،
فاذا عضت إنسانا هلك . و في سنة عشرة و ثلاثمائة انبثق بواسط سبعة
عشر بثقا^٧ أصغرها مائتي ذراع و أكبرها ألف ذراع ، و غرق من أمهات
القرى ألف و ثلاثمائة قرية . و في سنة سبع عشرة و ثلاثمائة هجم
١٥ أبو طاهر القرمطي صاحب البحرين على الحاج بمكة يوم التروية و هو

(١) في بن : الغرق .

(٢-٢) في بن [١٧٧ : ب] : و مطر و بردزة الواحدة .

(٣) في بر : الهوى .

(٤) كذا في بن ، و هي في بر : احتاجوا .

(٥) في بن : شقا .

يوم الثامن من ذى الحجة قتلهم في المسجد الحرام وفي فجاج مكة وفي البيت ، وقلع الحجر الأسود وباب البيت وقبة زمزم ، وقد تقدم فعل القرمطى بمكة مفصلاً فأغنى عن إعادته^١ . وسمى يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون في الماء لما بعده أى يستقون^٢ . ويسقون . وقيل سمي يوم التروية لأن إبراهيم عليه السلام تفطر^٣ في الرؤيا ، وفي التاسع عرف^٤ . فسمى لذلك عرفة . وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة غلت^٥ الأسعار ببغداد حتى أكلت الناس الكلاب ووقع الوباء في الناس . ووافي^٦ من الجراد شيء كثير جدا حتى أبيع منه كل خمسين رطل^٧ بدرهم ، فارتفق الناس بأكله في ذلك الغلاء . والجراد واحدا جرادة ، وتكنى أم عوف ، قال الشاعر :

١٠

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رجيلتاها^٨ منجلان
قال^٩ الأصمعي : يقال الجرادة للذكر والاثني^{١٠} كما يقال بطه^{١١}

(١) زيد في بن : ها . - انظر ج ٢ ص ١٢ وما يتلوها .

(٢) في بن : يستقون . - وبهامش بر : لم يسمي يوم التروية .

(٣) في بن : تفكر . - والمعنى عامض في كلا الفرضين على كل حال .

(٤) في بن : علت .

(٥) في بن : ووافا .

(٦) في بن : رطلا .

(٧) في بن : رجيلتاها .

(٨) عن بن ، وفي بر : فقال .

(٩) زيد في بن : من الجراد (١٠) في بن : بطية .

وحية ، و جمعه جراد ، و الرجل من الجراد قطعة منه قدر ما يكون
مائة ذراع في مثلها . و إذا باض الجراد قيل غرز فهو مغرز و يبقى في
الأرض أربعين ليلة ، ثم يثور مثل صغار الدود ، فيقال قد أدبا يبيض
الجراد إذا صار دبا - انتهى .

٥ و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل في الجراد أيضا إن شاء الله
تعالى . نعود - و في سنة سبع و أربعين و أربعمائة زادت الأسعار فبلغت
قيمة الكرم من الحنطة بالآهواز ثلاثمائة دينار . و في سنة ثمان
و أربعين و أربعمائة وقع الغلاء و الوباء في الناس و فسد الهواء ، و اشتد
الجوع حتى أكلوا الميتة ، و بلغ المكوك من بذر القلة سبعة دنائير
١٠ في السفرجلة [٢٣٢ : ب] و الرماة ديناراً ٣ . و عم الغلاء و الوباء جميع
البلاد ، و ورد كتاب إلى بغداد من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا
داراً ، فوجدوا عند الصباح موتى ، أحدهم على باب النقب ، و الآخر
على رأس الدرجة ، و الثالث على الثياب المكورة . و في سنة تسع
و أربعين و أربعمائة بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنائير ، و مات
١٥ من الجوع خلق كثير ، و أكلت الكلاب . و ورد كتاب من بخارى
إلى بغداد أنه قد وقع في تلك الديار وباء حتى خرج في يوم ثمانية عشر
ألف جنازة ، و أحصى من مات إلى أن كتب هذا الكتاب فكانوا

(١) من بن ، و في بر : يتور . (٢) في بر : الهوى .

(٣) كذا في بن ، و هي في بر : دينار .

(٤) زيد في بن : منهم .

(٥) في بن : بخارا .

(٦) ساقطة من برو واردة في بن .

ألف ألف و ستمائة ألف و خمسين ألفا ، و بقيت الطرقات فارغة و الاسواق
خالية . و وقع الوباء بأذربيجان و أعمالها و واسط و السكوة و مصر
و طبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين و الثلاثين حفرة^١ فيلقون فيها^٢ ،
وكان سبب ذلك الجوع . و باع رجل أرضا له بخمسة أرطال خبز ،
فأكلها و مات في الحال . و تاب الناس كلهم ، و أراقوا الخور ، و كسروا^٥
آلات الملاحى ، و تصدقوا بمعظم^٣ أموالهم و لزموا المساجد ، و دخلوا
على رجل مريض قد طال نزعه سبعة أيام ، فأشار بأصبعه إلى بيت في
الدار ، فاذا غاية خمر فقلبوها فمات من ساعته . و توفي رجل كان مقيما^٤
بمسجد ، فحلف خمسين ألف درهم فلم يفلها أحد ، فدخل أربعة أنفس
ليلا إلى المسجد فأخذوها فماتوا عليها . و دخل رجل على ميت مستجى^{١٠}
بلحاف ، فاجتذبه عنه فمات . طرفة يده .

و في سنة تسع و أربعين و ثلاثمائة رأى الخليفة المطيع^٦ كأن
مؤذنين قد أقلا من مطلع الشمس و هم يؤذنان و في أيديهما^٧ ٧٠٠٠ فذكر
«صندل الزمام» هذا المنام لمعبر حاذق فقال : تسلم خلق من سكان
مطلع الشمس أولوا بأس شديد ، فوردت الأخبار من خراسان بأنه^{١٥}
أسلم من الترك مائتا ألف بيت^٨ .

(١) في بن : حفرة . (٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : بمعظم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) هذا القسم ساقط من بر و وارد في بن .

(٦) الخليفة العباسي و خلافته ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ = ٩٤٦ - ٩٧٤ م .

(٧) بياض بالأصل . (٨-٨) كذا في الأصلين ، و المعنى غامض .

وفي ستة ثمان وخمسين وأربعمائة ولد ييغداد صبية لها رأسان
ورقبتان وأربع أيد على بدن كامل ثم ماتت . وظهر كوكب له ذؤابة
عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أربع ، ولبت ليالى كثيرة ثم غاب ،
ثم ظهر وقد اشتد نوره كالقمر ، وبقي عشرة أيام حتى اضمحل .
وورد الخبر من البحار^١ بأنه في الليلة الأخيرة من طلوع هذا الكوكب
غرق ستة وعشرون مركبا وهلك فيها نحو من ثمانية ٢ عشر ألف ٣
انسان ، وكان من جملة المتاع الذى فيها عشرة آلاف طيلة كافور .
وكانت زلزلة بخراسان لبثت أياما فتصدعت منها الجبال ، وخسف بعد
ذلك بقرى .

١٠ وفي ستة ستين وأربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلك
بلد الرملة ، فهلك فيها خمسة عشر ألف^٢ ، وقعت شراقات من مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت
والتأمت ، وغار البحر مسيرة [٢٣٣ : ألف] يوم ، وساح في البر ،
وغرق الدنيا . ودخل الناس إلى أرضه^٣ يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك
١٥ خلقا عظيما منهم ، وبلغ حصّ الزلزلة إلى الرحبة والكوفة .

(١) في بن : بخارا . والجملة بعدها مطبوسة .

(٢) الكلمة سائطة من بن . (٣) الكلمة بهامش بر ، وهى في بن : آلاف .

(٤) في الأصلين : ألفا . (٥) كذا في بن (و هو أقرب للفهم) ، والكلمة في

بر : أهله .

و في سنة ثنتين^١ و ستين و أربعمائة كانت زلزلة بالرملة ، فذهب^٢
 أكثرها ، و عم ذلك بيت المقدس ، و انخفضت أيلة كلها ، و انخفض
 البحر وقت الزلزلة حتى انكشف ثم عاد ، و اشتد الجوع و الوباء بمصر
 حتى أكل الناس^٣ بعضهم بعضا ، و بيع اللوز و السكر بوزن الدرهم ،
 و البيضة بعشرة قراريط درهم . و خرج وزير صاحب مصر إليه ، فنزل ه
 عن بغلته فدخل ، و شغل المهتار عن البغلة لضعف قوته من الجوع ،
 فأخذها ثلاثة أقوام فذبجوها و أكلوها ، فأخذوا و صلبوا ، فلما كان من
 الغد ، وجدت عظامهم تحت خشبهم و قد أكلوا . و باع رجل بمصر
 دارا كان اشتراها بتسعمائة دينار و سبعين دينارا ، و اشترى بها دون
 الكارة دقيقا .

١٠

^٤ قال ابن عبد السلام المالكي في شرح مختصر ابن الحاجب : اختلف
 المذهب في الحيوان الذي لا يؤكل لحمه إذا بلغ به المرض إلى
 حد الإياس ، هل يجوز ذبحه إراحه له بما هو فيه أو لا ؟ على قولين ،
 فأجاز ذلك ابن القاسم ، و منعه بعضهم . و بعض ما وافق ابن القاسم
 في الإراحه من ألم المرض خالفه في الذبح . قال يعقر عقرا لثلا يكون ١٥

(١) في بن : اثنتين .

(٢) في بن : هدمت .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) هذا الجزء لآخر الفتوى ساقط من بن - و يستأنف الكلام فيها عند « و في
 سنة سبعين و أربعمائة » .

ذلك تشكيكا^١ للعوام في إباحة أكلها إذا رأوها مذبوحة . قال ولقد أخبرني الشيخ أبو الحسن علي الغمازي ، قال كنت أيام فضائي بيوتة أصاب الناس فيها مجاعة شديدة ، فكانوا (يلقون^٢) قططهم أحياء لقلة القوت ، و كان المار في الطريق إذا رآها نظر إلى أمر مهول لا سيما . إن كان رقيق النفس ، فسألني أهل البلد أن آذن لهم في قتلها ، فأذنت لهم ، فقتل الصبيان منها عددا كثيرا . ثم أتت على نفسي بالملامة لاني أذنت في أمر لم أره لاحد من أهل العلم ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ رجل باختصار العتية للبيع . فنظرت فيه فكان أول شيء وقع بصرى عليه قول ابن القاسم فيها بالإباحة ، يعنى ما حكيت عنه ،

١٠. الحمد لله و اشتريت الكتاب بسبب هذه المسألة - انتهى^٣ .

و في ستة سبعين^٤ و أربعمئة ورد الخبر بأنه حوصرت انطاكية^٥ إلى أن^٦ بيع فيها كل رغيف بدينار ، و وقع الوباء بها . و قيل لما حوصرت تلسان^٧ في بعض السنين^٨ من أرض المغرب^٩ بلغ الفار

(١) في الأصل : تشكيلا - و الكلمة صححت بقلم آخر إلى « تشكيكا » .

(٢) ناقصة من نص بر و يكتمل بذكرها الكلام .

(٣) هنا ينتهى السقط من بن [١٧٨ : الف] .

(٤) في بن : سبع .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٦) في بن : حتى أنه .

(٧-٧) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٨-٨) ساقطة من بن .

١ فيها ديناراً . وفي سنة ثلاث و تسعين و أربع [٢٣٣ : ب] مائة
امتنع القطر ٢ و كثرت الامراض و عذمت الادوية و كثر الموت
حتى رثى ٣ على نعش ستة موقى ، ثم حفر لهم حفرة فألقوا فيها .
و في سنة إحدى عشرة و خمسمائة زلزلت الأرض ببغداد يوم
عرفة ، و كانت الحيطان تمرّ و تهجى ، و بلغ الكُر الدقيق ثلاثمائة ٥
دينار حتى أكل الناس الكلاب .

و في سنة ثمان و أربعين و خمسمائة وقعت حيطان منبج* ٦ بعضها
على بعض ٧ ، فهلكت أهلها ، و لم يسلم من أهلها غير سبعة عشر نفر ٨
كانوا خارجين عنها . و قد تقدم ذكر خبر الزلزلة التي كانت بالديار
المصرية في ذى الحجة سنة ثنتين ٩ و سبعمائة ، و تقدم أيضا ذكر ١٠ الوباء
الذى كان في سنة تسع و أربعين و سبعمائة بالديار المصرية مع كثرة
الرخاء الذى كان بها . و تقدم أيضا ذكر الوباء الذى كان بالإسكندرية ١١
في سنة خمس و سبعين و سبعمائة .

(١-١) في بن : بدينار - و في الأصل بر : دينار .

(٢) في بن : المرض .

(٣) في بر : رثى - و في بن : راي .

(٤) في بن : فآلقوا .

(٥) في الأصلين : منبج - و هو خطأ واضح .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) في الأصلين : نفرا .

(٨) في بن : اثنتين .

(٩-٩) في بن : الوباء و الغلاء اللذين كان بها و بالإسكندرية .

و ذكر أصحاب الإمام مالك أن الناس أصابهم سنة بطريق مكة
سعال، فكان الرجل لا^١ يعمل إلا يسيرا حتى يموت^٢، ففقد ناس من
خرج إلى الحج، فلم يأت لهم خبر حياة ولا موت^٣. فرأى مالك بقسم^٤
أموالهم^٥ ولا يضرب لهم أجل المفقود ولا غيره للذي بلغه من موت
الناس من ذلك السعال. قالوا^٦ وكذا الشأن في أهل البوادي في الشدائد
يتنجسون من ديارهم إلى غيرها من البوادي^٧، ثم يفقدون أنهم على الموت،
وقد علم ذلك من حالهم - انتهى^٨.

[ذكر محاسن الناصر محمد]

^٩نعود إلى ذكر محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن ^{١٠}الملك
^{١٠}المنصور ^٢قلاون و^١رفعه الظلمات^٩ كان رحمه الله^{١٠} عادلا في رعيته،

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢ - ٢) ساقطة من بن [١٧٨ : ب] .

(٣) في بن : أن تقسم .

(٤) زيد في بن : و تسبح نساؤهم .

(٥ - ٥) في بن : وكذلك .

(٦) في بن : البراري .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

(٨) في هامش بر : ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاون .

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من برو واردة في بن .

(١٠) زيد في بن : تعالى .

محسا في قضيته، أبطل المظالم، و كف أيدي ' كل ظالم'، و كان هيكلا
 حسنا على ظهر فرسه، كبير الوجه أحر اللون، ٢ ذالحية ٢ كبيرة
 مستديرة ٣، قد وخطه ٤ الشيب ٥. [بن ١٧٨: ب] * و كان برجله الواحدة
 قصر لسبب عرض له فيها في صغره، وكان يعرج بها. قيل كان يجلس
 بشباك قصره الذي عمره بقلعة الجبل المسمى بالقصر الأبلق في الليل والعيون ٥
 راقدة، و الأصوات خامدة، فيرى النجوم زاهرة، و الكواكب السيارة
 سائرة، و السحاب المستخر بين السماء والأرض، و النيل الذي فرش
 الأرض بطول أرض مصر ٦. الله تعالى و يقدسه و يمجده و يعظمه
 و يشكره و يحمده و يقول: سبحان من أعطى ملكه لأضعف خلقه.
 يعني بذلك نفسه، فلاعترافه بقدرة الله تعالى و خضوعه و تواضعه لعظم ١٠
 خالقه خو له الله تعالى في الملك نحو الخمسين سنة. و كانت دولته أحسن
 الدول من الأمن الكثير، و الرخاء الغزير. و انتقادت له الدول،
 و خضعت له الملوك في السهل و الجبل. فكانت الملوك تهابه، و ليس

(١ - ١) في بن: الظالم.

(٢ - ٢) في بر: ذولحية - و في بن: بلحية.

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن.

(٤) كذا في بن، و الكلمة في بر: خطه.

(٥) يبدأ هنا سقط كبير من بر و يستمر في بن إلى ١٨٠ ب ثم يستأنف الكلام

في كليهما بقصيدة رثاء للناصر مطلعها « فقد الوجود بل الوجود لمقدمه ».

(٦) العبارة هنا مطموسة بالأصل بن.

أحدا منهم يعاديه، فعاش عيشا هنيئا، ومات على فراش^١ سويا .
وسأ ذكر الآن ما فعله الملك الناصر محمد في دولته من روك البلاد،
وقع العباد إن شاء الله تعالى . وذلك أنه برز مرسومه الشريف في سنة
خمس عشرة وسبعمائة بإبطال المظالم التي كانت بالديار المصرية ونصه :
هـ " رسم بالامر الشريف العالي المولوى السلطاني الملكى الناصرى مثال العلامة
الكريمة محمد بن قلاون ، لا برج إحسانه يرعى بحسن نظره مصالح الرعية ،
وامتنانه يسعى بابواب السباح والبر إلى البرية ، وتوالى فضله على الأمة
المحمدية ، يخجل بكرمه وسمى^٢ (كذا) وليه أن يخلد هنا المرسوم الشريف في
الأعمال البهنسية^٣ ، بما شمل الرعايا ، وأهل البلاد وكافة الرايا . من صدقاتنا
التي عمت ، ومعداتنا التي تمت وتمت ، وبما ساعناه وأبطلناه عنهم من
المكوس والمظالم والحوادث والرسوم التي كانت تستأدى منسوبة للحقوق
الديوانية بالجهات التي ذكرها في هذا المرسوم المكتب من نسخة المرسوم
..... والمقررات والمراسيم الشريفة التي اقتضتها آراؤنا العالية ، وذلك
عند روك^٤ الديار ، فأول ما ابتدأنا به تحفية آثار مظهره قد أذلهم

(١) في بن : فراشا .

(٢) كذا في الأصل ، وحائر قراءة الكلمة « ويسمى » .

(٣) كذا في الأصل ، ولعل الكلمة « البهنساوية » نسبة إلى منطقة البهنسا
بمصر الوسطى ، وقد آثرنا الإبقاء على صيغة المرسوم كما هي دون تعديل أو تصحيح
لفظي إلا في أضيق الحدود التي يقتضيها السياق باعتبار أن النص كما هو يمثل
اللغة الديوانية الشائعة في ذلك العصر .

(٤) هنا كلمة لا يستقيم بها السياق ، ومن الممكن قراءتها « لسامع » أو « بمسامع » .

(٥) إشارة إلى « الروك الناصرى » وهو عبارة عن عملية مسح الأرض وتقدير
الضريبة وتوزيع الأقطاعات على مساحتها . وقد خصص المقرئ في « الخطط » =

ليلها ، وعم ويلها ، واندفع سيلها ، وهى المقررات التى كانت تستأدى
منسوبة لحقوق سواحل الغلال^١ و العرصات ، و تسقط هذه المظلمة
و تعفا آثارها من القاهرة و مصر المحروستين و الاخصاص و الصروع
المنسوبة إلى ذلك جميعها ، ولا يتعرض إلى تنمية الدرهم الفرد عن الغلة
الواصلة و لا المبيعة و لا شئ من [بن ١٧٩ : الف] الرسوم و لا الوجوه ٥
التي كانت تستأدى منسوبة لعلامات سواحل الغلات بالجهتين المذكورتين .
و كذلك رسمنا بإبطال نصف السمسة و ضمانها وهو الكسر الذى
يستأدى من السماسرة و المناديين و يساهمون فيه من أجرة بيعهم
و شرائهم و نحو هذه المظلمة و إسقاطها من بطون الأوراق و الدفاتر
و الدواوين و تعفية آثارها نظرا فى حالة الضعفاء الذين امتحنوا بهذه ١٠
المحنة إلى أن يسهل الله تعالى لهم هذه المحنة على أيدينا و من باسقاطها ،
و أمنا الرعايا و الضعفاء و المساكين من تناولها منهم و توقروا لخطيرهم
على كسبهم و معاشهم و الادعية الصالحة لما يقبلها الله تعالى من كل داع
مخلص . و كذلك بإبطال المقدمين و مقرراتهم و بدوهم و ما يضم إلى
ذلك من الخوايص و البغال ، و إبطال الرسل و المترددين من البلاد و تعفية ١٥

= (طبعة مصر ١٣٢٤ ج ١ ص ١٤١ - ١٤٧) فصلا لذلك تحت عنوان
« ذكر الروك الأخير الناصرى » و هو الفصل الثانى والعشرون (ج ٢ ص
٢٠ و ما يتلوها) من الطبعة التى بدأ نشرها (Gaston Wiet) جاستون فييت .
(١) أورد المقرئ فى حطته الكثير من هذه الاعفاءات من المكوس
والقرارات المالية التى أصدرها الناصر محمد و المذكورة بهذا المرسوم - انظر
الحاشية السابقة .

آثارهم لتطمئن الرعايا بأمانكم ، وقررنا أن يكون نواب الأمراء الذين يقررونهم ييلادهم نوابا عن مجلس الحرب السعيد واحد من أهلها لحق من الحقوق فيخلصه الوالى بمن يتعين في جهته و يوصله لمستحقه و يتصدى لإزالة التعدى عن أحد منهم على الآخر، وإن اتفق في البلاد أمر كبير مثل قتل أو ظهور فساد فيها أو حضور واحد من المفسدين إليها فيكون والى تلك الناحية ومشايخها و خفراؤها ملتزمين بالدرك في ذلك و إحضار الغرماء و المفسدين إلى والى الحرب، و لا يُمكن أحدا (كذ) من الفساد، و لا يستحسنوا لأحد فعله عندهم ، و لا يجمعوا أحدا عن شيء يتعين عليه ، و لا يحصى بلد على بلد أخرى ، و من حضر إليهم من المقبحين أو المتحدين فلا يؤوه و لا يقربوه بل يمسكوه و يعيدوه إلى بلده و يسلموه إلى أهل تلك البلد و يشهدوا عليه و على شيوخها بتسليمه لهم أو يسلموه لوالى الحرب من غير حماية و لا يمكن من إقامته يوما واحدا عندهم و لا يؤوه ساعة واحدة . و من ارتكب (خرو) جا ٢ عن مرسومنا هذا أو حى أحدا أو مكن أحدا من الإقامة عنده من المفسدين أو المسلحين ٣ . . . و فعل ٤ خلافة أو نقض حكما واحدا من

(١) العبارة هنا مطموسة بالأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و قد أكلناها من السياق .

(٣) في الأصل : المسجين ، وقد تكون « المساجين » .

(٤) جاءت الكلمة بأول السطر، وجائز أن يكون مطموسا منها حرف ألف ، و بدا تصبح قراءتها « أو فعل » .

أحكامه في أى بلد كان ، فالوالى بتلك البلد و شيوخها و خفراؤها (كذا)
 و أرباب الدرك يقومون^١ بحكم سيوفنا بالتوسيط و الشنق و التسمير على
 نخيل تلك البلدة . و إن اتفق فى سنة من السنين حصول شراقى و قصد بعض
 الملاحين أن ينتجع من بلده إلى بلد رى ليزرع فيها مؤتته فيتوجه برضى
 مقطعى بلده و يكون حظه معهم بالرضى بذلك ، و عند ضم المغل يرجع^٥
 إلى بلده و وطنه بحيث لا يحصل فى ذلك منازعة و لا يدعى أخذ^٢ فلاح
 غيره لكونه زرع عنده ، فيعمل كل منهم بما شمله من إحسانا و صدقاتنا
 و معروفنا و برّنا . وكذلك رسمنا بإبطال رسوم الولاية و عدم استيذاتها ،
 ولا يمكن أحد من الولاة و لا نوابهم و لا المتحدثين (كذا) عندهم من جباية
 رسم و لا مشاهرة و لا إحداث حادثة عليه^٣ ، و كذلك كتاب الولاة^{١٠}
 و دواوينهم و مباشرهم فلا يتعرض أحد منهم إلى تناول رسم و لا جامكية
 على البلاد ، فقد رسمنا بإبطال جوامكهم على البلاد و أسقطنا ذلك عن
 الرعية ، فلا يتعرض أحد بعد مرسومنا هذا من كتاب الولاة و لا مباشرهم
 إلى تقرير جامكية [ن ١٧٩ : ب] على البلاد و لا رسم و لا مقرر و لا مشاهرة
 و لا مباومة ، و لا يستأدى من ذلك الدرهم الفرد و لا شيء قلّ و لا جلّ ،^{١٥}
 فقد أبطنا هذا الحادث و عفيّا آثاره فليحذر كل منهم من تناول
 شيء من ذلك . رسمنا بإبطال حقوق السجون و مقرراتها و ضمانها
 و منع التعرض لأخذ الدرهم الفرد منها ، و أن لا يجمع على المسجونين

(١) فى الأصل : يموتون . - و هو خطأ قلمى واضح .

(٢) الكلمة فى الأصل : أحد . و هى بدون نقط و قد آثرنا نقطها كذلك للسياق .

(٣) فى الأصل : على عليه . - و تقع لفظة « على » بين السطرين و هى زائدة .

بين ضيق السجر وضيق العسر، فانه ما بقى عند المسجونين إطلاقه بمقدار
 تعويقه على الضمان المذكور، فرأينا أن تكون هذه الحسنة مسطرة في
 صحائف حسناتنا و تقرّبنا إلى الله تعالى بتعفية آثارها . ثم أنعمنا النظر
 في مصالح البلاد و الأعمال الراتبه فوجدنا أهم أمورها مصالح جسورها
 ٥ و إتقانها، و أن لا تدخل الأيدي بجباية مبلغ، فرسمنا بأن تعمل جميع
 الجسور و الترع بالجراريف و الإبقار و الرجال على قدر مصلحة كل بلد
 من غير أن تطلب عن ذلك دراهم و لا دخول و لا خروج، بل كل بلد
 تعمل (بأهلها) و تغنا من الطلب بالدراهم عن القش و المدامسة و عن
 رسوم الخولة و المهندسين، و لإبطال استخراج الدراهم عن جميع ذلك،
 ١٠ و يستقر العمل دون جبايه مبلغ، و توفر على الرعايا صدقة عليهم و نظرا
 في حالهم، و يمحى ذكر طلب يطالب للجراريف و الجمع و الرسوم السدود
 بحيث لا يكون لاسد و لا مهندس و لا خولى رسم و لا بدل و لا استيداء
 الدرهم الفرد، بل كل بلد يلتزم مقطوعا بعمل ما يجب عليه عمله من
 غير رجوع إلى العوائد القديمة . و كذلك رسمنا بإبطال طرح بالفرايج
 ١٥ على البلاد و إنذار الرعية بها، و لا يُلتزم أحد بما لا يختاره من الفرايج،
 بل يكون بيعها و شراؤها بالسعر الخاص أسوة ببقية الأصناف من غير
 جبر و لا إكراه، و لا تُرعى فرايج بلد على أهلها، و لا يُلزم أحد
 بمشترى شيء منها اغتصابا، و لا يُقرر شيء منها بضمان و لا رسم و لا غيره،
 (١) العبارة هنا مطموسة و لكن أعليها يقرأ على وجه التحقيق إلا هذه الكلمة
 اقتبسناها من سياق الكلام .

و تنقض العوائد السيئة التي كانت في ذلك من غير رجوع إليها ،
و تكون أسوة المبيعات التي تباع و تشتري من غير طرح و لا ربح
ولا تقرير . و كذلك رسمنا بإبطال مقرر الفرسان و مقرر الخيل الذي
كان يستأدى وقت حركات الجيوش المنصورة إلى البواكير و كذلك
قود^١ الخيل ، و أبطنا هذه المظلة^٢ ابتغاء لثواب الله تعالى ، والله لا يضيع^٥
أجر المحسنين ، و وثوقا بكرم الله تعالى ، و إمداد^٣ نصره للمؤمنين^٤ .
و كذلك رسمنا في أمر الإفراح بأن لا يؤخذ مقرر ملاهي ممن يعمل
فرحا ، و من أعرس أو كتب كتابه أو أملك أو كان عنده ختان أو ولد
له ولد أو غير ذلك من الولائم و لم يعمل فرحا فلا يلزم بالقيام بشيء
من المقررات المثبوتة للملاهي و للإفراح ، و لا يطلب مقررا للملاهي إلا ممن^{١٠}
يعمل عنده فرحا بملاهي ، و من لم يكن عنده أحد من العواني
(و الملاهي^٥) فلا يطلب عن وليمته شيء قل و لا جل من المقررات
التي كانت تستأدى أولا . و كذلك رسمنا بالمساحة بضمن العبي^٦ التي كانت
تقررت و أبطناها فلا يتعرض أحد لاستخراجها بعد مرسومنا هذا .

(١) و المقصود بالكلمة « أود » .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ولكنها واضحة من السياق .

(٣) في الأصل : و الامداد .

(٤) في الأصل : المستومين . و أغلب الظن أنه خطأ قلبي في النسخ .

(٥) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكنها واضحة من سياق الحديث .

(٦) الكلمة واضحة ، و أغلب الظن أن المقصود بها جمع كلمة « العباءة » .

و كذلك رسمنا بإبطال المقرر من الاتيان التى توجد لمعاصر الاقصاب^١ و أن لا يتعرض أحد إلى أخذ تبين من بلد من البلاد إلا بثمنه و رضى أصحابه، و يستمر الحكم فى ذلك عاما شاملا لمعاصر الخاص الشريف و الأمراء و غيرهم من الجهات، و تستقر أتيان المعاصر الجارية فى الخاص الشريف على بلاد الخاص الشريف من جملة ما يؤخذ منها، و لا يتعرض إلى غير بلاد

٥ [بن ١٨٠: الف] الخاص الشريف إلا بالثمن المرضى و القيمة العادلة، و لا يجبر أحد من أهل البلاد على بيع تبنة بغير رضاه، و لا يقرر عليه شئ من التبين حسب ما رسمناه . و كذلك رسمنا بإبطال حماية المراكب و أن لا يعود أحد من الأمراء و أرباب الجهات يحمى مركبا لا يستأدى عن الحماية

١٠ حقا . و لا مقررا من المقررات التى كانت تستأدى فيما قبل مرسومنا هذا، و لا يتعرض أحد إلى المراكب بغير حق يشهد به الديوان المعمور من غير حماية . و كذلك رسمنا بالرفق بالرعايا و أن لا يطالب الحى عن الميت و لا المقيم عن النازح و لا الحاضر عن الغائب ما لم يكن ضامنا أو كفيلا أو ملتزما . و كذلك قد رسمنا بالمساححة بما انساق للأمراء و المقطعين من

١٥ البواقي فى بلادهم من الخراجى و الضمان و غير ذلك و إلى آخر مُغَلّ ستة أربع عشرة و سبعمائة، و لا يطالب أحد من الرعية و المزارعين إلا بحق شرعى يكون الغريم قد قبض العوض عنه، و مهما كان باقيا من خراج أو ضمان و ما يجرى مجرى ذلك فيسامح^٢ و لا يطلب منهم

(١) فى الأصل : الاقتصاب . و الكلمة غير منقوطة، ولكنها واضحة من السياق .
 (٢) الجملة هنا مطموسة، و ربما كانت الكلمة الأولى منها « الناس » و لكن باقيا لا يقرأ .

بالجملة الكافية ، ويستمر الحكم على ما رسمنا به في المساحة إلى آخر مغل
سنة أربع عشرة و سبعمائة ، ولا يتعرض أحد من نواب الأمراء والمقطعين
إلى استخراج شيء من الباقي المختص بالسنة المذكورة وما قبلها . وكذلك
رسمنا أن تعفا جماعة الفلاحين من ضيافة القدوم عند انتقالات الإقطاعات
في سنة الروك المبارك . وكذلك رسمنا بإبطال عداد النحل ، حسب هـ
ما يشهد به الديوان المعمور من جملة ذلك و تفصيله الحكم في ذلك في
بلاد الخاص الشريف و الأمراء والمقطعين ، ولا يستخرج بعد هذا
المرسوم الشريف . وكذلك رسمنا بإبطال زكاة الرجال بالديار المصرية
بالوجهين القبلي و البحري ، ثم أنعمنا النظر فيما عدا الملة المحمدية من
الطوائف ليكون عدلنا جامعا لجميع الملل و الطوائف ، فرسمنا في أمر الجوالى ١٠
بالديار المصرية و أعمالها تؤخذ من اليهود و النصارى أن لا تؤخذ
منهم جالية إلا على حكم التصقيع ، و رسمنا بالمساحة بما كان يستأدى^١
(هـ) منهم ٣ منسوبا للعجز حسب ما يشهد به الديوان المعمور . وكذلك
رسمنا بإبطال جميع البدول من الولاية و النظار (والم) ستوفين^٢ و أرباب
(١) جاز أن تكون الكلمة أيضا « النخل » لأن النقطة الأولى ساقطة ، والنقطة
الثانية قد تتبع انهاء أو ما قبلها ، و لكننا آثرنا استعمال « النحل » لوجود كلمة
« استخراج » فيما بعد مما يتصل بعسل النحل .
(٢) في الأصل : يستددي .
(٣) الكلمة مطموسة جزئيا بأول السطر .
(٤) الكلمة مطموسة جزئيا . و ربما كانت « المستوفين » كما جاءت فيما بعد .

الوظائف^١ جميعا من أرباب وغيرهم . فليستقر حكم هذا المرسوم الشريف لاستقبال تاريخه ٢٠٠٠ بعمل الروك المبارك و خروج المناشير الشريفة ، وهو من استقبال شهر صفر سنة ست عشرة وسبعائة ، بلغ الله تعالى إليها و ختمها بالصالحات . و تطل هذه الحوادث و المظالم التي رسمنا بإبطالها من القاهرة و مصر المحروستين و سائر أعمال مصر بجميع الولايات و الأعمال بالوجهين القبلى و البحرى حيث ما يشهد الديوان المعمول بحمله ذلك و تفصيله و تفريقه و تأصيله ، لا يختص بذلك بلد من البلدان و لا مدينة من المدن و لا قرية و لا كفر و لا جهة و لا منيل كبيرا كان أو صغيرا ، و لا استثناء فى هذا المرسوم الشريف و لا رجوع و لا تعقيب ، ١٠ و سبل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب و الأمراء و الولاة و النظار و المستوفين و الشادين و المتصرفين و سائر ولاية الأمور فى ممالكنا الشريفة العمل بحسبه من غير تأويل فى ذلك و لا تبديل ، و من نقض شيئا من ذلك أو استحل حرمة أو أحيا مظلة أماتها عدلنا الشريف فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين لعنة باقية إلى يوم الدين ، و العلامة ١٥ الشريفة أعلاه حجة به ، و قد كتبنا مثالها فى الأول إن شاء الله تعالى . كتب ثامن عشر ذى الحجة [ن ١٨٠ : ب] سنة خمس عشرة و سبعائة حسب الأمر الشريف . الحمد لله وحده و صلواته على سيدنا محمد و آله و سلامه و حسبنا الله و نعم الوكيل . - انتهى .

(١) فى الأصل : الوظائف .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا ، و ربما قرئت « بالعمل » .

فاظر يا هذا إلى محاسن فعل الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور
قلاون . فلما عدل في الرعية ، وأخلص النية ، طالت مدته في الملك
فعاش هنياً ، ومات على فراشه سوياً . وكانت وفاته في ذى الحجة ستة
إحدى وأربعين وسبعمائة ، ودفن مع والده الملك المنصور قلاون في
قبره بقبة المنصورية بين القصرين بالقاهرة المعزية . وعمر المنصور محمد هـ
في حياته المدرسة الناصرية المجاورة لقبة المنصورية من شرقها ، وعمر
أيضاً الجامع الذى بدار النحاس بمصر ، وعمر أيضاً الخانقاه التى بسرياقوس ،
وعمر أيضاً جامع القلعة ، وجدد أيضاً عمارة أبواب القلعة وكان محباً
فى لا يكاد ينقطع فى القلعة ، رحمه الله تعالى . وقد رثى بهرائى
منها المراثية التى لآبى الفضل قاسم البجائى القصّار نزيل ثغر الإسكندرية ، ١٠
فنها قوله :

بكت العيون بكل بحر زاخر أو كيف لا تبكى لفقد الناصر
ملك الشام وعزّ مصر ونورها حامى الحجاز ميد كل مخامر^٢
٣ فقد الوجود بل الوجود لفقده متحسراً أضخى شيه الحار
يبكى عليه بأدمع كيواقت طوراً^١ ولؤلؤ بعضها كجواهر ١٥

- (١) الكلمة مطموسة بالأصل ، ولكن يمكن قراءتها حدسا « العبادة » أو العبارة
(٢) إلى هنا تنتهى الزيادات الواردة فى بن وهى ساقطة من بر ، فأخذناها برمتها
عن بن وهى تشمل ذلك الرسوم الفريد من حكم الناصر محمد .
(٣) من هنا يستأنف الكلام فى كل من بن [١٨٠ : ب] وبر [٢٣٣ : ب] .
و يسبق الشعر فى بر : وقيل فى هذا المعنى .
(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة فى بن ويستقيم بذكرها ميزان البيت .

زار الثرى فاضا الثرى^١ من نوره و أجابه أهلا^١ بنعم الزائر
فقدابه القبر الذى قد حله روض يفوح كنشرمسك طاطر
و كأنه مذحل فيه روضة مطورة قد نمت بأزاهر
سقى لترب حل فيها جسمه قد عطرت منه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة كم^٢ وقعة شهرت له ببصائر
/ فى شقحب حز الرأس بسيفه قهرا و نصرا من عزيز ناصر
قد مده بالعز منه أولا^٣ فضلا^٤ ويؤتمم فضله^٥ فى الآخر

٥

[٢٣٤:الف]

و ظهر فى دولة الملك الناصر محمد المذكور^٦ بجمص^٧ مكان متسع^٨
تحت الأرض قد خسف، و إذا سرير كبير عليه رجل ميت، و إن
١٠ هامته من عظمها يفرش عليها حصير، و لم يحدوا عنده مالا^٩، فكتب
الملك الناصر^{١٠} فى ذلك^{١١}، فأمر أن تردم تلك الحفيرة عليه فردمت،

(١ - ١) هذا الجزء من البيت مطموس فى بن .

(٢) فى بن : و كم .

(٣) فى بن : او .

(٤ - ٤) فى بن : و تتم بعضه .

(٥ - ٥) فى بن : دولته . و بهامش بر : فكتة .

(٦ - ٦) فى الأصلين : مكانا متسعا .

(٧) فى الأصلين : مال .

(٨) ريدى بن : عهد .

(٩) فى بن : بذلك .

فَقِيلَ إِنَّهُ شَدَادُ بْنُ عَادِ الْبَائِي لَارِمِ ذَاتِ الْعِمَادِ ، وَقِيلَ غَيْرُهُ ١ - وَ اللَّهُ ٢
أَعْلَمُ ٣ مِنْ هُوَ مِنَ الْمُلُوكِ . قَالَ بَكْرُ بْنُ حَمَادٍ :

غَفَلْتُ وَ حَادَى الْمَوْتَ فِي إِثْرِ مَجْدٍ وَ إِن لَّمْ أَرْحَ مَيْتًا فَلَا بَدَّ أَنْ أُغْدُو
أَرَى عَمْرِي وَلِيَّ وَلَمْ أَتْرِكْ الْمَتَى وَ لَيْسَ مَعِيَ زَادٌ وَ فِي سَفَرِي بُعْدُ
أَنْعَمَ جَسْمِي بِاللِّبَاسِ وَ لَيْنِهِ وَ لَيْسَ لِجَسْمِي مِنْ قَيْصِ الْيَلَا بَدُ ٥
كَأَنِّي بِهِ قَدْ مُدَّ فِي بَرْزَخِ الْبَلَا وَ مِنْ فَوْقِهِ تَرَبُّ وَ مِنْ تَحْتِهِ لَحْدُ
وَ قَدْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْحَاسِنُ وَ اتَّحَتْ فَلَمْ يَبْقَ فَرْقُ الْعِظَمِ لَحْمٌ وَ لَا جِلْدُ
عَسَى غَافِرُ الزَّلَّاتِ يَغْفُو زَلَّتِي فَقَدْ يَغْفِرُ الْمَوْلَى إِذَا أَذْنِبَ الْعَبْدُ
أَنَا الْفَرْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَ الْفَرْدُ فِي الثَّرَى وَ أَبْعَثْ فَرْدًا فَارْحَمْ الْفَرْدَ يَا فَرْدُ ٣

١ وَ سَأَذْكَرُ هُنَا ٢ مَا قِيلَ عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ فِي تَعْظِيمِهِ لِقُدْرَةِ اللَّهِ ١٠
تَعَالَى ٣ . كَفَعَلَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ إِذْ كَانَ يَقُولُ فِي ذِكْرِهِ : سُبْحَانَ مَنْ
أَعْطَى مَلِكَهُ لِأَضْعَفِ خَلْقِهِ ٤ . وَ هُوَ أَنَّ ذَلِكَ الْمَلِكَ اضْطَجَعَ عَلَى فِرَاشِهِ
بِأَعْلَى قَصْرِهِ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَ أَشْخَصَ بَصَرَهُ لِلْفَلَكَ ٥ ، وَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُتَفَكِّرًا
وَ فِي هَيْئَتِهِ مُتَدَبِّرًا . فَقَالَ : أَيُّهَا الْفَلَكَ إِن بَنَاءَ أَنْتَ سَقْفَهُ لِعَظِيمٍ ، وَ إِن

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣-٣) الجملة والقصيدة التالية ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) في بن : فلنذكر الآن .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) في بن : إلى تلك .

يبتا أنت غطاؤه^١ لمكين ، وإن شيئا أنت تظله لكبير ، وإن فيك لعجبا
 لذى تفكير ، فليت شعري أعلّى عمد من تحتك تمتسك ، أم بمعالق تتعلق ،
 ولعمري إن ممسكا أمسكتك قدرته لملك قدير ، وإنك في استدارتك
 بتقديره^٢ عن^٣ زوالك لحكيم خبير^٤ ، وإن جهل من غفل عن التفكير
 ه في هذه العظمة لفر صغير - ثم أقبل على نجومه وقال : ليت شعري كم أفنيت
 من القرون ، وكم صحبت قبلنا من الأمم في سالف الدهور ، وكم حسر^٥
 الناظرون إليك من العيون ، وكم أعييت قبلنا من الفكر والعقول ؟ ليت
 شعري ما طلوعك حين تطلعين ، و مسيرك حين تسيرين ، و أفولك حين
 تأملين ، و على من سقوطك حين تغيبين ؟ و ليت شعري أموطة أنت
 ١٠ أم تتحركين ، أم كيف صفتك التي بها توصفين ، و لونك الذي به
 تتوسمين ، و من سماك باسمك الذي به تعرفين ؟ فسبحان من لأمره تنقادين ،
 و بمشيئته تجرين ، و بصنعة استقامتك حين^٦ تستقيمين ، و رجوعك حين
 ترجعين ، و " استنارتك حين تستنيرين " ، و بروزك حين تبرزين ، فبارك

(١) كذا في بن ، و هي في بر : غطاءه .

(٢) في بن : بتقدير .

(٣) في بن : و عن .

(٤) في بن : لخبير حكيم .

(٥) في الأصلين : حسرت .

(٦) في بن [١٨٢ : الف] حتى .

(٧-٧) في بن : و استنارتك حين تستنيرين .

الله أحسن الخالقين - شعر ١ في المعنى ١ :

كان نجوم الليل سارت نهارها ٢ فوافت ٣ عشاء وهي ٤ انضاء أسفار ٤

وقد خيمت كي تستريح ركابها فلا فلك جار ولا كوكب سارى

ولبعضهم في فراقه لمحجوبه :

[٢٣٤: ب] خليلي إني للثريا لحاسد و إني على ريب الزمان لواجد ٥

أبقى جميعا شملها و هي سبعة و أفقد من أحبته و هو واحد

[الكواكب و الأفلاك و الأبراج]

قال المسعودي في تاريخه: الأفلاك ٥ تسعة فأولها و أصغرها

و أقربها إلى الأرض فلك القمر ، و الثاني لعطارد ، ١ و الثالث للزهرة ٦ ،

و الرابع للشمس ، و الخامس للريخ ، و السادس للشترى ، و السابع لزحل ، ١٠

و الثامن للكواكب الثابتة ، و التاسع للبروج . و الأفلاك مستديرة محيطة

للعالم ، و هي تدور على مركز الأرض ، و الأرض ٧ في وسطها مثل النقطة

وسط الدائرة ، و سائر الكواكب كلها في الفلك الثامن ، و الفلك التاسع

هو أرفع و أعظم ٧ جسما ، و هذا الفلك يحيط بالأفلاك التي دونه و بالطبائع

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : نهارها . (بدون نقط و هو خطأ قلمى واضح) .

(٣) في بن : قوميت .

(٤-٤) في بن : انما اشعار .

(٥) في هامش بر : الأفلاك و عدتها .

(٦-٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

الأربع و بجميع الخليفة و ليس فيه كوكب واحد^١ ، و دوره من المشرق إلى المغرب كل يوم دورة واحدة تامة^٢ ، و يدور بدورانه ما تحته من الأفلاك المتقدم وصفها . و قيل إن الرعد^٣ هبوب^٤ الرياح في بطون السحب ، و البرق^٥ نار تظهر من تلاطم السحب ، و الصاعقة^٦ حديد و نحاس ه امتزجا في الجو و ألهبتهما^٧ النار^٨ قطرا . فأما^٩ الأفلاك السبعة المتقدم ذكرها ، فانها تدور من المشرق إلى المغرب ، و الفلك الثامن يدور على قطبين غير قطبي الفلك الأعظم . و إن الكواكب السبعة اكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ، و لها تفاوت في حركاتها ، و ان مقادير حركات هذه الكواكب في أفلاكها مختلفة^{١٠} ، فقام القمر في كل برج

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : تامة واحدة .

(٣) بهامش بر : الرعد .

(٤) في بن : مرور .

(٥) بهامش بر : البرق .

(٦) بهامش بر : الصاعقة .

(٧) في بن : و ألهبتهما .

(٨) في بن : نار .

(٩) في بن : و أما .

(١٠) في بن : تختلف .

يومان ١ و نصف و يقطع الفلك في شهر . قال الشاعر في الهلال و البدر ٢
و مغيبهما و ظهورهما :

يغيب هلال الشهر من دون ساعة كذلك ٣ أيضا ليلة النصف يظهر
فسته أسباع له كل ليلة يغيب على هذا الحساب ٤ و يسفر
فللبدر ثنتا ٥ عشر ساعة كملت ثامن عشرين الحساب المحرر ٦ هـ
و تاسع عشرين الشعاع حجابيه و يخرج منه ٧ ثلاثون تحصر
فان كان في قدر الأهنة قل يرى و إن قل عن مقدارها ليس يظهر
و اعلم أن مقام ٨ الشمس في كل برج شهر ٩ ، و مقام عطارد في
كل برج خمسة و أربعون ١٠ يوما ، و مقام المشتري في كل برج سنة ،

(١) في الأصلين : يومين .

(٢) في بن : و القمر .

(٣) في بن : كذاك .

(٤) في بن : الهلال .

(٥) في بر : ثنتي ، و هي كذلك في بن و هو الأصح .

(٦) في الأصلين : محرر .

(٧) في بن : معه .

(٨) في هامش بر : إقامة الكواكب في أبراجها .

(٩) في الأصلين : شهرا .

(١٠) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و أربعين .

ومقام زحل في كل برج ثلاثون ١ شهرا، وإن البروج الإثني ٢ عشر يتلو بعضها بعضا في [٢٣٥ : الف] مسيرها، ولا تنتقل ٣ عن أماكنها في طلوعها وغروبها.

[استدارة الأرض وأبعادها]

٥ و استدارة الأرض ٤ كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل، وإن قطرها وعمقها سبعة آلاف و ستمائة وستة و ثلاثون ٥ ميلا. وأن الفلك مستدير بمحورين و قطبين، و أنهما بمنزلة محور النجار و الخراط الذي يخرط الأكر ٦ و القصاع و غيرها من آلات الخشب، و ان من كان مسكنه في وسط الأرض و عند خط الاستواء استوى ٧ ١٠ ساطت ليله و نهاره و سائر الدهر، و ان هذين ٨ المحورين هما القطب الشمالى و القطب الجنوبى. و الكلام يطول على ما قيل فى الأفلاك والكواكب، فلنقتصر على هذا القدر منها.

(١) كذا فى بن، و هى فى بر: ثلاثين .

(٢) فى بن: الاثنا .

(٣) فى بن: تستقل .

(٤) فى هامش بر: استدارة الأرض .

(٥) فى بن: و ثلاثين .

(٦) فى بن: الأكرة .

(٧) فى بن: استوا .

(٨) فى بن: هاذين .

[الجبال و البخار و الأنهار و العيون و المدن]

و سأذكر^١ ما قيل في الجبال و البحار^٢ و الأنهار و العيون و المدن
 إن شاء الله تعالى^٣. ذكر في^٤ الكتاب المعروف بجغرافيا^٥ صفة الدنيا
 و مدنها و جبالها و ما فيها من البحار و الجزائر^٦ و الأنهار و العيون^٧
 و وصف المدن المسكونة و المواضع العامة، و أن عددها^٨ أربعة^٩
 آلاف مدينة و خمسمائة و ثلاثون مدينة في عصره، و سماها مدينة
 مدينة في إقليم إقليم. و ذكر^{١٠} في هذا الكتاب^{١١} ألوان جبال الدنيا من
 الحرة و الصفرة و الخضرة و غير ذلك من الألوان، عددها^{١٢} مائتا جبل
 و نيف، و ذكر مقاديرها و ما فيها من المعادن و الجواهر. و ذكر أيضا
 أن عدة البحار المحيطة بالأرض خمسة أبحر، و ذكر ما فيها من الجزائر^{١٣}
 و العامر منها و الغامر بما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر. و ذكر
 أن ابتداء بحر مصر و الروم من بحر الأصنام النحاس، و أن جميع العيون

-
- (١) في بن [١٨٢ : ب] : و لنذكر الآن - و بهامش بر : مطلب يذكر فيه
 الجبال و البحار و الأنهار و العيون و المدن .
 (٢-٢) في بن : و العيون و الأنهار و المدن الكبار .
 (٣-٣) في بن : كتاب جغرافيا .
 (٤-٤) في بن : و العيون و الأنهار .
 (٥) بهامش بر : عدد المدن .
 (٦-٦) في بن : في الكتاب المذكور .
 (٧) بهامش بر : عدد الجبال .

الكبار التي تنبع من الأرض مائتا عين و ثلاثون عينا ما عداها من
الصغار . وأن عدد الأنهار الكبار الجارية في الأقاليم السبعة المتقدم
ذكرها ١ على دوام الأوقات مائتان و تسعون نهرا . و هذه الجبال والبحار
و العيون و الأنهار كلها مصورة في كتاب جغرافيا بأنواع ٢ من الأصباغ
مختلفة ٣ المقادير ، فمنها ١ على صورة الطيلسان ، و منها على صورة الشابورة ،
و منها مدور ، و منها مثلث و غير ذلك - انتهى .

[خلفاء الناصر محمد]

فلنرجع إلى ذكر ٣ من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد ابن
الملك المنصور قلاوون . ولى بعد وفاة الملك الناصر محمد ولده الملك
١٠ المنصور أبو بكر ، فأقام مدة يسيرة ، ٥ و غضب عليه الأمير قوصون ،
أرسله إلى قوص حبسه بها و قتله ٥ . فقال أبو الفضل قاسم القصّار البجائي
نزير الإسكندرية من [٢٣٥ : ب] المروية المتقدم ذكر بعضها ٦ :
هذا محمد قد مضى لسبيله في رحمة الرب الرحيم الغافر

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) في هامش بر : مطلب ، ذكر من ملك مصر من ذرية الملك الناصر محمد بن
قلاوون .

(٤) هو المنصور سيف الدين أبو بكر و سلطنته ٧٤١ - ٧٤٢ هـ = ١٣٤٠ -
١٣٤١ م .

(٥-٥) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن ، و زيد في بر : و قتله الأمير قوصون
بمدينة قوص .

(٦-٦) في بن : ذكرها .

و أتى خليفته أبو بكر فلا تخشوا توئب غادر وعظام
أودى به قوصون غدرا فاغتدى في أرض قوص تحت لحد دائر

وولى قوصون مصر بعد أبي بكر بكك^١ ابن الملك الناصر محمد
ولقبه^٢ الملك الأشرف^٣ . وأمر قوصون ونهى في المملكة لصغر^٤ سن
الأشرف فكرهت قوصون الأمراء والعوام^٥ و " أبغضوه بغضة " عظيمة
لأمور يطول شرحها . فعمل عليه الأمير ايدغمش^٦ ، فسلط العوام
والحرافيش على إسطنبول المحتوى على أمواله و ذخائره فنهبوا^٧ بكاملها ،
وأخربوا مساكنه^٨ ، وأخذوا سقوفها ، و قلعوا رخامها ، و نقضوا
سقوف خانقته التى عمرها بالقراقة ، ونهبوا بيوت صوفتها (كذا) . وقبض على

(١) فى الأصل بر: لكبك . و محته فى بن - وهو الأشرف علاء الدين بكك
Kvjuk وقد خلف أخاه المنصور سالف الذكر وسلطنته فى ٧٤٢ هـ = ١٣٤١ -
١٣٤٢ م . انظر القرينى (كتاب السلوك ج ٢ قسم ٢ ص ٥٧١ وما يتلوها
« سلطة الملك الأشرف علاء الدين بكك بن الناصر محمد قلاون » .

(٢-٢) فى بر: بالملك الأشرف . و فى بن: ولقبه بالأشرف .

(٣) فى بن: فصغر .

(٤) فى بن: كراهة .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن: ايدغمش .

(٧) عن بن ، و فى بر: نهبوا .

(٨) فى بن: قصوره و مساكنه .

ثم خلع الملك الصالح صالح ١ ، وأعيد [٢٣٦ : الف] ٢ إلى المملكة ٣ الملك الناصر حسن ٣ ، فتمكن من المملكة ، وقعدت قواعده ، واجتمعت له الأموال الكثيرة ، وبنى ٤ المدرسة السلطانية المقابلة لقلعة الجبل بالقاهرة التي لم يكن ملك من الملوك مثلها ، واشترى مملوكا يدعى هـ يلغا ، فقربه و أدناه وأفاض عليه إحسانه ، وأكرم مثواه و لقبه بالخاصكى . ، فكبر شأن يلغا وعظم حاله ، فوثب على أستاذه الملك الناصر حسن قبض عليه ، وأودعه ٦ بيتا في قصره ٧ ، فأقام ٨ به أياما قليلة و قتله ، فوجد بخط السلطان حسن مكتوبا على ٩ حائط البيت ٩ الذي كان مسجونا به ٩ ما مثاله : « لا تقل متى كان ، ولا أين كان ، ١٠ ولا كيف كان ، فُدّر فكان ، كتبه حسن ملك مصر كان . » ثم ان

(١) الكلمة ساقطة من بن [١٨٢ : الف] .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الناصر ناصر الدين حسن وهذه سلطنته الثانية ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤ -

١٣٦١ م . و بهامش بر : ساطنة السلطان حسن .

(٤) في بر : و بنا ، وفي بن : فبنى .

(٥) في بن : بالخاصكى .

(٦-٦) كذا في بن ، و العبارة في الأصل بر : قصره في بيته .

(٧) في بن : أقام .

(٨) كذا في بن ، والكلمة في بر : في .

(٩-٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

يلبغا المذكور ولى الملك المنصور^١ محمد بن المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد، فأقام فى الملك إلى أن بلغ، فطلب من يلبغا الرشد، فخلعه من الملك، وولى مكانه الملك الأشرف شعبان^٢ بن الحسين ابن الملك الناصر محمد لصغر سنه، فسأله يلبغا أن يوليه نيابة المملكة مدة سنين معينة، فولاه فصار يلبغا يأمر وينهى^٣ و يؤمر من أراد^٤ من عماليكه ويعزل من يشاء، وتسمى بالأمير الكبير، و انقادت لامره الدولة، و سكن القصر المعروف بالكبش،^٥ فوسع فيه و عمر القصور به^٦، و أقام فى العز الضخم؛ و كان له نحو ألف^٧ مملوك يقال لهم الجلبان، ادخرهم لنوائب الزمان، فخذلوه و قتلوه كما سيأتى ذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .

١٠

ثم لما^٨ قتلت الممالك المذكورة أستاذهم يلبغا، أقاموا من بينهم أميراً يدعى أسندمر، فصاروا يفسدون فى الأرض و يفعلون القبائح

(١) المنصور صلاح الدين محمد و سلطنته ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١ - ١٣٦٣ م .

(٢) الأشرف ناصر الدين شعبان و سلطنته ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣ - ١٣٧٦ م .

و فى عهده حدثت وقعة الإسكندرية التى عاصرها النويرى و كتب « كتاب الإمام » فى صدددها، و بهامش بر: الأشرف شعبان .

(٣-٣) فى بن: و يولى من يريد .

(٤-٤) فى بن: فوسعه و عمر به القصور .

(٥) فى بن: ألقى .

(٦-٦) فى بن: فلما .

جها ، و قصدوا القبض على السلطان الملك الأشرف شعبان ، فانتصرت له العوام ، و قتلوا تلك المماليك الطغاة^١ ، و قبض على أسندمر و أودع الحب بالإسكندرية ، فصار به مسجوناً إلى أن مات^٢ . و قعدت بعد ذلك قواعد الملك للأشرف^٣ شعبان ، و تمكن في الملك و دخل الإسكندرية ، ه و بنى بقصر السلاح^٤ التي بها^٥ قاعة^٥ ملاءها سلاحاً كثيراً ، فصارت تلك القاعة^٥ كأحد قاعات الملوك السالفة بالقصر المذكور ليذكر بذلك كما ذكرنا . و هو الآن في سنة خمس^٦ و سبعين و سبعمائة منتصب في مملكته ، محسن لأهل دولته ، مشفق برعيته ، فآله تعالى يقوى سلطانه ، و يشدد أركانه . شعر^٧ :

١٠ ملك على متن السماء محله و بكفه الإيجاد و الإعدام

/ أقلامه قهرت سيوف عداته و سيوفه دانت لها الأقلام [٢٣٦: ب]

و إذا هي اشتهرت ليوم كريهة فعمودها قم هناك و هام

(١) في بن : العظام .

(٢) زيد في بن : به .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : الأشرف .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : سلاح .

(٦) في بن : سبع .

(٧) الكلمة ساقطة من بن .

و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب تاريخ دخوله الإسكندرية و صفة ذلك إن شاء الله تعالى .

[مرثاة الإسكندرية للنسراوى]

- فلنذكر الآن مرثية رثيت بها الإسكندرية ، بعد ' الواقعة الرديّة ' ،
 ٢ و الظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و ستين و سبعمائة ' .
 ٣ ذكر المرثية التى رثا بها الإسكندرية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد
 ٤ النسراوى التى عارض بها مرثية الشيخ الفاضل أبى عبد الله محمد
 ابن طاهر الإخميمى المتقدم ذكرها :

خاطر^١ فاجأ الورى لما خطر أوقع الناس^٢ الرزايا و الخطر
 ١٠ ياله من خطر حل فما يُبق فى تغييره ولا يذر
 بغتة جاء فما أعجله أخذه كانت كلمح^٣ بالبصر
 يالها من داهية مرت فلم أر منها قط أدهى وأمر

(١-١) فى بن : وقعتها .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣-٣) فى بن : وهى لأبى عبد .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : ذكره .

(٦) فى بن : خطر .

(٧) فى بن : للناس .

(٨) فى بن : لمح .

أقطعت في الناس بالثغر الذي لم تزل عادته سد الثغر
فقداء بعد ابتسام عابسا بيني الأصفر عبّاد الصور
جاء كلب الروم بالسفن التي وقرها خيل ورجل و مِير
ملاّ المينة منهم ولقد سيرا الملعون فيها و عبر
وأتى منهم غراب مسرعا جر بالمجذاف جرا مستطر
جاء للبر فاحتاطت به عصبة الإسلام يبنون الظفر
فأثنى منهم سريعا راجعا و لباقيهم جميعا قد صفر
فأتوا للبر عن آخرهم ورموا ٣ خيلا ورجلا وقر
و أحيط المسلمون بالبلد واستطال السيف فيهم وانشهر
لم يقدّ مذ دفنوا بمدفع ورموا بالمنجنيق فأنكسر
لا ولا عدّتهم معتدة للقاء الروم وكان يحتبر
فلكم رامى^٦ رمى عن قوسه نبلة غابت و ارميت بالوتر
ولكم^٨ سيف صقيل باتر قد نبا في ضربه ثم ابتدر

(١) في بن [١٨٢ : ب] : ستر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : ورمو .

(٤) في بن : وأحاط .

(٥) في بن : و انشر .

(٦) في بن : معتقد .

(٧-٧) في بن : فكم رام .

(٨) في بن : وكم .

'ولكم من راح عاجله عالج روم قتولى ودبرا
 ولكم^٢ من فارس^٢ جواده كره في حلبة الميدان خر
 ولقد جاءت عراب نجدة بنخيول عاريات كالبقر
 أرمت الأعداء^٣ عليهم سهمها بنصال حارقات كالآر
 / وصلت للسور منهم نفر / دافعوا دفعا قليلا بالحجر
 ومضت قوم إلى القصر لأن يأخذوا منه السلاح المدخر
 لم يروا إلا سلاحا واحدا صار فيهم كهشيم المحتضر
 فأتوا القاعات كيما^٤ يلبسوا لم يروا من الناس فيها^٥ نفر
 عند هذا حققوا^٦ أنهم وقعوا وسط القضاء والقدر
 عميوا^٧ عن رشدهم لا حيلة وإذا جاء القضى أعمى^٨ البصر
 هان بذل النفس منهم فرموا من أعالي السور^٩ لا يخشو خطر

٥ [٢٣٧: الف]

١٠

- (١-١) هذا البيت ساقط من بر ووارد في بن .
- (٢-٢) في بر : فارس من . و صحته كما أوردنا في النص لاستقامة الوزن به .
- (٣) في بن : العدا .
- (٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : المحتظر .
- (٥-٥) العبارة مطموسة في بن و لو أن آخر كلمة فيها تنتهى بحرف السين ،
 وربما كانت « الناس » .
- (٦) في بن : حققوا . (و واضح أنها خطأ قلمى) .
- (٧) في بن : عموا .
- (٨) الكلمة أصلا « عمى » و هي مصححة بقلم آخر إلى « عمى » وقد أخذنا بها .
- (٩) كذا في بن . و هي في بر : الصور .

ولقد جاء فريق منهم يبتغوا باب رشيد للفر
كسروه ثم ولوا هربا بعضهم من بعضهم يقفوا الأثر
عند ما عين كلب الروم ذا أن جيش المسلمين إنكسر
جاء زحفا ٢ حازما ٣ بعزمه دخلوا للشجر من باب القدر ٣
٥ رفعوا الصلبان في أعلاته فتعالى ربنا باري الصور
ولقد كانوا غداة ٤ دخلوا بجراد في حصيد ٥ إنتشر
أين عينيك ترى الشجر وقد هتك الإمرنج منه ما استتر
ونسات خضرات محرم قد أزالوا عنهم ٦ داك الخضر
ولكم مرضعة قد ٧ نحروا طفلها في صدرها أيضا اتحر
١٠ ولكم شيخ كبير قتلوا ما رعو في أمره حق الكبر
ولكم شاب نشأ في طاعة دأبه في ٨ عمره يتلو السور

(١) كذا في بن ، والكلمة في بر : يقفوا .

(٢) كذا في بن ، والكلمة في بر : حازما .

(٣) ربما كان المقصود « مجارى الألفية » بجوار الباب الأخضر ، وهي الواردة

فيما سبق من هذا الجزء . راجع بر ١٨٦ : ب .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : غداة .

(٥) في بن : منهم .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : من .

اسروه و استباحوا أسره و بهم أمسى ذليلا محتقر
 ما رعوا شانا ولا ذا^١ شية فصغير و كبير مستطر
 و لكم عين و عين جمعوا و لكم حازوا بدور و بدر
 كم عزيز قد غدا في ذلة و غنى بعد مال إفتقر
 عظم الله لهم اجرا لقد نال اجرا منهم من قد شكر
 و لقد جاء^٢ حديث مسند نصه قد جاء عن خير البشر
 ما قضى^٣ الله على امرء قضا منه إلا وله فيه الخير
 كم وكم من مسجد^٤ عمر في مبدأ الإسلام من عهد عمر
 قد غدا خابى على عروشه دخل الأعداء فيه و شعر
 / حرقوا الخانات مع حانوتها إذ رموم بحراريق الشر
 كل هذا فعل مولانا الذى لا يرد^٥ أمره إذا أمر
 ساق^٦ البرد لمصر غارة سوق عفا لا يخافون الغير
 وجدوا السلطان في سرياقس نازلا فيها فأعطوه الخبر
 بطقوا بليس في ساعتهم في حمام طالعوا المولى الأقر
 يلبغا مدبر الملك الذى أمره ونهيه قد اشتهر

١٠ [٢٣٧: ب]

٥

(١) في بن : ذو . و الكلمة مصححة في بر بقلم آخر .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : قضا .

(٤) زيد في بر : قد . و الكلمة لا وجود لها في بن ، و يستقيم الوزن بدونها .

(٥) كذا في بن ، و الكلمة في بر : ساق .

جاءهم سوقا على حالته ساعة الوقت سريعا ما فتر
 جهر الجيش و أعطى بالملا أوقر السفن و نادى بالسفرا
 لم يكن إلا قليل وصلوا بجيوش ليس تحصي كالمطر
 عبروا الثغر سراعا و جدوا قد قضى زيد من الوصل وطر
 ٥ و مضوا الإفرج في ساعتهم و خذوا في البحر جد^٢ في السفر^٢
 و غدا الثغر الشنيب أبخر^٣ عبره يبصرها^٤ من اعتبر
 يالها من خدلة قد خذلوا^٥ كسرة يحبرها من قد كسر
 لا يرتجا لبلاها كاشف غير من^٦ لله حقا قد نصر
 كاشف الخطب المهول إن غزا فارج الهم إذا ضاق المقر
 ١٠ سيد الرسل الذي يقدمه نصره^٦ بالرعب شهرا إن سفر
 يا رسول^٧ الله إنا فئسة بك لذنا من^٨ لثيم قد غدر
 يا رسول^٧ الله قد حل لنا من بنى الأصفر^٨ بؤس و ضرر

(١) في بن : السفر .

(٢-٢) في بن : بالسفر .

(٣) كذا في الأصلين ، ولعل الكلمة الأخيرة « أبخر » .

(٤) في بن : يبصر .

(٥) في بن : خالوا .

(٦) في بن [١٨٤ : - الف] : نصره (تأؤها المربوطة منقوطة على غير إمام
جاء في بر) .

(٧) في بن : رسول .

(٨) ساقطة من بن .

يا رسول^١ الله عانوا الله في أمره وتمددوا ما أمر

يا غياث المستغيثين به يا غياث الخلق طرا والبشر

يا ملاذ الناس يا كهف الوري يا كفيل البدو جمعا والحضر

لك تشكو^٢ ما آتى من حادث قد هوانا من ملاعين عور^٣

قد دهوا ثغر الهدى بدهية يالها من دهية فإ أمر

وأحاط الثغر فيهم نكبة ورختها الناس في الدنيا سير

فاسأل^٤ الرحمن في نصرتنا وخذ الثار لنا ممن كفر

استغثناك أغثننا إحنا إتنم^٥ عنا لنا ممن قهر

بك عذنا من رجيم مارد جاحد لله ندل قد فجر

/ لم تزل عنا خفيرا زائدا تحم عنا في الدنا ثم الآخر ١٠ [الف: ٢٣٨]

والخفير الغوث من عادته وسجاياه يحامي من خفر

إن يكن هذا لذنوب^٦ سابق قد جرى منا وجهل وغرر

أو تكن منا أساءات^٧ بدت فياله العرش أولى من غفر

(١) في بن [١٨٤ : الف] : يرسول .

(٢) في بن : تشكوا .

(٣) في بن : عور .

(٤) في بر : فاسئل ، وفي بن : فسل .

(٥) في بن : اتم .

(٦) في الأصلين : الذنوب .

(٧) في بن : اسات .

فانصرا^١ الامة^٢ واكشف عارها أنت أولى^٣ في الورى من اتصر
واشدد الوطأة في أعدائنا واعطنا فتحا مسينا وظفر
واقدر عنا وخذ تاراتنا من عدانا يا عزيز إقدر
وعلى المختار صل^٤ ربنا في أصيل وعشاء وبكر
ه وعلى الآل الكرام من بهم عزدين الحق حقا وظهر
ما همى وبل ومالت أيكه رشذا ارق على أعلا شجر
قال المؤلف غفر^٥ الله له و^٦ لاسلين أجمعين^٧ : ولما اجتمعت بالشيخ
أبي عبدالله محمد بن طاهر الإنخمي أوقفته على هذه المراثية التي عارض
بها أبو عبدالله^٨ محمد النستراوى^٩ مراثيته المتقدم ذكرها قطب وجهه
١٠ وظهر^{١٠} حرجه^{١١} لمعارضته لمراثيته التي رثا بها الإسكندرية بسبب نهب
الفرنج لها وسبى بعض أهلها^{١٢} وأشد لسان^{١٣} حاله يقول :

- (١) كذا في بن ، والكلمة في بر : فانتصر . ولا يستقيم بها الوزن .
(٢ - ٢) مطموسة في بن .
(٣) عن بن ، وفي بر : صلى .
(٤) في بن : رحمه .
(٥ - ٥) ساقطة من بن .
(٦) في بن : هبة .
(٧) في بن : التستراوى .
(٨) في بن : وأظهر .
(٩ - ٩) العبارة ساقطة من بر وواردة في بن .
(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

أقول إذا قالوا نراك مقطباً إذا ما ادعى دين الهوى خير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه إذا جاء بيت العنكبوت بمثله
'وقد تقدمت' مرثية ابن طاهر التي أولها:

حادث حل أرى الناس العبر فيما قد حال منه يعتبر'

٥ [حكايات جرت بالإسكندرية حين الواقعة]

و سأذكر ٣ الحكايات التي قيل إنها جرت بالإسكندرية حين الواقعة
مع ما أضفت^١ إليها من الأشياء المستطردة^٢ المناسبة لها^٣ إن شاء
الله تعالى^٤.

حكاية تشتمل على ترك حفظ الحرم من العدو اللثيم . حكى أن
الإفرنج الكفرة الطغاة الفجرة لما ظفروا بالإسكندرية ، وفرت أهلها منها^٥ ١٠
هرباً من أبواب البر^٦ ، صارت الإفرنج^٧ تنهب الديار ، وتأسر الأحرار ،

(١-١) هذا الجزء ساقط من بن .

(٢) في الأصل : تقدم .

(٣) في بن : فلنذكر الآن .

(٤) في بن : أضيف .

(٥) في بن : الاستطردات .

(٦-٦) ساقطة من بن .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) في بن : برها .

(٩) في بن : الفرنج .

فدخل إفرنجي^١ دارا فوجد بها شيخا مسنا^٢ ، و يد الإفرنجي^٣ سيف^٤ مجرد^٥ ، فارتاع الشيخ منه و فزع فزعا شديدا ، فقال له الإفرنجي^٣ : أين الذهب ؟ قال : حاضر . قال : احضره . قال : أخاف أن تأخذه مني و تقتلني ، وليس لك في قلبي راحة . قال : أنت^٦ في أمان مني . قال : فاحلف لي بالإنجيل و الصليب أنك إذا أخذت مني الذهب تتركني حيا . فحلف له^٦ ، فأحضر الشيخ ذهبا كان [٢٣٨ : ب] عنده فقبضه^٧ منه و قال له : امض معي إلى القرقورة لأريك ما عندي فيها و اطلق سبيلك . فقال الشيخ : أعفني من ذلك و لا تستأسرنى بعد أخذ^٨ مالي . قال : لا بد منه و فيه مصلحتك لئلا يقتلك أصحابي^٩ في منزلك ١٠ هذا إذا دخلوا عليك^{١٠} . قال الشيخ : فسرت معه إلى أن حصلت القرقورة ، و إذا بامرأة^{١١} جالسة قد غطت وجهها و هي تبكي و تتأوه

(١) في الأصلين : افرنجيا .

(٢) ساقطة من برو واردة في بن .

(٣) في بن : الفرنجي .

(٤-٤) في الأصلين : سيفا مجردا .

(٥) في بن : فانت .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) في بن : قبضه .

(٨) في بن : أخذك .

(٩) في بن : أصحابنا .

(١٠) في بن : بامرأة .

فكشف الإفريجى عن وجهها ، وإذا^١ هى امرأة حسناء جميلة من
سبايا الإسكندرية . قال فتعجبت من حسننها ، وتأملت لبسائها وحزنها
بسبب أسرها وبعدها عن وطنها ، فكلمتها فسكتت ولم تجبني عن
وطنها^٢ و لسان حالها يقول :

لم يبق إلا نفس خافت^٣ ومقلة إنسانها باهت
ومغرم تحرق أحشاؤه بالنار إلا أنه ساكت

فقال الإفريجى : يا هذا أكان^٤ ينبغي لزوج هذه الفرار عنها ويتركها
لغيره ولا يحميها بقتاله أو يقتل فيعذر . قلت : بلى والله . فقال : امض
إلى بلدك ولم زوجها على فراره عنها ، و قل له أين المروءة والنخوة
والذب عن^٥ الحريم ، فأيحى الحريم إلا^٦ ذو النسب^٧ الكريم ، ولا يفر^٨
عنه إلا الذمير اللثيم . قال الشيخ^٩ فقلت له : لقد وبخت فأوجعت ،
وثكلت بما ذكرت ،^{١٠} ولست أعرف زوجها فأخبره بذلك^{١١} ولكنى^{١٢}

(١) فى بن : فاذا .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بر : كان . وصحته فى بن [١٨٤ : ب] كما أوردنا بالنص .

(٥) عن بن ، وفى بر : على .

(٦-٧) فى بن : ذا الحسب .

(٧) كذا فى بن ، وهى فى بر : لكنى .

إذا نزلت من هذه القرقورة قتلتى^١ أصحابك النصارى . قال فدفع لى ريشة وقال : ضعها على جبينك تكنى^٢ شرم . ففعلت ما قال فسلمت منهم فى طريقى ودارى .

حكاية تشتمل على فرج بعد شدة . حكى أن امرأة^٣ حسنة الوجه^٣ كثيرة المال تأخرت فى دارها هى ووصفانها^٤ وجواربها^٥ عن الهروب حين الواقعة^٦ بالإسكندرية ، فدخلت الإفرنج إليها^٧ بأيديهم السيوف^٨ المسلولة ، فلما رأتهم نهضت قائمة ، وصارت من الفزع كالمهولة^٩ ، فنغزها أحدهم بذبابة سيفه^{١٠} نغزة خفيفة ، فصارت منها مجروحة^{١١} ، وقال لها : أين المال ؟ فازداد رعبها وقالت : المال فى هذه الصناديق التى هى داخل هذا البيت .
١٠ وأشارت إلى بيت بالمجلس^{١١} التى هى به ، وصارت ترعد من الخوف .

(١) عن بن ، و فى بر : قتلتنى .

(٢) فى بن : تكفا .

(٣-٣) فى بن : جميلة .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بر : وجوارها . وهى كما أوردنا فى بن .

(٦) فى بن : ظفروا الإفرنج .

(٧-٧) فى بن : بالسيوف .

(٨) فى بن : كالمهولة .

(٩) فى بن : السيف .

(١٠) فى بن : مرجوفة .

(١١) فى بن : فى المجلس .

فقال 'أحدم لها': لا تخافى ولا تفرصى فأتت تكونى عندى، وفى^١
مالى وخيرى ترتعى . فقهمت عنه أنه أحبها ويريدها^٢ لنفسه، فالت
إليه وقالت له 'بكلام خفى': أريد^٣ أن 'أدخل بيت' الخلاء،
^٤ ورقت له القول^٥ فهم عنها أنها أرادت^٦، وأنها حصل لها من الرعب
ما احتاجت معه إلى ذلك . فأشار إليها أن تمضى لقضاء^٨، [٢٣٩: الف] هـ
حاجتها . فضت و اشتغلوا بنهب الصناديق، فخرجت المرأة من باب
دارها، و دخلت مخزنا غلسا مملوءا تبنا بزقاق دارها، فحفرت فى التبن
حفرة و اندفنت^٩ بها، فطلبتها الإفرنج^{١٠} بعد نهيم لدارها فلم يجدوها^{١١}
فاشتغلوا^{١٢} بحمل النهب و مضوا، فسلبت المرأة من الأسر^{١٣} بحيلتها تلك^{١٤}،

(١-١) فى بن : لها كبيرهم .

(٢) فى بن : فى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : لى أريد .

(٦-٦) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٧) فى بن : أحبته .

(٨) فى بن : إلى قضاء .

(٩) فى بن : فاندفنت .

(١٠) فى بن : الإفرنج .

(١١) فى الأصليين : فلم يجدونها .

(١٢) فى بن : و اشتغلوا .

و كذلك وصفانها^١ و جواربها سلوا منهم بصعودهم سطح الدار .
 فقالت المرأة عند ذلك : سلامة الدين^٢ و العرض^٣ خير من المال
 الذى لم يدخر عند ذوى المروءات الا لغرض مثل هذا ، لأن الفقر
 خير من الأسر ،^٤ و الافتتان بتغيير^٥ الدين بالقهر ، و ان كان فى الأسر
 الغنى^٥ بسبب^٦ الحسن . فرضيت هذه المرأة بسلامة دينها و صيانة
 عرضها ، و لا تكون^٧ بعد الديانة عند كافر فى حاته و لسان حالها
^٨ ينشد و يقول^٨ :

إلى لحر المال ممتن و لحر عرضى غير ممتن
^٩ تم قال لسان حالها أيضا :

١٠ إن الغنى هو الغنى بنفسه و لو انه عارى المناكب حافى
 و سلامة الدين القويم من الأذى خير من الكفر السقيم الجافى
 ما كل ما فوق البسيطة كافيا فاذا قنعت فكل شيء كافى^٩

(١) ساقطة من بن .

(٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) فى بن : العرض ، بدون واو العطف .

(٤-٤) فى بن : و الاكراه على تغيير .

(٥) فى الأصليون : الفسا .

(٦) فى بن : لأجل .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى بر : تكن .

(٨-٨) فى بن : يقول .

(٩-٩) هذا القسم يأكله ساقط من بن .

ثم إنها ' رفعت قصتها ' إلى عالم ' سزيرتها ، و لسان حالها يقول :

الصبر يعقب راحة والغم يعقبه الجزع

إصبر وإلا فاضطرب فالصبر أتقع ما نفع

كم من مضيق^٣ معسر بالصبر وسع فائسع

والصبر عدة كل ذي عقل إذا وقع الفزع

كم عاد بالضرب امرء عند الشدائد فاندفع

الصبر زين للفق ويشينه ذل الظمع

ثم إنها قتعت بالفقر بعد الغنى ' وقالت : إن ' الدنيا عاقبتها للفناء .

ولسان حالها يقول :

هل عاينت عيناك من حامل شيئا من الدنيا إلى قبره ١٠

سوى الذى لا بد له من كفن يكسى^٦ إلى حشره^٧

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) في بن : لعالم .

(٣) في بن : ضيق .

(٤) في الأصول : الغنا .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦) في بن : يسلى .

(٧) زيد هنا في بن : قال الأصمعي : دم أعرابي رجلا بخيلا فقال أفسد آخرته

بصلاح دنياه ، ففرق عما عمر غير راجع إليه ، و قدم على ما أخرب غير منتقل

عنه ، و أن مال البخيل أبصر (!) تحت خاتمه ، و ليس يطلق إلا يوم ما

(الكلمة الأخيرة مطموسة و العبارة فيها خيل فآثرنا تركها بالحاشية) .

حكاية يعقبا أحبار و مواظ و غير ذلك . حكى بعضهم قال :
 كنت محتفيا^١ حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية بمكان^٢ أنظر من كوة
 صغيرة^٣ إلى الشارع ، وإذا بأربعة من الإفرنج^٤ فيهم^٥ عالج محتشم ،
 " فدخل الثلاثة " [٢٣٩ : ب] إلى دار و تأخر ذلك العليج خارجها ،
 ه ثم خرجوا منها ومعهم شاب حسن الوجه على رأسه طاقة و امرأة
 مغربية جسيمة جميلة الصورة كاملة الحسن على رأسها كوفية مذهبة
 وعليها قيص شرب^٦ و شعرها مسدول على كتفها ، فأتوا بهما^٧ إلى
 كبيرهم ، فأمر بضرب عنق الشاب ، فضرب بسرعة^٨ ، فوقت جثته
 على الأرض ، فاختلج و مد ذراعه عند خروج روحه ، فلما رأته زوجته
 ١٠ قتيلا جزعت عليه^٩ جزعا شديدا^٩ ، و لسان حالها يقول :

سألت فؤادى الصبر عنك فقال لى إليك فان الصبر من غير عادتي

-
- (١) كذا في بن [١٨٥ : الف] ، و الكلمة في بر : مخفيا .
 (٢-٢) كذا في بن . و العبارة في بر : اصغر من طاقة صغيرة . (و العبارة
 ناقصة) .
 (٣) في بن : الفرنج .
 (٤) في بن : احد .
 (٥-٥) في بر : مدحلت الثلاثة ، و في بن : فدخل ثلاثة .
 (٦) التريب نسيج رقيق من الكتان .
 (٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : بها .
 (٨) في بن : سريعا .
 (٩-٩) ساقطة من بن .

وانكبت على رأسه المقطوعة^١ تقبله ولسان حالها يقول:

'فوا أسفا ما أمرّ الفراق وأعلق نيرانه بالكبود

فقال لهم كبيرهم: آمضوا بها إلى القرقورة . فقالوا لها ذلك فامتنعت

من المضى معهم ، فقالوا: نقتلك كما قتلنا صاحبك . قالت: الموت بعد

فراق الحبيب أحسن من الحياة التي بعده لا تطيب . ولسان حالها يقول^٢: هـ

مالى سوى روى وناذل روى فى حب من يهواه ليس بمسرف

فأما القتل بحب من أحببتـه إن الملام عن الهوى مستوقف

ثم إنهم حاولوها^٣ على أن تمضى معهم ، وهى 'تمتنع وتلتقط' الحجارة

من الأرض و ترميهم بها ، فغلبوا فى أمرها ، فتقدم إليها أحدهم ، ضربها

بسيفه على عاتقها ، خرط السيف إلى بطنها ،^٤ فبرزت حشوتها^٥ وسقطت ١٠

المرأة إلى الأرض ، فوقع معصمها على ذراع زوجها الممتد . ومضت

الإفرنج وتركوهما بعد نهب^٦ ما كان بدارهما ، فماتا شهداء ،^٧ رحمة الله

عليهما^٨ .

(١) فى بن: المقطوع .

(٢ - ٣) هذا الجزء ساقط من بن .

(٣) فى بن: حاوروها .

(٤ - ٥) فى بن: برز حشوها .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦ - ٧) فى بن: رحهما الله تعالى .

[فضل الشهادة والشهداء]

قال المؤلف 'غفر الله له و لوالديه و للآقرين اليه و لجميع المسلمين آمين : و سأذكر' ما قيل في الشهداء و فضل الشهادة إن شاء الله تعالى .
 قال ابن رشد : الشهداء سبعة عشر و هم المقتول في سبيل الله ، و من قتل ه دون ماله ، و من قتل دون أهله ، و من قتل دون دينه ، و العرق ، و المحرق ، و المجنون ، و الهديم ،^١ و ذات الجمع - قيل إنها ذات الحمل ، و قيل هي البكر^٢ ، و المقتول ظلماً ، و أكيل السبع ، و الميت في سبيل الله و من مات مبطوناً فهو^٣ شهيد ،^٤ و المطعون شهيد^٥ و المريض شهيد ،^٦ و الغريب شهيد^٧ ، و صاحب النظرة شهيد ، و الملسوع شهيد .

١٠ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فناء أمتي بالطعن و الطاعون . [٢٤٠ : الف] فقلت : هذا الطعن ، فاهو^٨ الطاعون ؟ قال : غدة كغدة البعير ، و الفار^٩ منه كالفار من الزحف . فأما الذى يقتل دون ماله ، ففي الحديث كان سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف يخبران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قاتل دون

(١ - ١) في بن : رحمه الله تعالى ، و إذ قد ذكرت الشهداء فساذكر .

(٢ - ٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : بهذا .

(٤ - ٤) وردتا بآخر القائمة في بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بن .

(٦) في بن : الفار

ماله حتى قتل فهو شهيد . فهذا الرجل الذي قتله ' الإفرنج ' المتقدم ذكر
ضربهم ٣ عنقه ، حصل له ثلاث شهادات ، لأنه قتل دون ماله ، و دون
أهله ، و دون دينه . و زوجته أيضا ماتت شهيدة لأنها ' قاتلت و قتلت ' و
و أبانت عن مروءة لعدم تسليمها نفسها للأسر خوفا من أن تصير في
الرق و يطأها كافر فتحمل بكافر ، و تفنن في ' دينها بالضرب و الأذى ' .
حتى تدخل في دين الكفر ، فماتت مسلمة مؤمنة ' طاهرة حريصة على
' دينها و طلبها ' الشهادة يرميها الكفار ، ' بسم الحجار ' ، إلى أن قتلت
مقبلة غير مدبرة ، فصارت شهيدة مع زوجها الشهيد في الجنة أحياء
عند ربهم يرزقون . فكما ' كنا مجتمعين ' في الدنيا ، صاروا مجتمعين ' .
بجنة المأوى .

١٠

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سألنا رسول الله صلى الله
عليه و سلم عن أرواح الشهداء فقال : جعلت ' في أجواف طير خضر

(١) في الأصلين : قتلت .

(٢) في بن : العرنج .

(٣) في بن : ضرب .

(٤ - ٤) في بن : قتلت بعد أن قاتلت .

(٥) في بن : عن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧ - ٧) كذا في بن ، و هي في بر : طلب .

(٨ - ٨) في بن : بجملاميد الأحجار .

(٩) في الأصلين : ملأ . - بسقوط شرطة الكاف .

(١٠) كذا في بن ، و في بر : مجتمعان .

تأوى إلى قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث تشاء، ثم اطلع عليهم ربك اطلاعة . فقال هل تستريدون شيئا فأزيدكم ؟ فلما رأوا أنهم لا بد أن يسألوه ، قالوا : ترد أرواحنا إلى أجسادنا فنقتل في سبيلك مرة أخرى .

٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا . فان قيل : لم سمي الشهيد شهيدا ؟ قيل لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لقتلى^١ أحد المسلمين^٢ بالجنة ، فقال لأنهم شهدوا لطف الله وكرامته . وقيل لأنهم يشهدون الحساب ولا يحاسبون ، وقيل : لأنهم ١٠ يعيشون يوم القيامة^٣ ودمهم شاهدا لهم كما جاء في الحديث : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك . والأصل في هذا قوله^٤ صلى الله عليه وسلم في قتلى أحد : زملوهم في ثيابهم وكلوهمهم - الحديث^٥ عن كعب الأحبار . قال في كتاب الله المنزل^٦ الذي أنزله^٧ على موسى بن عمران أنه قال : بالإسكندرية شهداء استشهدوا يبطحائها^٨ هم خير من مضى وخير^٩ من

(١) كذا في بن [١٨٥ : ب] ، والكلمة في بر : لقتلا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : القيمة .

(٤ - ٤) في بن : عليه السلام .

(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦ - ٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن : هم مضى وخير .

بقى فهم الذين يباهى بهم الله شهداء بدر .
 وقيل لمالك بن أنس : هل بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 [٢٤٠ : ب] صلى على عمه حمزة وكبر عليه سبعين تكبيرة ؟ قال : لا
 ولا إنه صلى على أحد من الشهداء . واختلف بما إذا لا يصلى على
 الشهيد .^٢ فقيل لأن الصلاة^٢ إنما هي شفاعة لمن عليه ذنوب ،^٣ فالشهيد ه
 مستغن^٣ عن الشفاعة لعلو درجته^٤ ، وكثرة ثوابه . ولهذا قيل إنه
 عليه السلام لم يصلى^٦ عليه بعد موته ، وإنما كان الناس يدخلون عليه
 أفواجا فيدعون ويتضرعون . قال ابن وهب : إنما لا يصلى على^٧ الشهيد
 لأنه حى^٧ . قال ابن رشد : وهذا اعتلال ضعيف لأنه يقسم ماله ، وتنكح
 زوجته . وقيل يصلى على الشهداء إذا كان قتلهم في بلاد الإسلام بدخول^{١٠}
 العدو عليهم لانحطاط درجتهم على درجة من يدخل من المسلمين بلاد^٩

(١) عن بن ، وفي بر : فيما ذا .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣-٣) في بن : و الشهداء مستغنون .

(٤) في بن : درجاتهم .

(٥) في بن : ثوابهم .

(٦) كذا في بن ، وهي في بر : يصلى .

(٧-٧) في بن : الشهداء لأنهم أحياء .

(٨) في بن : دار .

(٩) في بن : ببلاد .

العدو فيستشهد هناك . وجاء في الخبر: ما غزوا قوم في قطر دارهم إلا ذلوا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما التقت فئتان قط إلا ويد الله بينهما . فإذا أراد الله أن يهزم إحدى الطائفتين أمال يده عليها . وقيل إذا التقت الفئتان تقول الملائكة : يا ربنا نكون مع من منهما ؟ فيقول : مع أعدلهما .

و اختلف لما ذا سمي الشهداء أحياء . فقيل لأنهم يتمتعون ويرزقون كالأحياء . وقيل لأنهم يكتب لهم في كل ليلة ثواب غزوة ويشركون في فضل جهاد المجاهدين إلى يوم القيامة^١ لأنهم^٢ سنوا لهم الجهاد ، ودليله قوله تعالى^٣ : ” من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس^٤ أو فساد في الأرض^٥ فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا “ . وقوله^٦ عليه السلام : ” من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة “ ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة “ . وقال رسول الله صلى الله

(١) في بن : عزى .

(٢) زيد في بن : تعالى . (٣) في الأصلين : أحد .

(٤) في بن : القيمة .

(٥) في الأصل : لهم . ولا يستقيم بها السياق .

(٦) قرآن كريم ٥ : ٣٢ .

(٧-٧) ساقطة من بر و واردة في بن وهو الأصح .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن : فيكون بذلك الكلام حديثا شريفا .

عليه وسلم : بعث الله جل ثناؤه^١ في آخر كل سبع أمم نبيا ، فن عصي
 نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين .
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله^٢ تعالى^٣ : ” يوم
 ندعوا كل اناس بأمامهم^٤ “ قال : يدعى^٥ أحدهم فيعطى^٦ كتابه يمينه ،
 ويمدله في جسمه ستون ذراعا ، يبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج^٥
 من لؤلؤ يتلالا ، فينطلق إلى أصحابه ، فيرويه من بعيد ، فيقولون اللهم
 آتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ، فيقول : ابشروا لكل رجل
 منكم^٧ مثل من هذا ، قال : وأما الكافر فيسود وجهه ، ويمدله في جسمه
 ستون ذراعا ، فيلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون [٢٤١ : الف] نعوذ بالله
 من شر هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا . قال فيأتيهم فيقولون : اللهم آخره . . ١٠
 فيقول : أبعدكم الله^٨ فان لكل رجل منكم مثل هذا . ذكره الترمذي وقال
 هذا حديث حسن غريب - انتهى .

نعود - قيل إن أرواح الشهداء تزكع و تسجد تحت العرش كأرواح

(١) زيد في بن : بعث .

(٢) في بن : قول الله .

(٣) في بن : عز وجل .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ٧١ .

(٥) في بن : يدعى .

(٦) في بن : فيعطى .

(٧) كذا في بن ، وهي بهامش بر : منهم .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

المؤمنين الذين يبتون على وضوء . وقيل لأن الأرض لا تأكل لحومهم .
 وقيل أربعة لا تأكل الأرض لحومهم^١ : الأنبياء والشهداء والعلماء وحلة
 القرآن . وقيل : سموا أحياء وإن كانت جميع الأرواح حية باقية لتأكيد^٢
 الشهادة كما يقال فلان هو الرجل . ولا يغسل الشهيد ظاهره^٣ وإن
 كان جنبا لأن غسل الجنابة من العبادة المتوجهة على الأحياء عند القيام
 إلى الصلاة . فإذا مات الميت^٤ ارتفعت عنه العبادات من الصلاة والغسل
 لها وغير ذلك ، وغسل الميت إما هو عبادة للأحياء تعبدوا بها ، فهي
 واجبة عليهم على الكفاية بإجماع^٥ . قيل وجوب السنن ، وقيل وجوب
 الفرائض ، وقد جاء بذلك الأثر .

١٠ ذكر^٦ أهل العلم بالسير أن حنظلة^٧ بن أبي عامر الأوسى كان
 قد ألم بزوجه في حين خروجه إلى غزاة أحد ، ثم هجم من الخروج في
 التغير ما أنساه الغسل وأعجله عنه^٨ ، فلما مات شهيدا أخبر النبي صلى الله

(١) بهامش بن : أربعة لا تأكل الأرض لحومهم .

(٢) في بن [١٨٦ : الف] : لتأكيد .

(٣) في بن : طاهر .

(٤) في بن : الشخص .

(٥) في بن : بالإجماع .

(٦) في بن : وذكر .

(٧) مطموسة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

عليه وسلم أن الملائكة غسلته . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم
سأل امرأته ما كان شأنه . فقالت يا رسول الله إنه كان جنباً غسلت
إحدى شقي رأسه فلما سمع الهيعة خرج فقتل ، فقال عليه السلام :
لقد رأيت الملائكة تغسله . فسمى حنظلة الغسيل .

- و أما غسل غير الشهيد فلا بد منه و الصلاة عليه لأنها عبادة للأحياء
تعبدوا بها ٣ ، فهما واجبان عليهم على الكفاية باجماع ٤ قيل وجوب السنن
وقيل وجوب الفرائض . و إذا مات ٥ أحد من ركب الحجاج ٦ بطريق
مكة لزمهم غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه ، فان تركوه عصوا
كلهم ، فان لم يحدوا ماء يمموه في وجهه و يديه و كفنوه و صلوا
عليه و دفنوه ٧ .

١٠

ولما رز عبيدة بن الحارث لعتبة بن ربيعة في يوم بدر ، و كان عبيدة
من حزب النبي صلى الله عليه وسلم ، و عتبة بن ربيعة من حزب المشركين ،

(١) في بن : يرسل .

(٢) في بن : أما .

(٣) في بن : فيها .

(٤) في بن : بالاجماع .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : الحاج .

فاختلف^١ بينهما ضربتين ، وكر حمزة بن عبد المطلب وعلی بن أبی طالب
بأسياهما علی عتبة فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عیسدة ، وجاءا^٢ به إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٤١ : ب] فاضجعا^٣ إلى جانب
موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه
ه الشريفة ، فوضع خده علی قدمه وقال : يا رسول الله لو رأي عمك
أبو طالب لعم أنى أحق بقوله فی قصيدته :

ونسبه حتى يُصرَّع حوله ونذهل عن آباتنا^٤ والحلائل
ثم مات رضى الله عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد
أنك شهيد^٥ .

١٠ وثبت فی الصحيحين أن حارثة بن سراقة قتل يوم بدر ، وكان فی
النظارة أصابه سهم فقتله ، فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت : يا رسول الله أخبرنى عن حارثة ، فإن كان فی الجنة صبرت

(١) فی بن : واختلف .

(٢) فی بر : وجاءوا ، فی بن : وجاء .

(٣) عن بن ، و فی بر : فاضجعوه .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فی بن : يرسول .

(٦) فی بن : ابناثنا .

(٧) فی بن : صحيح .

و إلا فأذن لي ما أصنع . تعنى من النياحة ، و كانت لم تحرم بعد . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويحك أهبلت أنها جنان ثمانية ، و أن ابنك في الفردوس الأعلى .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، ٢ أو هرما معندا ٣ ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر - انتهى .

[في تلقين الميت و غير ذلك مما يتصل بالموت و القبر]

فلنذكر الآن ما قيل في تلقين الميت * و تغميضه و غسله و الصلاة عليه و دفنه * . يستحب أن يلحق الميت الشهادة ٦ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ٦ : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة . و لا يكثر عليه في ذلك ، فإن قالها مرة ثم تكلم بغيرها أعيد تلقينه ، و إن

(١) في بن : الأعلام .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : غناء .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥-٥) ساقطة من بر و واردة في بن [١٨٦ : الف - ب] بإضافة « لما عن النبي

صلى الله عليه وسلم » و الغالب أن صحتها « لما جاء » .

(٦-٦) في بن [١٨٦ : ب] : قال عليه السلام .

لم يتكلم ترك و يغيب بصره إذا قضى لا قبل ذلك ، وتمد رجلاه إن أمكن ، وأن تشد لحياه ، هذا قبل أن تبرد أعضاؤه ، لتلا يبقى مشوه الخلقة . ويستحب أن يقال عند الميت حين يحتضر « سلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين » ، لمثل هذا فليعمل العاملون ، وعد غير مكذوب .
 هـ ولا بأس أن تغمضه الحائض والجنب . ويستحب أن يقال عند إغماضه « بسم الله » و على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم يسر عليه موته ، وأسعده بقلائك ، واجعل ما خرج إليه خيرا مما خرج منه ٣ ، .
 وأن يكثر له الدعاء فان الملائكة يحضرونه و يؤمنون على دعاء الداعي .
 ويستحب أن يقرب منه رائحة طيبة من بخور . ولا بأس أن يقرأ عند رأسه سورة يس أو غيرها . والذي يتوجه على المسلمين في الميت غسله و تكفينه و الصلاة عليه و دفنه . فأما غسله ففيل فرص ، وقيل سنة . وفي غسله ٤ بماء زمزم قولان : القول بالمنع في كتاب ابن شعبان ، [٢٤٢ : الف] و أنكره ابن أبي زيد . و روى أنه مخالف لقول مالك وأصحابه ، ولا شك أنه ماء مبارك . ومع ذلك ٥ فلا يمنع أن يصرف

(١) في بن : باسم .

(٢) كذا في بن ، والكلمة في بر : وفاة .

(٣) في بن : عنه .

(٤) مطموسة في بن .

(٥-هـ) في بن : أنه .

فيما يصرف فيه أنواع المياه ، إذ المعلوم أن هاجر أم إسماعيل^٢ صلوات الله عليه و سلامه^٣ إنما كانت هي^٤ و ابنها و من نزل عليهما^٥ من العرب^٦ لم يكونوا^٧ يستعملون^٨ في كل ما يحتاجونه سيواء . و أما تكفينه^٩ فقد قال^{١٠} النبي صلى الله عليه وسلم : البسوا البياض و كفنوا فيه موتاكم فانها من خير^{١١} ثيابكم . و قال عليه السلام : إذا كفن أحدكم أخاه^{١٢} فليحسن كفنيه . و المطلوب^{١٣} في الكفن^{١٤} الستر مع حصول الوتر ، فإن اضطر إلى أحدهما لوقوع التعارض في بعض الصور ، قدم البتر على الوتر ، لأن جنس الستر من باب الواجبات ، و الوتر من باب الفضائل ، و لأجل ذلك قدم الإثنان على الواحد ، و إنما يحصل معه^{١٥} الإحزاء خاصة ، و قدمت الثلاثة على الأربعة لحصول الستر^{١٦} و الوتر^{١٧} جميعا في الثلاثة . و فقدان الوتر في الأربعة . و الواجب من الكفن

(١) في بن : اسمعيل .

(٢-٣) في بن : عليه السلام .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، و في بر : لم يكن غيره لم .

(٥) في الأصلين : يستعملوا .

(٦-٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : نفس .

(٨-٨) في بن : من ذلك .

(٩) ساقطة من بن .

ما يستر 'عورته'، أى الميت^١، وما زاد عليه فهو سنة . و الصلاة عليه فرض على الكفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقيين، وقيل سنة وتجب بأربع صفات فى الميت: ثبات الحياة له قبل، والإسلام، ووجود الجسد^٢ أو أكثر^٣، وكون الميت غير قتيل فى معترك بين المسلمين والكفار . ولا يصلى^٤ على (من) لم يظهر له^٥ صراخ أو ما يتحقق به حياته، ولا على كافر، ولا على شهيد فى المعترك . ولا يغسلون ولا يحنطون ولا يكفنون تكفين الموتى، بل يدفن الشهيد فى ثيابه إلا أن يكون عريانا فيلف فى ثوب . وكذلك يفعل بالقس^٦ والكافر إن اضطر المسلمون إلى دفنه .

١٠ وفى الصلاة على الميت قيراط من الأجر . وقيراط فى حضور دفنه^٧، والقيراط مثل جبل أحد ثوابا، واختلف لآى^٨ شىء مثل القيراط بجبل أحد عن سائر الجبال، فقليل^٩: لأنه أكبر الجبال وهو (١-١) فى بن: عودة الميت .

(٢-٢) فى بن: وأكثره . والصواب فى بن .

(٣-٣) فى بن: على سقط لم له . ولعظة «من» لا وجود لها بالأصل وهى لازمة لانسجام العبارة .

(٤) فى بن: بالسقط .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦) كذا فى بن، والكلمة فى بن: ولاى .

(٧) فى بن: قبل .

جبل بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل مثل لحم بما يعرفون ،
 وقيل لأنه متصل بالأرضين السبع . ويكون لأحد معنيان : أحدهما ١
 أنه لو كان هذا الجبل من ذهب وفضة وتصدق به لكان ثواب مثل
 هذا القيراط ، وقيل لو أخذ هذا الجبل وجعل ٢ في كفة وجعل هذا
 القيراط في كفة لكان يساويه ٣ . ولا يصلى على غائب أو غريق أو أكيل ٥
 سبع ونحوه إلا أن يوجد أكثر الجسد ٣ ، وأما دفعه ففرض . قال مالك
 في الصلاة على [٢٤٢ : ب] الطفل : يسأل له الجنة ويستعاذ له من النار ،
 قال اللخمي : وقد قيل لا يعذب لقول الله عز وجل " وما كنا معذبين
 حتى نبعث رسولا " - ولا نعذب إلا من خالف وعصى بعد توجه
 الخطاب . وإن كان ذلك لم يستعذ له من النار ، والذي عليه جمهور ١٠
 أهل السنة إن الله تعالى له أن يعذب من يشاء من خلقه ابتداء وإن
 لم يتوجه عليه تكليف ، يدل عليه ما جاء في الحديث من أن يقتص للشاة
 الجماء من الشاة القرناء ، ومعلوم أن الشاة لم يتوجه عليها تكليف وإن كان
 قد قيل في الحياة إنما هو مجاز وعارة عن المبالغة في العدل . وسيأتي
 في ترجمه القضية لمع من أخبار أطفال المسلمين و أطفال المشركين ١٥
 * إن شاء الله تعالى * .

(١) ساقطة من بن . (٢) في بن : ووضع .

(٣-٣) العبارة بأكملها ساقطة من بن .

(٤) قرآن كريم ١٧ : ١٥ .

(٥-٥) ساقطة من بن .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعن الحدود ، وشق الجيوب
 وضرب الصدور ، والدعاء بالويل والثبور . وفي الحديث : لعنت
 النائحة والسامعة والشاقة جيها واللاطمة وجهها ، ولا ينشرون شعرا ،
 ولا يدعين ويلا . قال ابن حبيب : وقد أيسح البكاء قبل الموت وبعده
 ٥ ما لم يرفع به الصوت ، أو يكون معه كلام يكره ، أو باجتماع من النساء ،
 وبكى النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم ولده يحود بنفسه ، فقبل ٣ له
 في ذلك فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسنخ
 الرب ، يا إبراهيم لو لا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وقضاء مقضى ،
 وسيل مأتى ، وإن الآخر لاحق بالآول لحزنا عليك ، ووجدنا بك
 ١٠ أشد من حزنا هذا ، وإيا بك يا إبراهيم لمحزونون . ثم استرجع النبي
 عليه السلام وأكثر من حمد الله تعالى . ومر النبي صلى الله عليه وسلم
 بمنازة يبكى عليها من غير نياحة فاتهر من عمر فقال عليه السلام : دعهن
 يا ابن الخطاب فإن العين دامة ، والنفس مصابة ، والعهد قريب . وفي

(١) في بن : الموت .

(٢) في بن : وبكا .

(٣) في بن : وقيل .

(٤-٤) مطموسة في بن .

(٥) في بن : ووجدناك .

(٦-٦) في بن : صلى الله عليه وسلم .

الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بـيـتـم يـبـكى فـبـكى^١ رـحـمـة له
ثم قال: إن^٢ الميت يعذب ببكاء الحي . أى إن ذلك يحزنه و يسوءه ،
فكم من ميت رثى فى المنام ، فقيل له: كيف حالك ؟ فيقول : ساء
حالى من فلان و فلانة كانا يكثران على البكاء . وقال^٣ عليه السلام :
إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه . قال الشيخ أبو عمران الجورائى : إنما هـ
ذلك إذا أوصاهم و قال لهم : تفعلون ذلك بعد موتى ، و أما إن^٤ لم يوصهم
فلا لقوله تعالى : ” ولا تزر وازرة وزر أخرى “ .

فلذا ذكر الآن ما قيل فى تخصيص القبور و بنائها . و كره هـالك^٥
رحمه الله^٦ تخصيص القبور [٢٤٣ : الف] و البناء عليها . و إنما كره
ذلك لنهى^٣ النبي عليه السلام^٣ عن تخصيص القبور ، و لأن ذلك من ١٠
زينة الدنيا و تماخرها ، و الميت غير محتاج إلى ذلك . قال الشاعر :
و ما ينفع المقبور عمران قبره
إذا كان فيه جسمه يتهدم

(١) فى بن : فبكاء .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) فى بن : إذا .

(٥) وردت فى عدة آيات بالمصحف منها ٦ : ١٦٤ و ١٧ : ١٥ و ٣٥ : ١٨ و ٣٩ :

٧ و ٥٣ : ٣٨ .

(٦-٦) فى بن : رضى الله تعالى عنه .

عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : ١ : توفيت امرأة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منها ويمازحونها ، فقلت : استراحت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن بين أيديكم عقبة كؤودا ٢ لا يتجو ٣ فيها إلا ٤ عصف . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس أربعة و الأعمال ستة : موجبات ٥ . ٦ و مثل بمثل و عشرة أضعاف و سبعمائة ضعف .

موجبات^٧ من مات كافرا . وجبت له النار . ومن مات مسلما ، وجبت له الجنة ، و مثل بمثل العبد يهم بالحسنة فتكتب له حسنة ، والعبد^٨ يهم بالسيئة^٩ فلا يجزى^٩ إلا بمثلها ، والعبد يعمل الحسنة فتكتب له عشرا ، والعبد ينفق النفقة في سبيل الله فتضاعف له مائة ضعف . و الناس ١٠ أربعة : موسع عليه في الدنيا ، موسع عليه في الآخرة ، و موسع عليه في الدنيا مقتور^{١١} عليه في الآخرة ، و شقي في الدنيا شقي في الآخرة ، و سعيد

- (١) ساقطة من بر و واردة في بن .
 (٢) في الأصلين : كودا .
 (٣) في بن : ينجوا .
 (٤) زيد في بن : كل .
 (٥-٥) في بن : النبي .
 (٦) في بن : موجبتان . و الكلمة مطموسة جزئيا .
 (٧-٧) ساقطة من بن .
 (٨-٨) في بن : يعمل السيئة .
 (٩) في بن : يجازى .
 (١٠) في بن : مقتر .

في الدنيا سعيد في الآخرة . قال الشاعر :

أربعة في الناس أبصرتهم أحوالهم بينة ظاهره
فواحد دنياه منقوصة من خلفه آخرة وافر
وآخر دنياه قدامه ليس له من خلفه آخرة
وآخر فاز بكليهما صحت له الدنيا مع الآخرة
وآخر يبكي على حاله ليس له دنيا ولا آخرة^٥

ولا بأس أن يوضع في طرف القبر الحجر الواحد لثلا يحفر^٢
موضعه . و لا بأس بالمشي على القبر إذا عفا أثره . فاما و هو مسنم
و الطريق حوله فلا أحب ذلك لأن في ذلك تكسير تسليمه و إباحته
طريقا . و قال ابن حبيب : و لا بأس بزيارة القبور و الجلوس عليها^{١٠}
و السلام عليها^٣ عند المرور و قد فعل ذلك النبي عليه السلام و كان يقول :
السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين و المسلمين ، يرحم الله المستقدمين
و المستأخرين ، و إنا بكم لآحقون ، اللهم ارزقنا اجرهم ، و لا تفتنا بعدهم
و اغفر لنا و لهم . و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بزيارة القبور
فقال عليه السلام : زوروا القبور فانها تذكر [٢٤٣ : ب] الآخرة .^{١٥}
عن جابر بن عبد الله^٤ قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

(١-١) البيت ساقط من بن .

(٢) في بن : يحفر .

(٣-٣) زيدت من بن [١٨٧ : ب] و هي ساقطة من بر .

(٤) في هامش بر : نكتة .

تحدثوا عن بني إسرائيل فانه كانت فيهم أعاجيب . ثم أنشأ يحدث^١
 قال : خرجت طائفة منهم ، فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا
 ركعتين ودعونا الله^٢ يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، قال
 ففعلوا ، فبينما هم كذلك إذ اطلع رجل رأسه من قبر بين عينيه أثر
 السجود ، فقال يا هؤلاء ، ما أردتم إلى^٣ فوالله لقد مدت منذ مائة سنة
 فما سكنت عني^٤ حرارة الموت حتى الآن ، فادعوا • الله أن يعيدني كما
 كنت - انتهى^٥ .

قال بعضهم : رأيت على قبر حجرا^٦ فيه منقوش^٧ :
 أصبحت بقبر حفرة مرتهنا لا أملك من دنياي إلا كفنا
 ١٠ يا من وسعت عبادته رحمة من بعض عبادك المسيئين أنا
 وقال^٨ بعضهم رأيت آياتا منقوشة على حجر بقبر ملك وهي :

(١) في بن : يحدثوا .

(٢) زيد في بن : تعالى .

(٣-٣) مطموسة في بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : فادع .

(٦) كذا في بن ، والكلمة في بر : حجر .

(٧) في بن : منقوشا .

(٨) في بن : قال .

- أنارهن التراب في القبر وحدي واضعا فوق لبنة الطين خدي
قد بدا الدود في محاسن وجهي ورعي^١ في يدي وكفي وزندي
و حري ناظري على صحن خدي وجفائي الصديق من بعد ودي
فأنا اليوم في التراب ذليل بعد عز و جمع شمل و جندی^٢
عجب^٣ للذي يرى سوء حالي كيف يلهو وكيف يلتذ بعدى
و رثي^٤ على قبره حجر منقوش فيه • : اللهم • إني جئت بك إليك ،
ولا شيء^٥ أعز منك عليك^٦ ، اللهم كما كنت دليلى عليك ، فكن
شفيعي إليك ، اللهم إن حسناتي من عطائك^٧ ، وإن سيئاتي من فضائك
فجد بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمحو^٨ ذلك بذلك يا أرحم
الراحمين .

١٠

وقد جاء في تعزية المصاب ثواب كثير . روى أن^٩ النبي صلى الله

(١) في بن : ورعا .

(٢) في بن : وحند .

(٣) في بن : عجبى .

(٤) في بر : ردى . وفي بن : روى .

(٥) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٦) كذا في بن ، و العبارة في بر : أعرضك عليك .

(٧) في بن : عطاك .

(٨) في الأصلين^١ : تمح .

(٩) في بن : عن .

عليه وسلم ، كان إذا عزي يقول : بارك الله لك في الباقي ، وآجرك في القاني . وعزي عليه السلام امرأة في ابنها فقال : إن الله ما أخذ وله ما أعطى ، ولكل أجل مسمى ، وكل إليه راجعون ، فاحتسبي واصبري فإن الصبر عند الصدمة الأولى ٢ ، فمن بان صبره على عظم ه بلواه تضاعف أجره .

و كان ابن سيرين يقول : أعظم الله أجرك ، وحسن عاقبتك ، وغفر لميتك . واحسن التعزية ما جاء في الحديث : آجركم الله في مصيبتكم ، وأعقبكم منها خيرا ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ومن نزلت به مصيبة فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتى ، ١٠ وأعقبني خيرا منها ، واغفر لى سيئها [٢٤٤ : الف] وما كان من توابعها ، وما اتصل بها ، وما هو محشور فيها ، وكل شيء كان قبلها وما كان بعدها ، قال بعض الصالحين : فقلتها فهانت على تلك المصيبة فلو أن الدنيا كلها كانت لى فى ذلك الوقت وأصبت فيها لهانت على

(١) زيد فى بن : أنه .

(٢) زيد فى بن : قال حمارة اليمنى هى الصلوة الأولى .

(٣) فى بن : محشور .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : يكون .

ولكان ما وجدت من برد الرضى^١ والتسليم أحب الى من ذلك الكتاب^٢
كله^٣ . و لبعضهم فى المعنى^٤ :

إذا نزلت بساحتك المنايا^٥ فلا تجزع لها جزع الصبي
فان لكل حادثة عزاء بما قد كان من فقد النبى

و قال أبو الحسن الشاذلى : كل مصيبة يرمى ثوابها ، ولا يخاف^٦ .
عقابها .^٧ وقال أيضا : من قال على مصيبة نزلت به اللهم أجرنى فى
مصيبتى ، وأعقبني خيرا منها . قال : فألق^٨ على واغفر لى سيئتها ، وما
كان من توابها ، وما اتصل بها ، وما هو محشوف فيها ، وكل شيء
كان قبلها ، وما يكون بعدها . فقلتها فهانت على ، فلو أن الدنيا كانت
لى فى ذلك [الوقت -^٩] وأصبت فيها لهانت على ، ولكان ما وجدت^{١٠}
من برد الرضى والتسليم أحب إلى من ذلك كله .

^٩ قال بعضهم كنا فى جنازة عبد الله بن الحارث ، فاذا امرأة تقول

(١) فى بن . الرضا .

(٢) كذا فى الأصلين : وقد تكون كلمة « الكتاب » زائدة .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) مطموسة فى بن [١٨٨ : الف] .

(٥) فى بن : الرزايا .

(٦) العبارة من هنا إلى « قال بعضهم كنا فى جنازة » ساقطة من بن .

(٧) فى الأصل : فالتى .

(٨) الكلمة غير موجودة بالأصل ، وتكتمل بها الجملة والمعنى .

(٩) يستأنف هنا الكلام فى بن [١٨٨ : الف] كما هو فى بر .

يا حراً عليك ، و يا شوقاً إليك . فسألت عنها ، فقيل إن ابنها مات .
فقلت : يا أم عبد الله إن عبد الله كان بعض البشر . قالت : بل كان ظهراً
فانكسر ، و جاراً حراً ينتظر ، و إن في ثواب الله لعزاء على القليل ، و عوضاً
من الجليل . قال : فما ذكرنا حسن التعزى ، إلا خطر يبالنا قولها .

٥ و عزى بعضهم آخر فقال : المصيبة ' في غيرك لك ثوابها ، خير
من مصيبة فيك لغيرك أجراها . و عزى بعضهم فقال : سرك ولدك حياً
و هو عدو و فتنة ، ثم أحزتك و هو صلة و رحمة . و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : إذا مات ولد العبد قال الله عز و جل للملائكته :
قبضتم ولد عبدي ، فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ، فيقولون :
نعم ، فيقول : فماذا قال عبدي ، فيقولون : حمدك و استرجع ، فيقول : ابنوا
له بيتاً في الجنة و سموه بيت الحمد . ذكره الترمذى ، ٣ و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم : ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا هم
و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من
خطاياها ، ذكره مسلم .

١٥ و من بلغه موت أخيه المسلم فترحم عليه و استغفر له ، كتب له
كأنه شهد جنازته و صلى عليه . و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم
أنه قال : [٢٤٤ : ب] مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ،
ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب ، و إنه ليدخل على قلوب

(١) في بن : لمصيبة .

(٢) في الأصلين : فيقول .

(٣) بهامش بر : الصبر على المصيبة .

(٤) في بن : و أخ .

الأموات من دعاء الأحياء مثل الجنال . وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت معه ١ طبق من نور عليه منديل ، فيقول هذه ٢ هدية لك من أخيك فلان ، من عند قريبك فلان ، فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

و ذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة من ابنه أو صديقه ، فإذا لحقته كان أحب له من الدنيا وما فيها ، وإن الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى إليه ، بل الميت أكثر وأكثر ، لأن الحى قد يستقل ما يهدى إليه ، ويستحقر ما يتحف به ، والميت لا يستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح ٣ بعوضة أو وزن مثقال الذرة لا ٤ يعلم قيمته ، وقد كان ٥ يقدر عليه فضيعة . وما يدل على صحة ما يهدى الحى للميت . قوله ٦ عليه السلام : إذا مات المرء انقطع عمله ٧ إلا من ثلاثة ٨ : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، فهذا دعاء الولد يصل والده ينتفع به ، وما ذلك إلا أن يكون الدعاء لهم ٩ ، والسلام

(١) كذا فى بن ، وهى فى بر : و عليه .

(٢) فى بن : هذا .

(٣) فى بن : الجناح .

(٤) فى بن : لأنه .

(٥-٥) فى بن : يجرى .

(٦-٦) فى بن : صلى الله عليه وسلم .

(٧) فى بن : عليه .

(٨) فى بن : ثلاثة .

(٩) ساقطة من بن .

عليهم ، يصل إليهم^١ و يأتيهم - والله أعلم .
 وما يدعى^٢ به لأهل القبور أن يقول : أمن الله روحكم ، آنس الله
 وحشتكم ، رحم الله غربتكم ، قبل الله حسناتكم ، تجاوز الله عن سيئاتكم .
 قال عتبة بن هارون : كنت مع فضل الرقاشي فمر بقبر فقال : يا أهل
 القبور الموحشة ، والمحال الوعرة ، التي نطق بالحراب فناؤها ، وشيد في
 التراب بناؤها ، فحلها مقرب ، وساكنها مقرب ، أهل منازل متشاغلين
 لا يتواصلون تواصل الإخوان ، ولا يتزاورون تزاور الخيران ، قد طنتم
 بكلكلها البلاد وأكلهم الجندل والثرى^٣ . والحذر الحذر من شتم الحي
 لليت . قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا شتم الحي الميت
 فكأنما قتل سبعين^٤ نيا^٥ ، وكأنما قتل أمه وأباه ، وكتب الله عليه بكل
 نجم في السماء ستين خطيئة ، أصغرها كن قتل مؤمنا متعمدا ، وضيق عليه
 قبره ، ويفتح عليه من قبره بابا من العذاب ، ولا يستجاب له دعاء ،
 ويعاقب في الأرض . كما يعاقب شاهد الزور ومدمن الخمر . ويلعنه كل
 ملك بين السماء والأرض . ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من النار
 فان تاب تاب الله عليه .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : يدعى .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من برو واردة في بن [١٨٨ : الف - ب] وبها
 بعض خموض وقد قلناها كما هي في الأصل .

(٤) في بن [١٨٨ : ب] : ستين .

(٥) في بن : الآخرة .

و قال أبو هريرة قال ' رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا رفع الله عذاب أهل القبور خربت قبورهم ، فإذا رأيتوها خرابا ، فاعلموا أن الله قد غفر لأصحابها ، فاستغفروا ربكم و اسألوه أن يرحمكم . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن في الجنة موضعا يقال [٢٤٥:الف] له سوق المؤمنين ، ليس فيه شراء و لا بيع ، و لكن يجتمع إليه المؤمنون ٥ كل جمعة ، يتحدثون بما كانوا يعملون في الدنيا ، ثم ينادى مناد ٢ من تحت العرش : هلموا يا أمة محمد إلى زيارة الرحمن ، قال فيركب كل واحد منهم على ناقه قوائمها من الزعفران ، و ساقها من العنبر ، و بدننها من المسك ، و عنقها من كافور أبيض ، و رأسها من در ، و عيناها ياقوتتان حمراوتان ، و سرجها من نور ، و فوق السرج قبة مضروبة من سندس أخضر ، ١٠ يزورون الرب كل جمعة مرة كزيارتكم إلى المسجد الجامع . و في الموطأ أن سعيد بن المسيب كان يقول : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، و قال ٢ يده نحو السماء يرفعهما (كذا) . و ذكره أبو داود من حديث يريدة بن خصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن زيارتها تذكركم . و في الحديث من زارني ميتا ، فكأنما ١٥ زارني حيا . و في الحديث : اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم أعدوا قبور أنبيائهم مساجد .

(١) مكررة في بن .

(٢) في بن : ماضي .

(٣) كذا في الأصلين ، و الغالب أن الكلمة « و أشار » .

(٤) في هامش بر : زيارة القبور .

١ عن عائشة رضى الله عنها ، قالت لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكر بعض نساء كنيسة رأتها بالحبشة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتيا أرض الحبشة في الهجرة الأولى مع من هاجر إليها فذكرتا من حسنهما وتصاويرهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أولئك الذين ه إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : ولو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا . قال الشيخ محي الدين النووي : لا يجوز الطواف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ، قاله الحلبي . وغيره وقال : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته صلى الله عليه وسلم ، هذا هو الصواب وأطبقوا عليه . قلت قال مالك في رواية ابن وهب : إذا سلم أحد على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويسدون ويسلم ولا يمس القبر . قال بعض المتأخرين : لمس القبر وتقبيله من فعل اليهود والنصارى . يروى من حديث عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى المقابر قال : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين

(١-١) هذا الجزء بأكمله ساقط من برووارد في بن [١٨٨ : ب] .

المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أتم لنا فرطاً ونحن لكم تبع ، أسأل الله العافية لي ولكم . وكان عليه السلام يعلمهم مثل هذا أن يقولوه إذا دخلوا المقابر . وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه ، ودعاء من دعا له . وقد أجمع المسلمون على الدعاء والصدقة يصل ثوابهما للميت : فسيل الابن البار بوالديه ، ٥ العارف بما لها عليه من الحقوق ، أنه لا يخليها من الدعاء .

١ روى في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أهدوا إلى موتاكم رحمكم الله . قالوا : وما نهدي يا رسول الله ؟ قال : الصدقة والدعاء . ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أرواح المؤمنين ترقى كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا ، فيقفون بازاء دورهم ويوتهم ، ويشرفون ١٠ على أبنائهم وذراريهم ، فينادي كل واحد منهم بصوت حزين « يا أهلك يا ولدي ويا أهل بيتي وقراباتي ، تعطفوا علينا يرحمكم الله ، واذكرونا ولا تنسونا ، وارحموا غربتنا وقله حيلتنا وما قد دفعنا إليه وما نحن فيه ، قد وقعنا في بحر عميق ، وبجن وثيق ، وقد أضربنا المقام تحت هذه الأرض ، ونحن في هم شديد وفقر طويل وغم ما عليه من يد ، ١٥ فارحمونا يرحمكم الله ، ولا تبخلوا علينا بالدعاء ، لعل الرحمن يرحمكم قبل أن تصيروا منا ، يا عباد الله اسمعوا كلامنا ولا تنسونا ، واعلموا أن

(١) في بن : فرطاً .

(٢) من هنا إلى قوله « ثم يرجعوا » أيضاً ساقط من برو وورد في بن .

هذه القصور التي في أيديكم قد كانت في أيدينا، و المنازل التي أنتم فيها قد كانت لنا، فعتقوا علينا بصدقة درهم أو لقمة من خبز أو كلة طيبة أو بدعوة حسنة، لعل الرحمن أن يستجيب فينا، فلا يزالوا إلى آخر النهار من يوم الجمعة ثم يرجعوا .

٥ وروى عن الفضيل بن موفق رحمه الله قال: كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة وأكثر ذلك، فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها، فتعجلت لحاجتي فلم آت، فلما كان في الليل رأيته في المنام فقال لي: يا بني لِمَ لَمْ تأتني؟ قلت: يا أبتى، وإنك لتعلم بي إذا أتيتك؟ فقال: والله يا بني إنك لتأتيني، فما أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة .

و روى ابن عيينة^٢ أنه قال: إن ابن آدم يستوحش في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيخرج إلى دار الدنيا، و ليلة يبيت مع الموتى فيجاور جيرانا لم [٢٤٥ : ب] يجاور مثلهم^٣، و يوم يبعث فيشهد مشهدا لم ير مثله قط . قال الله تعالى ليحيى بن زكريا في هذه الثلاثة مواطن: ١٥ ”وسلم عليه يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا“^٤ و قال النبي

(١) في بن: يا أبت .

(٢) بهامش بر: ابن آدم يستوحش في ثلاث .

(٣) في بر: مثلن . و صوابه في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) قرآن كريم ١٩ : ١٥ و قد وردت الآية في بن ”و السلم على يوم ولدت

و يوم أموت و يوم أبعث حيا“ و هي أيضا من سورة مريم ١٩ : ٣٣ .

صلى الله عليه وسلم : الموت كفارة لكل مسلم ، وتحفة المؤمن الموت .
وقال مطرف بن عبد الله : إن هذا الموت قد تنضض على أهل النعيم
نعيمهم ، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه . وقال الحسن : فضح الموت الدنيا
فلم يترك ١ بها لذوى ١ عقل فرحا . ٢ وقال بعضهم :

قد رأينا أهلك الموت قبلنا خلقا خلقا

درجوا قرنا فقرنا وبقى من ليس يبقا

ولبعضهم :

يا واضح الميت في قبره خاطبك القبر ولم تفهم

ولبعضهم :

و كيف يلد العيش لمن هو عالم بأن إله الحق لا بد سائله ١٠
فأخذ من ظله لعباده ويجزيه بالخير الذى هو فاعله ٢
وقال أبو العتاهية :

إن من ترى لا يبقى أفنت المنايا الخلقا

أفنت المنايا الغربا أفنت المنايا الشرقا

١٥ إن للمنايا طعنا ٣ إن للمنايا خرقا

إن للمنايا خطفا ٢ إن للمنايا خنقا

إن للمنايا سبعا تسبق المنايا سبعا

(١-١) فى بر : لما بذوى . والأصح فى بن كما أو ردتا بالنص .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من برو ووارد فى بن .

(٣-٣) الشطران ساقطان من برو وواردان فى بن .

وكان سبب توبة أبي العتاهية وتصديده لنظم الشعر في الزهد في الدنيا أنه كان يحب جارية لأمير المؤمنين الرشيداً تسمى عتبة، وكانت عتبة تكرمه، وجرى له في محبتها أمور يطول شرحها، فقال فيها أشعاراً^١ كثيرة منها، هذه الآيات ٣:

٥. الله يبنى وبين مولاتي أهدت^٢ لي الصدود والملا لاتي
منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافاتي
هيمنى جها وصيرنى أحذوثة ما بين جاراتي
قال فبينما أنا نائم بعد نظم هذه الآيات، وإذا بأت أتانى وقال لى:
ما كفاك أن تجعل بينك وبين عتبة معينا على المعصية إلا الله تعالى
١٠. بقولك «الله يبنى وبين مولاتي». قال^٣: فالتبتهت من نومي مذعورا
وتبت من ساعتي، وتصديت لنظم الشعر في الزهد في الدنيا وذكر
الموت.

قال الأصمى: بعث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقد زخرف
مجالسه وبالغ فيها وفي مباينها، ثم وجه إلى أبي العتاهية فأتاه، فقال:
١٥ صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا، فأنشده يقول:

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) كذا في بن، وهي في بر: أشعار.

(٣-٣) الكلمتان ساقطتان من بن.

(٤) في بن: أعدت.

(٥) في بن [١٨٩: ب]: فأنشأ.

عش ما بدا لك آمنا في ظل شاهقة القصور^١

فقال : أحسنت ، ثم ما ذا ؟ فقال :

يسمى إليك بما اشتبهت لدى^٢ الرواح وفي^٣ البكور

[٢٤٦ : ألف] فقال^٤ : حسن^٥ ، ثم ما ذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقت في ضيق حشجة الصدور^٥

فهنالك^٦ تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور

فبكى^٧ الرشيد ، وعملت فيه الموعظة . فقال الفضل بن يحيى البرمكي لأبي

العتاهية : بعث إليك^٨ أمير المؤمنين^٩ لتسره فأحزته . قال الرشيد : دعه

فانه رأنا في عمى ، فكره أن يزيدنا عمى . قال ابن الحصين : وإنما

حسن موقع الموعظة من أبي العتاهية لانه قد تنسك و تاب من نظم الغزل^{١٠}

وما يشبهه ، وصرف^١ شعره^٢ في الزهد وذكر الموت - انتهى .

(١) كذا في بن ، وهي في بر : الصور .

(٢) في بر : لذى . وفي بن : لدا .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد في بن : الرشيد .

(٥) في بن : أحسنت .

(٦) في بن : فقال .

(٧) في بن : فبكى .

(٨-٨) في بن : الرشيد .

(٩) في بن : وأخذ .

١ قال بعضهم لغزا في نعل:

أُتُعرف شيئاً في السماء نظيره إذا سار سار الناس ٢ حيث يسير
فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً و كل أمير ٣٠٠٠٠٠٠٠ أسير
يحض على التقوى ويكره ذمه و تنفع منه النفس وهو تدير
٥ ولم يستزر عن رغبة في زيارة ولكن على رغم المزور يزور
واعلم أن الليل والنهار مراحل يفنيان بمرهما الآجال، ويقطعان
بتعاقبها الآمال . قال بعضهم لغزا فيها:

ما أسود في جوفه أبيض وأبيض في جوفه أسود
ما اجتماعا قط ولا فرقا كلاهما من ضده يولد
١٠ فاستعدوا يا غافلين للوت بقطع مراحلها ، فإنها لم يزالا يرحلان بالخلق
بسيرهما حتى يفنيانهم بأجمعهم . قال الشاعر:
الليل شيب والنهار كلاهما رأسى بكثرة ما تدور رحاهما
يقناها بان لحومنا ودماءنا وشعومنا ذابا ونحن نراهما
ولبعضهم في الليل:
١٥ الليل مكحول الجناح كأنما كحل العيون ظلامه بالإثم

(١ - ١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن .

(٢) زيد في الأصل : من ، و سقوطها واجب لوزن الشعر .

(٣) في الأصل كلمة غير منقوطة لا تقرأ .

(٤) في بر : لغز ، والصحيح في بن كما أوردنا .

(٥) في بن : أبداننا .

(٦) في بن : كأنهما .

وكان أنجم ليله لما بدت^١ للناظرين مسامرا من عسجد
وقال ابن عبدون الكاتب في مرثيته التي ذكر فيها^٢ الملوك وقبائل العرب
السالفة ، و الأجيال البادية^٣ ، الذين وردوا حياض الحمام بعد أن لعبت
بهم الليالي والأيام:

أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة عن "نومة بين ناب" الليث والظفر ه
فالدهر حرب وإن أبدى مسالة و البيض و السمرين البيض و السمر
ما لليالي أقال الله عثرتنا^٤ من الليالي وخاتها يد القدر
في كل حين لنا في كل جارحة منها جراح وإن زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كي تفر^٥ به كالآيم ثار على الجاني من الزهر
قال^٦ [٢٤٦ : ب] الآيم ضرب من الحيات تختفي في ناحية من الشجرة ١٠
فاذا أتى من يقتطف من ثمرها أو زهرها ثارت عليه^٧ ضربته فمات من
سمها - انتهى^٨ .

(١) ساقطة من بن .

(٢) في بن : ابدت .

(٣-٣) في بن : ذكرها في . وصحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) كذا في الأصلين ، وأغلب الظن أنها « البائدة » .

(٥-٥) في بن : نومه بين ذاب .

(٦) في بن : عثرتها .

(٧) في بن : تفر .

(٨) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٩) ساقطة من بن و واردة في بن ، وزيد عليها في الأخيرة « الحية » .

'نعود إلى آخر':

كم دولة وليت بالنصر حومتها^٢ فلم تدعها و سل ذكراك من خبر
هوت بدارا و فلتت عرب قاتله و كان غصبا على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت ولم تدع لبنى يونان من أثر
ه و ابتعت أختها طسما و عاد على عاد و جرهم منها ناقض المدر
وما أقالت ذوى^٣ الهيئات من يمن ولم^٤ تراعى^٥ ذوى الغايات من مضر
ومزقت سبأ في كل قاصية^٦ وما التقى^٧ رائج^٨ منهم بمبتكر
وأنفدت في كليب حكما و رمت مهلهلا بين سمع^٩ الأرض والبصر
ودوّخت آل ذبيان وإخوتهم عيسا وعضت بنى بدر على النهر
١٠ يوم القليب بنو^{١٠} بدر^{١١} فنوا وغدوا^{١١} قليب بدر بمن فيه إلى سقر
وهذه المراثية طويلة مشروحة في مجلد كبير، وسأذكر بعض ما وقفت

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) كذا في بن ، وهي في بر: خدمتها .

(٣) في بن : ذو .

(٤) في بن : فله .

(٥) في الأصلين : تراعى .

(٦) كذا في بن ، والكلمة في بر : قاضية .

(٧) في بن : التقا .

(٨) في بن : واضح .

(٩) في بن [١٩٠ : الف] : سبع .

(١٠) في الأصلين : بنوا .

((١١ - ١١)) في بن : فتواعدوا .

عليه في^١ شرحها^٢ إن شاء الله تعالى^٣ .

قيل بينما داود عليه السلام يسيح في الجبال إذ رأى قبرا كبيرا
وعند رأسه حجر منقوش فيه : ” أنا دويسم ملك الروم ، ملكت الدنيا
ألف سنة ، وفتحت ألف مدينة ، وتزوجت ألف بكر من بنات الملوك ،
وقتل ألف جبار ، فن رآني فلا يغتر بالدنيا ، فما كانت إلا كحلم نائم ،
ثم صرت إلى ما ترى ، فصار التراب فراشي ، والحجارة وسادي “ .
وقيل^٤ إن سليمان عليه السلام مر بقصر عظيم البناء ، وإذا هو بنسر
على القصر عظيم الخلقة ، فقال له سليمان^٥ : ما اسمك ؟ قال : معمر .
قال^٦ : كم سنك ؟ قال : ألف وخمسون سنة . قال : فهل رأيت أحدا
بهذا القصر ؟ قال : لا يا نبي الله . قال : هل تعرف له بابا ؟ فقال^٧ : نعم .
أعرف له بابا من الحديد الصني . فقال سليمان^٨ : وأين هو ؟ قال :
ردمته الرياح بالتراب الساقى عليه . فأمر سليمان^٩ الرياح أن ينفث التراب
من حول القصر فنسف^{١٠}ه ، فظهر له باب من الفولاذ^{١١} ، ففتحه ودخل

(١) في بن : من .

(٢ - ٣) ساقطة من بن

(٣) في بن : قيل . وبها مش بر : نكتة .

(٤) في بن : سليمان .

(٥) في بن : فقال .

(٦) في بن : قال .

(٧) في بن : فنسف

(٨) في بر : الفولاذ .

إلى ' القصر ، فنظر في وسطه قبراً من الرخام طوله أربعون ذراعاً ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه :

٢ كم قد وقتت وكم قتلت وكم ركبت الصافات ٢

كم قد أكلت وكم شربت ٣ وكم لبست الناعمات

٥ و كأتى بك قد فقدت وسيل* عنك قليل مات [٢٤٧: ألف]

و ذلك ١ أنى مت جوعاً ، فطحننا الدر ، لعدم الدر ، فلم يغن عنا شيئاً ، فانا

شداد بن عاد ، ركبت فى ألف ألف من الأجناد ، وملك سائر البلاد ،

وبنيت مدينة ارم ذات العماد ، التى ما بنى مثلها فى البلاد ، فلما أتانى

الموت لم يغن عنى ذلك شيئاً ، وها أنا فى قبرى أشقى بما ألتى . قال بعضهم

١٠ فى المعنى ٧ :

أين الملوك التى عن خطبها غفلت حتى سقاها بكأس الموت ساقها

(١) ساقطة من بن .

(٢ - ٢) البيت ساقط من بر و وارد فى بن .

(٣) فى بر : وقت . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٤) زيد قبلها فى بر : وكم شربت وهى زائدة و صحه البيت فى بن كما

أوردنا بالنص .

(٥) بمعنى « سئل » .

(٦ - ٦) فى بن : انا جعنا .

(٧ - ٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) فى بن : كأس .

نلهو و نأمل آمالا تُعسد لنا شريعة الموت تطوينا^١ و نطويها^٢
 ٣ و سيأتى ما قاله فى المروثة من قتل دارا ملك فارس و من قتله ، و قد
 تقدم ذكر ساسان ملك فارس فأغنى عن إعادته . و سيأتى ذكر ملك اليونان^٤
 * و طسم و جديس . و جرم و هم العرب العاربة . و تقدم أيضا ذكر
 سبأ فأغنى الإعادة ، و سيأتى ذكر كليب و مهلهل و آل ذيان و عبس^٥
 فى مواضع ذكرهم إن شاء الله تعالى ٣ .

قال بعض الصالحين : رأيت راهبا قفلت له : يا راهب كيف
 اخترتم لباس السواد ، و تركتم لباس البياض ؟ فقال : لأن السواد لباس
 أهل المصائب . قلت : و أى مصيبة^٦ عندكم ؟ قال^٧ : و أى مصيبة
 أعظم من ارتكاب المعاصى و الذنوب على أهلها ! قفلت^٨ : ألكم عيد ؟
 قال : نعم^٩ كل يوم^{١٠} لا يُعصى الله فيه فهو عيد ، و كل يوم نصبح
 (١) فى الأصلين : سريعة .

(٢) فى بر : تطرينا . وفى بن : يطوينا .

(٣-٣) هذه العبارة ساقطة من برو و واردة فى بن .

(٤) وردت الكلمة فى الأصل بعد « اليونان » ، مصححنا موضعها لإستقامة الجملة .

(٥-٥) فى الأصل : طسما و جديسا .

(٦) فى الأصل : عسا .

(٧) فى بن : مصائب .

(٨) فى بن : قالوا .

(٩) فى بن : قلت .

(١٠-١٠) ساقطة من بن

فيه ١ تقول ما نسي فيه ٢ ، و كل ليل ٣ نسي فيه ٢ تقول ما نصبح منه ٤ ،
بل نرغب الموت ، فهذه الدنيا ليس لأحد فيها بقاء ، وعاقبة أمرها للفناء .
و جاء في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ يد أبي هريرة
و أتى إلى مزبلة فيها رؤس و خرق بالية و عذرات و عظام نخرة ، فقال :
يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا بأجمعها ، هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم ،
و تأمل كأملككم ، ثم هي اليوم عظام نخرة ، و هذه العذرات ألوان
أطعمتهم ٥ التي اكتسبوها من حيث اكتسبوها ، ثم قذفوها من بطونهم ،
و هذه الخرق البالية كانت لباسهم و رياشهم ، و العظام عظام ٦ دوابهم ،
كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد ، فصارت كما ترى فمن كان باكيا
١٠ على الدنيا فليبك ! قال بعضهم :

نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن ولو عمّرت ما عمر نوح
بين عيني كل حى عّلم الموت يلوح
فالسعيد من تهيأ و عمل ١١ للآخرة ، و اشتغل بذكر الموت عن هو الدنيا

(١) ساقطة من بر و واردة في بن . (٢) ساقطة من بن .

(٣) كذا في بن ، والكلمة في بر : يوم . (٤) في بن : فيه .

(٥) في بن : ترغب . (٦) في بن : لها .

(٧) في بن : أتى . (٨) في بن : أطعمتم .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠) ساقطة من بن [١٩٠ : ب] .

المديرة . قال النبي صلى الله عليه وسلم : أكثروا من ذكر هادم اللذات ، فانكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم ، وإن ذكرتموه في غنى بفضه لكم . وقال شقيق البلخي : من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار .

و اعلم أن الموت لا يهجم [٢٤٧: ب] في وقت مخصوص دون وقت ،^٥ فيعلم ذلك فيرتقب^٢، لكنه يهجم بصولته ، ويأتي المرء على طمانينته و غرته ، لا يأتي في صيف دون شتاء ، فيؤمن في الشتاء ، ولا شتاء دون صيف^٣ ، فيؤمن في الصيف ، ولا في هرم فيؤمن في الشية ، فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا التي لا تقوت ، ومثل لنفسك قرب الموت وفجأته وشدائده وسكرته^٤ ، ولا تكن كالحقاه الذين يفرحون كل يوم بزيادة^{١٠} أموالهم مع نقص أعمارهم ، كما قال بعضهم :

يشرني الهلال بنقص عمري وأفرح كل ما هلّ الهلال
وأفرح كل ما يزداد مالي ولا أخشى النوايب والزوال^٦

(١) زيد في بن : انتهى .

(٢) زيد في بن : له .

(٣) في بن : شتاء دون صيف .

(٤) في بن : وسكره .

(٥-٥) في بن : كقول .

(٦) في بر : والزوال .

واعلم يا هذا أن العاقل لا يفرح^١ إلا بزيادة علم أو عمل 'صالح يعمل'^٢
فانها رفيقاه يصحبانه^٣ حين^٤ يتخاطب عنه أهله وماله وولده . واعلم
أنك إن نظرت في المال ، فالمال غاد ورائح ولا أصل له ، ففي اليهود
والنصارى من هو أكثر مالا منك ، وإن طلبت العلو وتقاذ الكلمة
و الأمر ، ففي إجلاف^٥ الاتراك و حماقة الأكراد من استولى عليك
وجاهه أعظم من جاهك ، وإن تمتعت في الأكل فالخمار أكثر أكلا
منك ، وإن تمتعت^٦ بالوقاع^٧ فالخنزير أكثر وقاعا منك ، وإن طلبت
القناعة فهذه رتبة لا يساهمك فيها إلا الأنبياء والأولياء ، فانظر لنفسك
أن تقتدى بمن لا دين له ولا عقل ، أو بمن هو أعز عند الله تعالى .
١٠ الله در القائل حيث يقول^٨ :

ولو كانت الدنيا ثوابا لحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
فقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبع فيها بطون البهائم

(١) زيد في بن : أبدا .

(٢ - ٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) في بن : يصحبناه .

(٤) في بن : حيث .

(٥) في بن : اخلاف .

(٦) في بن : تمتعت .

(٧) كذا في بن ، وهي في بر : في الوقاع .

(٨ - ٨) في بن : قال بعضهم .

و لبعضهم :

فضول العيش أكثرها هموم وأكثر ما يضررك ما تحب
فلا يغررك زخرف ما تراه وعيش لسن الاعطاف رطب
إذا ما بلفسة جاءتك عفوا نخذها فالقنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم فلا ترد الكثير وفيه حرب
وقال ابن الفارض :

يظن الفتى لذات دنياه نعمة وما هي إلا نقمة في الحقيقة
٢ إذا رأيت سعة الدنيا عند أهل المعاصى فاعلم أنها حظهم والآخرة
عند ربك للثقلين ١٢

عن الضحاك ٣ بن سفيان السكلاي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢٤٨ : الف] يا ضحاك ما طعامك ؟ قلت : اللحم والبن .
قال : ثم يصير إلى ما ذا ؟ قلت : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال :
فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا . قال بعضهم في
الدنيا وطلبها :

يا غاطب الدنيا دنا فراقها زواجها أقرب أم طلاقها ١٥

(١) في بن : اتفق .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٣) بهامش بر : نكتة .

(٤) في بن : سفيان .

(٥) زيد في بن : تعالى .

(٦) في بن : من .

وكل من يطلبها قرينه يا ويحه قد ينسه صداقها
 وقال بعضهم : لو قيل للدنيا صفى نفسك ما تعدت هذا البيت :
 ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء غاتته فروج الأصابع
 قال بعضهم : الدنيا مغارة لا تصلح للتوطن . إن اليدر إذا ... حل
 ٥ إلى دار الإقامة . الدنيا كامرأة فاجرة لا تلبث مع زوج ولذلك عيب
 طلاقها ، فكلما تزوجت الدنيا بزوج طلقها الموت ، فالدنيا من الموت
 طالق من ينقض عدتها . شعر :

ميّزت بين جمالها وفعالها فاذا الملاحاة بالخيانة لم تف
 حلفت لنا أن لا تخون عهودها فكأنها حلفت (لنا) ألا تنق

١٠ الدنيا قنطرة على نهر الهلاك ، نخذ بالحزم في تعلم السباحة قبل الجواز
 فتأمن عثور قدم ولا عاصف قاصف آمن ما يكون منها فانتظر حزنها
 أسر ما يكون بها . صاح على بن أبي طالب بالدنيا : طلقتك لا رجعة لي
 فيك . وقد كانت تكفى طلقة واحدة ، ولكنه أكد طلاقها لثلاث تصور
 الهوى جواز المراجعة وطبعه الكريم يأقف من المحل ٢ .

١٥ دخل الامام نجر الدين الرازي ٣ المتقدم ذكر ترجمته ٢ على الملك صاحب

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر و وارد في بن ، أدرجناه بالنص رغم ما في
 بعض عباراته من غموض . ثم أضعنا كلمة « لنا » في الشطر الثاني من البيت
 الثاني لإحكام ميزانه [بن ١٩٠ : ب - ١٩١ : الف] .

(٣-٣) ساقطة من بن [١٩١ : الف] .

خوارزم ، فسأله الملك أن يعظه ، فوعظه^١ بوعظه^٢ قال في خلاصه :
يا سلطان لا سلطانك يبقى ولا تلبس الرازى وإن مردنا إلى الله .

عن عبد الله بن مسعود^٣ رضى الله عنه^٤ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : إن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام ،
فقام ليلة يصلى فى القمر فوق بيت المقدس ، فذكر أمورا كان ضيعها ،
فخرج فتدلى بسيب^٥ ، فأصبح السيب^٦ معلقا وقد ذهب ، قال فانطلق
حتى أتى قوما على شط البحر ، فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ،
فسألهم كيف يأخذون على هذا اللبن ، قال فأخبروه فلبن معهم ، يعنى
صنع معهم الطوب ، فكان يأكل من عمل يديه^٧ فاذا كان حين الصلاة قام
يصلى ، فرفع ذلك العمال إلى دهقانهم ان فينا رجلا يصنع كذا وكذا ،
فأرسل إليه فأبى أن يرائيه^٨ ثلاث مرات ، ثم إنه^٩ جاءه^٩ يسير على

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : بوعظه .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : فقال .

(٥) فى بن : بسبب . مطموسة جزئيا .

(٦) فى بن : السبب .

(٧) فى بن : يده .

(٨) فى بن : يأتبه .

(٩) مطموسة جزئيا فى بن .

دأبه ، ايعنى الدهقان^١، فلما رآه فرمته ، فاتبعه الدهقان فسبقه ، فقال :
أنظر أكلملك . قال فقام حتى كلمه ، فأخبره خبره ، وأنه كان ملكا ، وأنه فر
من رهبة ربه . قال الدهقان : إني لأظننى^٢ لاحقاً بك . قال فاتبعه فعبدا الله
حتى ماتا^٣ برميلة مصر . قال عبد الله بن مسعود : لو أنى كنت ثم لاهتديت
ه إلى قبريهما ، من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى وصف لنا^٤ .
خرجه البزار .

وقال أمير المؤمنين هشام^٥ بن عبد الملك : أكلت الحلو والحامض
حتى ما أجد لها طعما^٦ ، وشممت الطيب حتى ما أجد لها ريحا^٧ ، وأتيت
النساء حتى ما أبالى أحائطا أتيت أم امرأة . فقليل له : ما بقى من لذتك
١٠ وسروك^٨ ؟ فقال : محادثة الإخوان على التلال العفر فى الليالى القمر ،
ولما دخل محمد بن واسع سيد العبادة [٢٤٨ : ب] فى زمانه على بلال بن أبى
بردة أمير البصرة ، وكان ثوبه إلى نصف ساقه . قال له بلال : ما هذه
الشهرة يا ابن واسع . قال له : أتم شهرتمونا ، هكذا كان لباس من

(١ - ١) العبادة ساقطة من بن .

(٢) فى الأصلين : لأظننى .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) الخليفة الأموى وخلافته ١٠٦ - ١٢٦ هـ = ٧٢٤ - ٧٤٣ م .

(٥) فى بن : طعاما .

(٦) فى بن : بخياشيمى رائحة .

(٧) فى بن : وسورك .

مضى ، فانما أتم 'طولتم ذبولكم' ، فصارت السنة بينكم^١ بدعا وشهرة .
 وقال الشيخ أبو بكر الطرطوشي^٢ رحمه الله^٣ : لما دخلت على سلطان
 مصر ، وهو الأفضل ابن أمير الجيوش ، فقلت : السلام عليك^٤ ورحمة الله
 وبركاته ، فرد السلام على نحو ما سلمت ردا جميلا ، وأكرم إكراما جزيلا ،
 فأمرني بدخول مجلسه ، وأمرني بالجلوس . فقلت : أيها الملك إن الله^٥
 سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا ، وأنزلك منزلا شريفا باذعا ،
 وملكك طائفة من ملكه . وأشركك في حكمه ، ولم يرض أن يكون
 أحد فوق أمرك ، فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك ، وليس
 الشكر باللسان ، ولكنه بالفعل والإحسان ، قال الله تعالى : "اعملوا
 آل داود شكرا"^٦ . واعلم أن هذا الذي أصبحت فيه من الملك إنما^٧
 صار إليك بموت من كان قبلك ، وهو خارج عن^٨ يديك ، بمثل ما صار
 إليك ، فاتق الله سبحانه وتعالى فيما خولك من هذه الأمة ، فإن الله

(١-١) في بر : طولكم ذبولكم . وصحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٢) في بن : فيكم .

(٣-٣) في بن : رحمة الله عليه .

(٤) في بن : عليكم .

(٥) في بن : بأن .

(٦) قرآن كريم ٣٤ : ١٣ .

(٧) في بن : من .

يسألك^١ عن^٢ الفتيل والنقير^٣ . والقطير . قال الله تعالى : ” فوركك
لنسلتهم أجمعين^٤ عما كانوا يعملون^٥ “. وقال : ” وإن كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا حسين^٦ “. واعلم أيها الملك أن الله سبحانه
و تعالى قد آتى الدنيا بحذاقها سليمان^٧ بن داود ، وسخر له الإنس والجن
و الشياطين و الطير و الوحش و الهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره
رغاء حيث أصاب ، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع . فقال له هذا
عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب ، فوالله ما عددها^٨ نعمة كما عددتموها ،
ولا حسها كرامة كما حسبتموها ، بل خاف أن يكون استدراجا من الله
تعالى ومكرا ، فقال هذا من فضل^٩ ربي ليولني^{١٠} أأشكر أم أكفر ، فن
شكر الباري وجب عليه شكرنا ذوقه لشكره وهذا شكر الشكر^{١١} فافتح الباب ،
وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم ، أعانك الله على نصر المظلوم ، رجعلك لطفنا^{١٢}

(١) في بر : يستلك .

(٢ - ٣) في بن : النقيير و الفتيل .

(٣) قرآن كريم ١٥ : ٩٢ - ٩٣ .

(٤) قرآن كريم ٢١ : ٤٧ .

(٥) في بن : سليمان .

(٦) في بن : عدها .

(٧) مطموسة في بن مع بعض ما سبقها و تبعها من الكلمات .

(٨ - ١٠) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) في بن [١٩١ : ب] : كهفا .

لللهوف ، و أمانا للخائف - انتهى .

نعود إلى ما قيل في الموت ^١ 'إن شاء الله تعالى' . اعلم أن الموت معلوم فينا بالضرورة ، فإن قيل لم ^٢ صار الإنسان يموت ، قيل لأن الموت عند بعضهم إنما هو الحكم الطبيعي ، . هو فساد الحار الغريزي ، أو تبديل الروح و استيلاء حكم البرودة و اليوسة على طبيعة الروح ، و هي الحرارة ه و الرطوبة و سوء مزاج يلحق القلب [٢٤٩ : الف] أو هيئة مخرجة المزاج عن حده الطبيعي . ^٣ أو فساد ^٣ المركب بالجملة ، أو تحليل الرطوبة الماسكة و نمو ضدها . . انحلال الأعضاء الرئيسة ، مثل ما * يقطع حجاب القلب ، أرىض بجوهر الدماغ ، أو قطع النخاع . و جملة الأمر عند طائفة من الحكماء أن الموت طبيعة خامسة مضادة للحياة ، من شأنها أن تخرج ^١ المزاج الذي به كانت الحياة إلى حد لا يمكن به التحرك و لا التنفس و لا الغذاء ، و يحمل معه الأرواح الثلاثة ، و يفسد بجواهرها ، و ذلك الفساد القوي حتى لا يشبه الحال الأول و لا يناسبه لوجه ^٦ .

[الجسم والنفس والروح والعقل]

واعلم أنه لا موت للنفس ، و إنما الموت للجسم ، فتي رأينا الميت ١٥

(١-١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) في بن : كيف .

(٣-٣) في بن : و فساد . (٤) في الأصل : الرئيسة .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) في بن : بوجه .

قلنا فيه : هذا تركته النفس ولم تستعمل شخصه ، وذلك لأجل فساد الهيكل لا لفساد النفس ، فان النفس تكون تتخلص و تصعد إذا علمت ، و تنحط^١ و تنكس إذا جهلت . و أيضا أن الإنسان مركب من نوعين فاسد و غير فاسد ، فبعض الإنسان يفسد ، و بعضه لا يفسد ، و بعضه الفاسد هو جسمه ، و بعضه الذي لا يفسد هو روحه ،^٢ الجسم الإنسان يفسد و روحه لا تفسد^٣ . قال ابن سينا في النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع و رقاء ذات تحجب^٣ و تمنع محجوبة عن كل مقلة ناظر و هي التي سفرت^٤ ولم تتبرقع وصلت على كره إليك و ربما كرهت فراقك و هي ذات تفجع^٥ أنفت و ما وصلت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب^٦ الملقع^{١٠} وهي طويلة^٦ . و النفس تطلق^٧ على الذكر و الأنثى . قال أبو عمرو بن الحاجب المالكي^٨ في مختصره في الفروغ^٩ : شرط المرضعة أن تكون

(١) مطموسة في بن .

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن .

(٣) في بن : تعزر .

(٤) مطموسة جزئيا في بن .

(٥) كذا في بن ، و الكلمة في بر : الغراب .

(٦-٦) في بن : تنطلق .

(٧) مطموسة في بن .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

آدمية أثى . قال ابن عبد السلام في شرحه 'المختصر المذكور': فان قيل هلا استغنى ابن الحاجب عن قوله أثى بقوله آدمية فان من المعلوم قطعاً أن الآدمية أثى ؟ قلت : لا نسلم أنه معلوم لاحتمال أن يريد تقسماً آدمية ، والنفس تطلق^٢ على الذكر والآثى^٣ - انتهى .

نعود^٤ - ولا خلاف بين العلماء أجمع على بقاء النفس الناطقة بعد الموت ، هـ والانباء والفلاسفة يقولون بذلك ، وهو مشهور في الكتب المنزلة والدواوين الفلسفية ، والقرآن نطق بذلك والتوراة* والإبجيل والزبور والصحف . قال الله تعالى : "لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد^٥" . وقال النبي عليه السلام : الناس نيام ، فاذا ماتوا اتبھوا .^٦ وقال بعض الصالحين :
١٠

/ ما ذا يشاهد ذو العينين من عجب عند الخروج من الدنيا إلى الله^٧ [٢٤٩: ب] ^٨ وقال بعضهم .

وما الموت إلا رحلة غير أنه من المنزل القاني إلى المنزل الباقي

(١-١) العبارة ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) في بن : تنطلق .

(٣) بهامش برو : « هذا الجواب فيه شيء ، لأن الرضاع لا يكون إلا من الإناث فلا يتوهم دخول الذكور ، ولو قيل ذكر ذلك لزيادة إيضاح لكان أحسن » .

(٤) الكلمة ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) في بن : التورية .

(٦) قرآن كريم ٥٠ : ٢٢ .

(٧-٧) ورد البيت في بن قبل الحديث الذي سبقه .

(٨) العبارة من هنا إلى قوله « ويموت ليحيى » سقطت من برو وردت في بن .

فينبغي للحكيم أن يقيم بالحياة و يفرح بالموت لأنه يحيي ليموت و يموت ليحيي^١ . و في الإنجيل : النفس الصالحة تعرقى و أنا الحق ، و غير الصالحة لا تعرقى و هي من الشيطان ، و الشيطان في غضى . و في التوراة^٢ : يا موسى تقرب إلىّ بالذى لا يفنى فاني خلقتك للخلود ، فان آمن وعمل صالحا رضيت عنه ، و إن كفر وعصاني سخطت عليه . و في الزبور : يا داود أصلح نفسك تصعد للسعد الخالد ، و لا تحمل أمرها تنزل للذل الأكبر . قال ابن الفارض :

هي النفس إن تآقت هواها تضاعفت قواها و أعطت فعلها كل درة
قال أبو الحسن الشاذلي^٣ : مراكز النفس أربعة : مركز في الشهوة للطاعات^٤
١٠ و مركز في الميل إلى الراحة ، و مركز العجز^٥ عن أداء المفروضات^٦
و مركز الميل للعاصي و الخطيئات . فاقبلوا المشركين كافة ، و خنوهم
واحصروهم و اعدوا لهم كل مرصد ، و إن من أعظم القربات عند الله^٧
مفارقة النفس بقطع إرادتها ، و طلب الخلاص منها بكل ما تهوى لما يرجى
من حياتها ، و إن من أشق^٨ الناس من^٩ يجب أن يعامله الناس بكل

(١) انتهى ما سقط من بر .

(٢) في بن : التورية .

(٣-٣) بهامش بر : مراكز النفس أربعة .

(٤) في بن : في الطاعات .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٢ : الف] .

(٨) في بن : أشقا .

(٩) كداني بن ، و الكلمة في بر : ان .

ما يريد . فطالب نفسك باكرامك لحم و لا تطالبهم باكرامهم لك ، لا تكلف
 إلا نفسك . و إن أردت جهاد النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة ،
 و اضربها بالخوف عند كل خطرة ، و اسجنها في قبضة الله أين ما كنت ،
 و اشكُ عجزك إلى الله كلما غفلت ، فهي التي لم تقدروا عليها ، قد أحاط الله بها
 فان سخرت لك في قضية ما فجدد بأن تذكروا نعمة ربكم ، ” و تقولوا ٥
 مَبْحَنُ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا و مَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ ٢ “ - انتهى ٣ .

نعود^٤ - و في الصحف : نفس المؤمن في رحمتي ، و رحمتي دائمة ،
 و نفس الكافر في عذابي ، و عذابي لا انقطاع له . و قال ابن الفارض :
 و لو كان لا يجزى مسيء بفعله و لا يحسن ضاقت أمور البرية
 و ما كان في الأحياء و الموات حكمه و كان محالا حكم كل شريعة ١٠
 و مستبعد إحيائنا و مماتنا سُدّاً لا لمعنى فيه سر مشيتي
 أيحسن أن تسي قصور مشيدة بأحسن أوضاع و أجل زيتة
 و تهدم عمدا لا لمعنى و إنه ليقبح هذا في العقول السليمة
 و ذلك شيء فعله عث و ما يدبر هذا الكون بالعبثية

(١) في بن : خطوة .

(٢) قرآن كريم ٤٣ : ١٣ .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) هذا القسم بما فيه من تأتية ابن الفارض ساقط من بن . و يبدأ السقط من
 هنا ثم يستأنف الكلام في كل من بن و بر على السواء بعبارة ” و قالت الحكماء
 الجسد كثيف و لطيفه - الخ “ .

فلم يبق إلا أن يدبر حكمه حكيم يحيط العلم عدل الحكومة
[٢٥٠ : الف] وقال أيضا يلوم النفس على قبيح فعلها :

أيا نفس ما هذا التغافل والجفا إلى ما التمادى في غرور و غفلة
ألم يأن أن تستقيحي ما عملته قبيحا و أن تستقرعي باب مئة
٥ أغرك قوم جاهلون تلبسوا بدار غرور و هي منهم تعرّت
و إن أعلقوا فيها كؤف مؤمل تناءت كفعل الباخل المتعنت
ترأت لهم خضراء حلوا مذاقها مبهرجة تبدو بحسن و بهجة
تبلغ آمالا و تعطى مآربا و تجمع إخوانا و تدنو بمنية
و تعقب ذى الاوصاف كلا بضده و تأتى يبعد بعد قرب و وصلة
١٠ متى وهبت برت و إن أقبلت نأت وإن أفرحت جاءت بحزن و ترحة
فليت كعافا حزنها و سرورها و ياليت ما منّت به عنك منت
لقد نصحت ذا العقل لما تكدرت وبالروث المسلوب ذا الجهل غرت
وقد فضحت لولا الغاوة والعمى ولاحت مسار بالغرور تغطت
فكم أبعدت إلفا و كم كدرت صفا و كم جددت من ترحة بعد فرحة
١٥ كذا وضعت كيما تفر إلى العلا فتكديرها من سر لطف و حكمة
فلو جُعلت صفوا شُغلت بحبها و لم يك فرقا بين دنيا و جنة
فما هي لا تصفو و أنت معاتق لها بودادٍ فعل جهلٍ و شقوة
كذا فعلت بالاولين فأصبحوا رهان حدوث و هي عنهم تخلّت

إلى كم خداع أيها النفس قد كفى
أزحزحها نحو العلا فرددني
وأطلب منها جاهدا ضد طبعها
تقضى زمانى و الأمانى بعيدة
وقد ذهبت باكورة العلم فى الهوى
وسئل الشيخ أبو العباس المرسى عن الروح و النفس ، فأشدد
يقول :

إن كنت سائلنا عن خالص المن
وعن تشبثها بالحظ قد ألفت
وعن بواعثها بالطبع مائلة
وعن تنزّلها فى حكمها ولها
/و عن حقيقتها فى أصل معدنها
فاسمع هديت علوما عز سالكها
قصدا إلى الحق لا تخفى شواهدا
يا سائلى عن علوم ليس يدركها
لكن بنور على جامع نحدث
خذها إليك بحق لست أجهله
عن الحقيقة خذ علم الأمور ولا
تطور النفس سر لا يحيط به
لكنها رزت بالحكم قائمة
وكى يقال عبيد قائمون بما
و عن تألف ذات النفس بالبدن
أدرانها فقدت تشكو من العطن
تهوى بشهوتها فى ظلمة الدجن ١٠
علم يفرقها فى القبح و الحسن
لا ينتفى وصفها منها إلى وثى [٢٥٠:ب]
عن العيان و لا يغرك ذو لكن
قامت حقائقها بالأصل و الفن
ذو فكرة بفهوم لا ولا فطن ١٥
له العقول و كل الخلق فى وسن
والأمر مطلع و الحد قيدنى
يحجبك صورتها فى عالم الوطن
عقل تقيد بالأوهام و الدرن
حتى تألفها السكان بالسكن ٢٠
ألقى من الأمر قبل الخلق و المحن

والنفس بين نزول في عوالمها كآدم وله حواء في قرآن
والروح بين ترقى في معارجها وهي المواقف للتعريف والمن
مثالها في العلا مرآة معدنها أظافها خفيت كالسر في العن
زيتونة زيتها نور لشاربها مدت هدايتها في الكون والكين
ه والكل أنت بمعنى لا خفاء به و التور يحجبه كالماء في اللبن
والعبد محتجب في عز مالكة دقت معارفه في الدهر والزمن
وقال أيضا: الروح متوسط بين السر والقلب، والنفس متوسطة بين
العقل والجسد، فالسر غيب الروح والقلب شهادته، والعقل غيب
النفس والجسد شهادتها، فإذا مال الروح إلى السر خفي وإلى القلب
١٠ ظهر، وإذا مالت النفس إلى العقل خفيت وإلى الجسد ظهرت -
انتهى .

واعلم أن الله تعالى خلق العالم من نوعين، شخص وروح .
وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ إذا لآخرتها من هذا العالم . وجعل
لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد، و آخر تلك المدة هي أجل
١٥ تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان . فإذا جاء الأجل فرق بين
الروح والجسد . وقالت الحكماء الجسد كثيف ولطيفة روحه

(١) من هنا يستأنف الحديث في بن أيضا وكلمة « قالت » وردت هناك
بسقوط الواو - وقبل ذلك أورد ناسخ بن ما يلي وهو غير وارد في بر: قال
الأصمعي حدثنا أبو رحاء عن التيمي قال: النفس معقدة بالروح مثل صتارة
المغزل، فترسل الروح فتذهب هاهنا وهاهنا، ثم تطوى فتجىء فتدخل فيها . =

و بالروح يخف ، و الجسد يتكون من امتزاج الروح و النفس ، و هما يتكونان من العناصر العلوية ، ^١ و تكون العناصر العلوية من ^٢ الطبائع الأربعة و هي النار و الهواء ^٣ و الماء و التراب . فللنار الحرارة ، و للهواء ^٤ [٢٥١ : الف] الرطوبة ، و للماء البرودة ^٥ ، و للتراب اليبس ، و الطبائع من كلمة الخالق تعالى التي هي علة العلل و هي الأصل . هـ و ذلك قوله * عز و جل : ” اما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ” . فالعلة هو الذي كان السبب ^٦ لشيء آخر ^٧ ، و المعلول هو الذي لوجوده سبب ^٨ من الاسباب ، و العلم صورة المعلوم في نفس

== قال ابن الجوزي : يا بلابل الى متى في قفص ... (هنا كلمة مطموسة) ...

الحسن ، اكسروا قفص الطبع ، و اسرحوا في مسارح القدمين ، فالركون الى وكر النفس يمنع طيب العيش (الكلمة مطموسة جزئيا) لما قطع القوم ظلمات الهوى و وقفوا على عين حياة القلوب ، فشربوا ماء المعاني فكل منهم حضر . (الكلمة مطموسة جزئيا - و بالعبارة خموض على كل حال) .

(١-١) ساقطة من بن و آخرها مطموس .

(٢) في بر : الهوى . و الكلمة في بن : الهواء .

(٣) في بر : للهوى . و في بن : الهوا .

(٤-٤) في بن : و الماء للبرودة .

(٥) قرآن كريم ٣٦ : ٨٢ .

(٦-٦) في بن : للشيء الآخر .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : سببا .

العالم ، و بارى البرايا هو علة كل شيء و سبب كل موجود في العوالم بأسرها . و العوالم ' جمع عالم ٢ ، و العالم في اللغة كناية عن كل موجود فيه علامة يمتاز بها عن غيره من أنواع المخلوقات حتى يقال : عالم السماء و عالم الأرض و عالم البحر و عالم الحيوان . فجمع الله المفقرق ٣ في استعمال العرب بقوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين " ٤ " أى خالق كل من تسمونه عالما . و الحمد من الالفاظ المشتركة لأنه يطلق ٥ و يراد به الثناء على المحمود على ما أولاك من نعمه ، يقال له ٦ حمدت الرجل على دينه ، و حمدته على ما أعطاني . و الشكر الثناء على النعمة فقط ، و الحمد الثناء على الكمال و النعمة ، فنقول على هذا كل شكر حمد ، ١٠ و لا نقول كل حمد شكر ، لأن الحمد أعم ، و الشكر أخص ، و الأعم يحمل على الأخص إذ يكون صادقا ، و لا يحمل الأخص على الأعم إذ ٧ يكون كاذبا ٨ ، فقايسة ٩ الحمد إلى الشكر كمقايسة ١٠ الحيوان إلى

(١) في الأصلين : و العالم .

(٢) في بن : عوالم .

(٣) في بن : المتفق .

(٤) قرآن كريم ١ : ١ .

(٥) في بن : يذكر .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) مطموسة في بن .

(٨) في بن : قناسبية .

(٩) في بن : كناسبية .

الإنسان فكما تقول كل إنسان حيوان ، و لا تقول ١ كل حيوان إنسان ،
فكذلك تقول ٢ كل شكر حمد ، و لا تقول كل حمد شكر ٣ و كما
[لا ٤] تقول كل حيوان إنسان ، فلا تقول كل حمد شكر ٣ لكذبه
فالشكر يراد به الحمد في أحد نوعيه و لا يراد به عموما - انتهى * .

(١) في بن : قل .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و لزومها واضح من السياق .

(٥) زيد هنا في بن [١٩٢ : الف - ب] : نعود ، واعلم أن النفس لها حالتان
لا ثالث لهما - حالة عافية وحالة بلاء . فإذا كانت في بلاء الجزع و الشكوى
و السخط و الأعراض و التهمة للحق عز وجل ، لا صبر و لا رضى و لا موافقة ،
بل سوء الأدب و الشرك بالخلق و الأسباب و الكفر ، وإذا كانت النفس في
عافية فالشر و البط (ر و اتب) باع الشهوات و اللذات ، كل ما تالت شهوة طلبت
أخرى ، و اشتدت بما عندها من النعم من ما كول [١٩٢ : ب] و مشروب
و منكوح و مسكون و مركوب ، فيخرج لكل واحدة من هذه النعم عيوبها
(كذا) و نقصها ، و تطلب أعلا منها و أشنى مما لم يقسم لها ، و تعرض عما قسم لها
فتوقع الإنسان في تعب طويل لا غاية له و لا منتهى في الدنيا ثم العقبى ، و لهذا
قليل لمن أشد العقوبات طلب ما لم يقسم ، و إذا كانت في بلاء لا يمتنى سوى
انكشافه و تنسى كل نعيم و شهوة و لذة لا تطلب شيئا منها ، فإذا عوفيت منه
رجعت إلى رعونتها و شرها (في الأصل : و اشرها) و بطرها و إغراضها عن طاعة ربها
عز وجل و إنهاكها في معاصيه و تنسى ما كانت فيه من البلاء و ما حل بها من
الويل . فترد إلى شر ما كانت فيه من البلاء و الضر عقوبة لها لما قد اجترمت =

١- نعود - تقول العرب إذا كرهت الشيء تشبهه بالموت ، وإذا وصفوا الشيء فكرهوه إلى الموصوف ما هو إلا الموت . قال الشاعر :

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله

قال ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن قوله « الحو الموت » . قال : هذه كلمة تقولها العرب مثلاً كما تقول « الأسد الموت » أى لقاءه الموت .

و كما تقول « العدو الأزرق » أى هو مثل الزرقعة التى هى كالحداد على مصيبة الميت ، أى و كما تقول « السلطان ناراً » أى مثل النار ، والمعنى احذروه كما تحذروا الموت . قوله تعالى : ” و ياتيه الموت من كل مكان ” وما هو بميت^٢ ” أى مثل الموت فى الشدة و الكراهة ،

١٠ ولو أراد نفس الموت لكان قد مات . قال عمير بن فهير : [٢٥١ : ب]

ولقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

= و ركبت من العظام نها (الكلمة مطموسة) و كفا عن المعاصى فى المستقبل إذ لا يصلح لها العافية و النعمة بل حفظها فى البلاء و البؤس ، فلو أحسنت الأدب عند انكشاف البلاء و لازمت الطاعة و الشكر و الرضا بالمقسوم لكان خيراً لها دنيا و أخرى و كانت تجدد زيادة فى النعيم و العافية . - و اعلم أن النفس جوهر بسيط - الخ .

(١) من هنا إلى قوله « و العقل و الأعضاء » بأكله ساقط من بن ، و حل محله ما أوردناه فى الحاشية السابقة من الزيادة بها ، و بعض عبارات المؤلف فيها تكاد تكون غير واضحة و لكننا أوردناها على ما هى عليه فى الأصل ، و منطوقها العام مفهوم .

(٢) قرآن كريم ١٤ : ١٧ .

وفي حديث ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والدخول على النساء . فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت المحو . قال: المحو الموت ، معناه النهى أن يدخل على المغيبة صهر ولا غيره خوفا من الظنون و نزغات الشيطان ، لأن المحو قد يكون من غير ذى المحارم . قال الطبري: المحو عند العرب من كان من قبل الزوج عمّا كان أو خالا أو أبا ، فهم الإحماء ، فأما أم الزوجة فكان الأصمعي يقول هي حماة الرجل - انتهى .

فلنرجع إلى ذكر ما قيل في النفس والعقل والأعضاء^١ . اعلم^٢ أن النفس جوهر بسيط روحانية بالذات علامة بالقول^٣ ، وهي أضعف من العقل ، والعقل الفعال هو أول ما ابتدعه الباري عز وجل ، وهو جوهر بسيط نوراني^٤ غير ذى نهاية . والعقل الإنساني هو^٥ الذى حصل به التمييز لهذه الصورة . قال أبو الحسن الشاذلي: إن الله تعالى كما خلق الأرض^٦ فأرسلها^٧ بالجبال ، فقال عز وجل « والجبال أرسها »^٨ ، كذلك لما خلق النفس فأرسلها^٩ بجبال العقل . وقال أيضا: العاقل من عقل عن الله

(١) انتهى هنا ما سقط من بن .

(٢) في بن : و اعلم .

(٣) في بن : بالقوة . - و جائز أن تكون أصبح من بر .

(٤) « هو » مكررة في بر .

(٥) في بن : النفس (مطموسة جزئيا) .

(٦) في بن : فأرسلها .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) قرآن كريم ٧٩ : ٣٢ .

ما أمر به ومنه شرعا^١ ، والذي^٢ يريد الله^٣ بالعبد أربعة أشياء ، إما
 نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية ، فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقتضى
 منك الشكر شرعا ، وإذا أراد بك بلية فالله تعالى يقتضى منك الصبر
 شرعا^٤ ، وإذا أراد بك الطاعة^٥ فالله تعالى يقتضى منك شهود المنه
 ٥ وروية التوفيق منه شرعا ، وإذا أراد بك معصية فالله تعالى يقتضى منك
 التوبة والإنباء شرعا ، فمن عقل هذه الأربعة عن الله و كان فيها بما
 أحبه^٦ الله منه شرعا^٧ فهو عبد على^٨ الحقيقة بدليل قوله صلى الله عليه
 وسلم : من أعطى فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر
 . . . ثم سكت . قالوا : ما ذاك يا رسول الله . قال : أولئك لهم
 ١٠ الأمن وهم مهتدون . وقال أيضا : يقول الله عز وجل : ابن آدم ،
 خلقت الأشياء كلها من أجلك ، وخلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما
 هو^٩ لك عن من^{١٠} أنت له . وقال أيضا : الأكوان كلها عبيد مسخرة ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٣) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤-٤) العبارة ساقطة من بن .

(٥) في بن : أحب .

(٦) في بن : يرسل .

(٧) في بن : ما .

و أنت في الحضرة . ١ قال بعض الصالحين :

ولما أتيت الربع و القلب ذاهل بسلى و نار الحب في القلب تشتعل
و قد لاح من بين الخيام جمالها تنامت به العشاق و الستر مسبل
وقفت فناديت الطلول مسائلا و قلبي على نار الآسى يتعلمل
أسائل عن سلى فهل من مخبر يكون له عليها . . . ٥ و ينزل
فنادتني الأكوان و الله ما لنا بهاتيك علم إتنا منك أجهل
فوالله ما في الكون من مخبر و لا من لذيالك الحمى يتوصل - انتهى .

[ما قيل في القلب]

نعود إلى ذكر ما قيل في القلب : ذكروا أن القلب هو جسم
محيط بالعالم ، و العالم ٢ ما ٣ حواه الفلك . قال النبي صلى الله عليه و سلم : ١٠
لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقَدَرِ إِذَا غَلَتِ . و قال عليه السلام :
[٢٥٢ : الف] مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض تقلبها
الريح ظهرا لبطن . و قال الشيخ أبو العباس المرسى : قلب ابن آدم
بالنسبة إلى جسده بكيلة القدر بالنسبة إلى سنتها ، و قلب كل مؤمن ليلة
قدر جسده ، و ليلة قدر كل سنة قلب عامها . قال في ٤ ذلك القائل : ١٥
ما ليلة القدر المعظم قدرها إلا إذا عمرت به أوقاتي

(١-١) هذا الجزء ساقط من برو و وارد في بن .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) في بن : و ما .

(٤) ساقطة من برو و واردة في بن .

[في أعضاء الجسم البشري]

و سأذكر ' ما قيل في ' الأعضاء إن شاء الله تعالى ' . اعلم أن
 الحدقتين مرأيا الجسد ، و هما تقطعان من الماء صافيتان محبوستان بين^٣
 غشاوين^٤ شفافتان ، و ماؤهما ' صالح ' لحفظ شحمهما^٥ من التغير . و الأتف
 ه ماؤه كره لاستنشاق^٦ الروائح . و القسم ماؤه حلو لاستطعام الطعام^٧
 ' و الماء جسم لطيف سيال شفاف لونه لون إنائسه^٨ . و قد يحصل
 لبعضهم تنن القسم ، و ذلك إما لعفوة في اللثة و أصول الأسنان ، ' أو
 لمزاج ' و دىء في وسط القسم و مجارى الخنك من^٩ رطوبات عفنة ،
 أو لخلط^{١٠} عفن في فم المعدة^{١١} . و قد يتنن القسم من قرحة الرئة و الصدر .

(١) في بن : قال المصنف رحمه الله تعالى فلندكر الآن .

(٢-٣) في بن : أعضاء أعضاء (مكروة) الإنسان .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) كذا في الأصلين ، و لعل الكلمة « غشاوتين » .

(٥) في بر : و ماؤه . و صحتها في بن كما أوردنا بالنص [١٩٣ : الف] .

(٦) في بن : صالح .

(٧) في بن : شحمتهما .

(٨) في بن : الاستنشاق .

(٩) في بن : الطعوم .

(١٠-١١) الجملة ساقطة من بر و واردة في بن .

(١١-١٢) في بن : ولزاج .

(١٢) في بن : مع .

(١٣-١٤) ساقطة من بن .

والكرفس يطيب النكهة و يذهب البخر، و الأذنين ماؤهما^١ مر
يحفظهما^٢ من هوام تدخلهما^٣، و أيضا لاعوجاج مسالكهما،^٤ و إذا
قطر الخل في الأذن بزيت يستخى تقع من ثقل السمع و الدوى
فيها^٥. و أعضاء الإنسان^٦ ثلاثة عشر وهي^٧ الرأس و الرقبة و الصدر
و البطن و الحقوان و اليدان و القدمان و الفخذان و المرارة و المعدة
و المعاء^٨ و الكليتان و الاثنيان.

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
و سلم: في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا، على كل مفصل
صدقة، و إمطة الأذى عن الطريق صدقة. قالوا: يا رسول الله من
يطيق ذلك؟ قال: النخاعة^٩ تدفها^{١٠} صدقة، و إمطة الأذى عن الطريق
صدقة، و ركعتا لصحى تكفر ذلك - خرج به البزار. و قال رسول الله
صلى الله عليه و سلم: مر رجل بغصن شوك على ظهر طريق فقال:
و الله لأبحتن ذلك عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة - خرج به مسلم.

(١-١) كذا في بن، و في بر: لحفظهما.

(٢) في الأصلين: يدحلهما.

(٣-٣) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن.

(٤-٤) كذا في بن، و في بر: هي (قط).

(٥) كذا، و لعل المقصود « الأمعاء ».

(٦) في بن: يرسل.

(٧) كذا في الأصلين.

(٨) في بن: تدفنها.

و قال ' صلى الله عليه وسلم : لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة ' في شجرة نخاعا من الطريق كانت تؤذى الناس - خرجه مسلم . و قال ' أبو برزة ٢ : قلت يا رسول الله علمني شيئا أتفجع به . قال : اعزل ' الأذى عن الطريق . خرجه البخارى - انتهى .

٥ نعود* - و الأبواب ٦ التى فى الجسد اثنا ٧ عشر بابا و هى العينان و الأذنان و المنخران و السبيلان و الفم و السرة و الشديان . و من لطف الله تعالى بعباده جعل الليل و النهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه . [٢٥٢ : ب] و لا ينفك ٨ عن كلال ، فعند ذلك يغلب عليه النوم ، و لا بد له من ذلك لزوال الكلال . و كما ٩ ١٠ قال تعالى ١ : " و من رحمته جعل لكم ١١ اليل و النهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا

(١) زيد فى بن : رسول الله .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) كذا فى بن ، و هى فى بو : برودة .

(٤) فى بن : يا نبى ، و فى بر : يرسول .

(٥) فى بن : فلنذكر الآن أبواب الجسد و لطف الله تعالى بعباده .

(٦) فى بن : الأبواب .

(٧) فى بر : اتنى . و صحتها فى بن كما أوردنا بالنص .

(٨) فى بن : بد لقواه .

(٩) فى بن : كما .

(١٠) قرآن كريم ٢٨ : ٧٣ .

(١١) ساقطة من بن .

من فضله". فعين ١ وقتا للنوم ينام فيه كلهم، و وقتا للعاش يعمل فيه كلهم، ولولا ذلك ٢ لأفضى إلى عسر قضاء حوائج ٣ الناس، لأن أحدهم إذا طلب غيره وجده نائما - انتهى .

[في وظائف الأعضاء]

نود ٤ - والقوى ٥ سبعة وهي الجاذبة والماسكة والمضخمة والدافعة ٥ والغادية ٦ والمنمية والمرئية ٧ . وترجمان النظام خمسة: العين والاذن واللسان والأنف واليد ٨ . وإن صورة الإنسان ٩ تنقسم على أربعة أرباع: الرأس واليدان ٩ والبدن والرجلان ١٠ ثم عظامه ١١ منقسمة إلى مائتي عظم وثمانية وأربعين عظما، ففي الرأس اثنان وأربعون عظما، وفي

(١) في بن : تعيين .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الحوائج .

(٤) زيد في بن : إلى ذكر القوى . وبهامش بر : القوى سبعة .

(٥) في بن : القوى (بدون واو العطف) .

(٦) كذا في بن ، وهي بر : والغادية .

(٧) بدون نقط في بر ، و ياءها الثانية منقوطة في بن فأضفنا الهمزة على الأولى

وهي تحذف عادة في الأصل .

(٨-٨) في بن : والصورة الإنسانية .

(٩) في الأصلين : اليدين .

الربع الثاني وهو 'اليدان اثنان وثمانون' عظمًا، وفي الربع ٢ الثالث وهو البدن أربعون عظمًا، وفي الرابع وهو الرجلان أربعة وثمانون ٣ عظمًا. ثم خلق الله سبحانه لهذه العظام رباطات تمسكها بعدة ٤ عروق * للشكل الإنساني ٥ ثلاثمائة ٢ وستون عرقًا، وهذه العروق تكون الحركة والقبض ٥ والبسط، فرأس هذه العروق في الفؤاد، وهو ٦ العرق المسمى بالثياط ٥ والأبهر ٧، ومنزله مع القلب بمنزلة الحاجب للملك ٨، يلتقف ٩ أمره، ثم يخرج به إلى الخدمة، ثم هذا العرق متصل بالمعدة يمتص منها قوة الطعام والشراب اللذين ١٠ يدخلها ثم يقسمها بين الكبد والمرارة ١١ والطحال. وخلق العرق الأبهر مستبطن الصلب، وهو آخذ من جميع

(١-١) مطموسة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : وثمان .

(٤) في بن : بعد .

(٥-٥) في بن : الشكل للإنسان .

(٦) في بن : وهي .

(٧) بهامش بر: العروق .

(٨) كذا في بن . والكلمة في بر: لال .

(٩) في بن : يلتقف .

(١٠) في بن : الالذان .

(١١) في بن : والمرأه .

الكامل^١ إلى مجمع الوركين إلى^٢ مجمع الحالبين إلى مجمع الصدر^٣
بين الترقوتين ، وهو نهر الجسد الأعظم^٤ ، وهو مقسوم لأربعة عروق
لأجزاء الجسد الأربعة ، لكل جزء منها عرق^٥ ، فللرأس منها عرق يتفرق
إلى مائة عرق ، واليدين كذلك ، والبطن عرق (يتفرق^٦) إلى
ستين عرقا ، وللظهر كذلك ، وللرجلين عرق يتفرق إلى مائة عرق ،
والجزء الأول من النهر الأول وهي أربعة أنهار يتفرق^٧ منها عرقان من
مجمع السكاهل يسقيان العنق ، ويتفرق من مجمع الصدر بين الترقوتين
عرقان يصعدان إلى العنق وهما الودجان ، ثم يتفرع من كل واحد منهما
عرقان ، ثم جميع^٨ هذه العروق ينبعث منها^٩ الغذاء إلى كل عضو في
الرأس من الشفتين وغيرها ، وأما عروق اليدين من الربع الثاني وهو أحد^{١٠}
الأنهار الأربعة [٢٥٣ : الف] من النهر الأعظم يتفرق منه عرقان^٩ ،
فان لكل يد عرقا^{١٠} من مجمع^٩ الصدر بين الترقوتين إلى بين المنكبين

(١) في بن : الكامل .

(٢) في بن : وإلى .

(٣) في بر : الصدرين . وصحته في بن كما أوردنا بالنص .

(٤) ساقطة من بن .

(٥-٥) في بن : فالرأس لها .

(٦) ساقطة من الأصلين وذكرها لازم لاستقامة المعنى .

(٧) في الأصلين : تتفرق .

(٨) في بن : فيها . (٩) في بر : عرقا .

(١٠) في الأصلين : عرق .

وهما الألكحال^١، ثم يتشعب من كل واحد منهما أربعة^٢ عروق سواهما،
فتسقى المضدين وأجزاءهما، وذلك عشرة عروق، لكل يد خمسة عروق،
ثم يفترق^٣ من كل واحد من العشرة أربعة تسقى الساعدين، فذلك خمسون
عرقا، لكل ساعد خمسة وعشرون عرقا^٤، وعرق آخر يسقى الكفين
والأصابع. وأما الجزء الثالث فالبطن يفترق منها عرقان من مجمع
الحاليين إلى اليد^٥، يفترق من كل واحد منهما تسعة، عشرون^٦ عرقا
سواهما يدفعان^٧ إلى كل جزء حصته، فلليدين أربعة وثلاثون، ولسائر
البطن ستة وعشرون، للمصعصع عرقان، وأربع عروق للذاكير،
واثنان للكليتين، واثنان للثلاثة، واثنان للامعاء، واثنان للكبد،
واثنان للطحال، واثنان للفؤاد، واثنان للرارة، واثنان للرئة، وثلاثون
للأضلاع^٨، لكل ضلع عرقان، واثنان للثديين^٩.

(١) في بن : الأكل .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) مطموسة في بن .

(٤-٤) الحملة ساقطة من بن .

(٥) كذا في بر، وهي في بن : البدن . - و جاؤ أن يكون ذلك الصواب .

(٦) في بن : وعشرين .

(٧) في الأصليين : يدفعون .

(٨) في بن : للامتناع .

(٩) في الأصليين : للتديان . - وقد زيد هنا في بن ما يلي : قال ابن الجوزي : يا هذا

تدبر وتيقن أنك سكبت من صلب صلب على رياض أرض الشهوة ... =

فلنذكر الآن ما قيل في الرضاعة ١. جاءت لليث ٢ بن سعد امرأة
قالت له: أريد الحج وليس لي محرم . فقال: اذهبي إلى امرأة رجل
ترضعك من ثديها ، فيكون زوجها أباك من الرضاعة ، فتعجبين
معه ٣ . واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة ٤ قالت: دخل عليّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ، ٥

= (مطموس) ... حلبتها يد القدرة ، شق سمعها وبصرها وهي دم مطموس
في دم الحيض من غير ملامسة ... (مطموس) ... النطفة ... (مطموس)
... كن الصلب حركتها أقامل الشهوة بإيقاع لذة الوقاع ف وقعت في طابق
المطابقة في مجلس الرحم خلعت عليها ... التقدير خلعة علقه ثم ردتها برداء مضغة
ثم نسجت يد القدرة على منوال التطريز ثم خرجت من حمل ... لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم فينما هو في لطف طفل درج به مدرج انسان فاذا هو خصيم
مبين كم دار في تدوير أدواره من ظك وكم سبج في تطوير أطواره من ملك
وكم نطقت في معناه في المعاني وكم ذهلت في افنان معناه من ألسنة المعاني لكي
اطروس الغفلة ما يسمع هذه لحظة ... وصف الظاهر فكيف له ... معنى
الباطن . انتهى (وقد اكتفينا بنسخها حرفيا على قدر المستطیع بما فيها من
عموض لفظی) .

(١-١) ساقطة من بر وواردة في بن .

(٢) في بن : الليث .

(٣) بهامش بر : قب على هد الحكم العجيب و النقل الغريب .

(٤) ساقطة من بن .

فرايت الغضب في وجهه . قالت : ١ فقلت يا رسول الله إنه أخى
من الرضاعة . قالت فقال : انظرون أخواتكن من الرضاعة فان
الرضاعة من المجاعة . وقالت عائشة ٢ : جاءت سهلة ٣ بنت سهيل إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله إني أرى الغضب في وجه
ه أبي حذيفة تعنى زوجها من دخول سالم وهو حليفه ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ارضعيه . قالت : وكيف أرضعه وهو رجل كبير .
فقبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد علمت أنه رجل كبير .
وفي رواية : ارضعيه تحرمي عليه ويذهب الذى فى نفس أبي حذيفة .
واحتج من قال إن الكبير لبس بمحتاج للرضاعة ، فانه ليس لها فى
١٠ ذلك تأثير كما أنه أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن
عليهن أحدا بتلك الرضاعة ، وقلنا لعائشة : والله ما نرى هذه إلا رخصة
أرخصها لسالم خاصة ، فما هو ٧ داخل علينا ٨ أحد بهذه الرضاعة ولا رأينا -
انتهى .

(١-١) فى بن : قلت يا رسول .

(٢) زيد فى بن : رضى الله عنها .

(٣) ساقطة من برو واردة فى بن .

(٤-٤) ساقطة من برو واردة فى بن [١٩٤ : الف] .

(٥) فى بن : بانه .

(٦-٦) فى بن [١٩٤ : الف] : كما روى أن أبا سالم (بياض)

أزواج النبي الخ . - ولفظه « كما » فى برو « لا » .

(٧-٧) فى بن : بداخل عليها .

نمود^١ - وأما الجزء الرابع وهما^٢ الرجلان ففيهما الوتين عرق
يفترق منه عرقان وهما عرقا الفخذين، لكل فخذ عرق من^٣ مجمع الوركين
يسقيان الفخذين وأجزاءهما. [٢٥٣: ب] ويفترق^٤ كل واحد^٥ منهما أربعة
عروق، ثم يفترق من الأربعة خمسون^٦ عرقا، يفترق من الساقين كل ساق
خمسة وعشرون عرقا. واعلم أن الغذاء إذا استقر في المعدة طبخته الكبد^٧
وهي حارة رطبة لاصقة للمعدة^٨ من الجانب الأيمن، تمتص منها من صفو
الغذاء كل حار رطب لمشاكلتها^٩، فتصفيه بجوهرها وفيها أنابيب كالمصفي^{١٠}
فتجذبه العروق فتقله وتسرى فيها إلى حيث ما تقدم. وأما المرارة فهي
معدن يخلط (كذا) يقال له المرة الصفراء. وهي حارة يابسة لاصقة بالمعدة
من الجانب الأيمن مما يلي الكبد تمتص منه من صفو الغذاء كل حار يابس^{١٠}
للمشاكلة، فتصفيه بجوهرها، ثم تجذبه^{١١} العروق كما ذكرناه. والخلط

(١) زيد في بن: إلى ذكر بقية أجزاء ابن آدم.

(٢) في بن: وهو.

(٣) في بن: ممتد إلى.

(٤) زيد في بن: من.

(٥) مطموسة في بن.

(٦) كذا في بن، وهي في بر: خمسين. وبهامش بر: الغذاء إذا استقر في المعدة.

(٧) في بن: بالمعدة.

(٨) في بر: لمشاكرتها. وأغلب الظن أن الصواب ما أوردنا في النص عن بن.

(٩) ساقطة من بر، وهي في بن: كالمصفا.

(١٠) بهامش بر: المرارة. (١١) في بن: تجذبه.

وهي باردة معادلة لريح الصبا . وإذا كان في القواد رياح و دود و تخمة
يؤخذ ١ من السنا المكي أوقية و من الشمار أوقية ٢ أنسون أوقية ٢ و من
الشيخ نصف أوقية و عرق سوس نصف أوقية ٣ ، زر ورد درهم ،
٣ مصطكي نصف درهم ٣ ، عود ريح درهم ، كون أبيض نصف أوقية ،
٥ بدق الجميع و يخلط بمثل نصمه سكر ١ ، و يستعمل بعد ذلك سفوفا ، يؤخذ
منه عند النوم قليلا ، و على الريق قليلا ، نافعا مجربا .

و اعلم أن الغذاء لا يصير جزءا من المعتدى حتى يعمل فيه عدة من
الملائكة ، و معنى التغذى أن يصير جزء ١ من الغذاء جزءا من المتغذى ،
فان الغذاء لا يصير دما و لحا و عظما بنفسه ٢ ، كما ان القمح بنفسه لا يصير
١٠ طحينا و عجينا و خبزا حتى تعمل فيه الصناعات ، ٢ فصاع الظاهر أناس ٣ ،
و صناعات الباطل ملائكة ، فقد ٤ أسبغ الله ٥ عليك يا ابن آدم نعمة ظاهرة

(١) في بن : فيؤخذ .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة في بن [١٩٤ : ب] .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٤) في بن : سكر ١ .

(٥) في الأصلين : جزء ١ .

(٦) في الأصلين : بنفسها .

(٧-٧) في بن : فظاهر الصناعات الناس .

(٨) في بن : فكيف .

(٩) زيد في بن : تعالى .

و باطنة ، فانه لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم و العظم ، فان الغذاء لا يتحرك بنفسه ، و لا بد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة بغيرها ، ثم لا بد من ثالثة ^١ تكسبها صورة الدم ^٢ ، ثم لا بد من رابع ^٣ يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ، ثم لا بد من خامس يميز العظم واللحم و العروق و ما ^٤ يليق بها ، ثم لا بد من سادس للصق ^٥ ما اكتسب صورة ^٥ العظم بالعظم و ما اكتسب صورة اللحم باللحم ، ثم لا بد من سابع يراعى المقادير في الالتصاق ، فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته ، و بالعريض ما لا يبطل عرضه ، و بالمجوف ما لا يبطل تجوفه ، و يحفظ على كل واحد مقدار حاجته ، يدفع الزائد ، فانه لو جمع على الأنف ^٦ من الغذاء مقدار ^٦ اللحمه للفخذ تشوهت الصورة ، بل ينبغي أن ^{١٠} يسوق ^٢ إلى الاجفان رقيقها ، و إلى الحدة صافها ، و إلى الأنف غليظها ، و إلى العظم صلبها ، مع مراعاة القدر و الشكل و إلا بطلت

(١) في بن : ثالث .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) كذا في بن ، و الكلمة في بر : داعم . - و هي جائزة أيضا .

(٤) في الأصلين : لمضيق ، و هو خطأ قلبي لا ينسجم مع سياق الحديث يتضح من عبارات قادمة في النص .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بر و واردة في بن .

(٦-٦) في بن : مقدار . و هي مطموسة جزئيا .

الصورة ، فلو لم يراع^١ هذا الملك^٢ الموكل به هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلاً فتبقى تلك الرجل كما كانت في أيام الصغر وكبر جميع البدن ، فترى^٣ شخصاً في ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبي صغير ، فلا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك ، فهذا^٤ حال بعض الملائكة الموكلين بيد رب بني آدم مشغولين بك وأنت في النوم [٢٥٤ : ب] أو تتردد في الغفلة ، وهم يصلحون بذلك .

روى أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : وكل بابن آدم مائة وستون ملكاً يذبّون عنه كما تذبّون^٥ الذباب عن قصعة^٦ العسل في اليوم العاصف - انتهى .

نعود - وصلاح الامتزجة وفسادها - تابع^٧ لما تقدم^٨ بين^٩ الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة . والعلم الطبيعي لإصلاحها هو فائدته وغرضه . واعلم أن الغضب جرة في القلب ، أما رأيتم حمرة في عينيه وانتفاخ أوداجه ، فمن أحسّ بشيء من ذلك فليصق بالأرض والنفس

(١) في الأصلين : يراعى .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) مطموسة في بن .

(٤-٤) العبارة مطموسة في بن .

(٥) في بر : وفساد . وصحتها في بن كما أوردناه بالنص .

(٦-٦) في بن : لها تعد .

(٧) في بر : من . والأصح في بن ما أوردناه بالنص .

يكسب 'بمجاورته من الطبايع' ملكة أى قوة عند غلبة السوداء إلى غير ذلك كما يتشبه 'الرفيق من رفيقه' ، ومتى 'كانت هذه الطبايع جارية على اعتدال كانت النفس أخرى إلى السلامة' ، وجميع هذا كله بتقدير الله سبحانه و تدبيره ، فتى تأمل ٣ هذا القصد المحكم ، والترتيب المنظم ، ومعادلة بعض القوى لبعض ، وكيف خلقت اليد للبش ، واللسان ٥ للكلام ، والحدقة للرؤية ، وكيف خلقت على شكل ملائم . و خلقت 'ماء جامدا فى أغشية لطيفة مكثفة' بالاجفان . وجعل للأجفان أهداب تقيها المغيرات والنور الكثيف أن يغشاها ، وكل ذلك دال على أن هذا 'الصنع العجيب' ، والامر الغريب ، مدبر 'دبره' ، وعالم 'ألقنه' ، وأن الصانع هو المخترع لتلك الصورة ، فتبارك الله 'تعالى لا إله إلا هو ١٠ سبحانه لا إله غيره' .

(١-١) مطبوعة فى بن .

(٢) فى بر : رقيقة .

(٣) فى بن : تؤمل .

(٤) فى بن : تخلقت . - وبهامش بر : العينين .

(٥) فى بن : مكثفة .

(٦) فى بن : لهذا .

(٧) فى الأصلين : مدبرا .

(٨) فى بن : يدبره .

(٩) فى بر : وعلمها . وفى بن : وعالما .

(١٠-١٠) فى بن : سبحانه لا إله إلا هو .

[حمد الله على ثمانية]

فيجب على الإنسان أن يحمد الله تعالى من ثمانية^١ أوجه : الأول
 أن^٢ أوجده من^٣ العدم ، الثاني أن^٤ خلقه حيوانا ولم يخلقه جمادا ،
 الثالث أن خلقه ناطقا ولم يخلقه غير ناطق ، الرابع أن خلقه^٥ ذكرا
 هـ ولم يخلقه أنثى ، الخامس أن^٦ خلقه مسلما ولم يخلقه كافرا^٧ ، السادس
 أن جعله سنيا ولم يجعله بدعيا^٨ ، السابع أن جعله من أهل العلم ولم يجعله
 من أهل الجهل ، الثامن أن جعله لمعركة هذه الرتب أو^٩ كلاما ذا معنى^{١٠} .

[وظيفة العين و الأذن و اللسان]

واعلم أن العين^١ خلقت لتهدى بها في الظلمات ، . تستعين بها في
 ١٠ الحاجات و تنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض و السموات ، و تعتبر بما
 فيها من الآيات و الأذن خلقت لتسمع بها كلام الله^٢ و سنة نبيه و حكمة
 أوليائه و يتوصل باستفادة العلم إلى الملك المقيم و النعيم الدائم . قال الشيخ
 (١) بهامش بر : يجب على العبد أن يحمد الله تعالى من ثمانية أوجه .

(٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣ - ٣) في بن [١٩٥ : الف] : جعله مسلما ولم يجعله بدعيا .

(٤ - ٤) العدد السادس ساقط من بن .

(٥ - ٥) مطموسة في بن ، وفي بر الكلمة الأخيرة : معناه .

(٦) من بن ، وفي بر : العينين .

(٧) زيد في بن : تعالى .

أبو العباس المرسى رحمه الله: 'إذا تكلم العارف بكلمة غاب^١ فيها [٢٥٥: الف] وجود المستمع لأن الكلام ذكر و السمع أثق^٢ ، و الرجال قوامون على^٣ النساء ، لو تنفس العارف^٤ في بلدة ثبت أيمان^٥ كل عبد فيها^٦ . و أما اللسان فانه خلق لتكثير به ذكر الله تعالى و تلاوة كتابه ، و ترشده^٧ به خلق^٨ الله تعالى إلى طريقه ، و تظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك^٩ و دنياك و اعلم أن الألسنة ثلاثة : لسان نقل عن لسان ، و لسان نقل عن قلب ، و لسان نقل عن غيب . فالناقل عن لسان حال ، و الناقل عن قلب عالم ، و الناقل عن غيب عارف . فإسان اللسان هواء^١ عن هواء^٢ ، و إسان القلب داع إلى هدى^٣ ، و إسان الغيب يشير إلى عالم المحو و الفناء^٤ . انتهى^٥ .

١٠ [ما قيل في الأزمنة و الطبائع]

فلنذكر الآن ما قيل في الأزمنة و الطبائع إن شاء الله تعالى اعلم أن الأزمنة أربعة : الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء . فالزمان الأول

(١ - ١) ساقطة من بن . (٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من ر و واردة في بن . (٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) في الأصل : يرشد . (٦) في بن : الهدى .

(٧) في بن : الثناء .

(٨) هذا القسم ابتداء من « فلنذكر الآن » [بن ١٩٥ : الف] لغاية « وقد

يستقرغ البلغم باقىء » فيما بعد ساقط بأكمله من بن و يستأق الكلام في كلا

الأصلين عند « اعلم أن أفعال القوى » [بر ٢٥٦ : الف] وقد حاولنا نسخ هذا

الجزء حرياً كما هو في المخطوط وهو مملوء بتشكلات مواصفات الطب القديم

التي لا علم للناشر بها .

الرياح ، و هو طبيعة الدم حار رطب . و الزمان الثاني الصيف و هو حار يابس سلطانه المرة الصفراء . و الزمان الثالث الخريف و هو بارد يابس سلطانه المرة السوداء . و الزمان الرابع الشتاء و هو بارد رطب سلطانه البلغم . فشبه فصل الربيع بفصل الطفولية حار رطب ، و فصل الصيف بالشباب حار يابس ، و الخريف بالكهول بارد يابس ، و الشتاء بالشيخوخة بارد رطب . و للدم و الصفراء و السوداء و البلغم علامات ، فان غلب الدم فتعاس و تثاؤب و تمطط و حك مواضع الفصد و ظهور بتور دموية و حلاوة الريق و الرؤيا في المنام و اللهوء الطرب و الألوان الحمر ، و الرعاف الكافور المذاب في ماء الورد و ماء الخيار و يسعط به ١٠ فانه يقطع الرعاف . و إن غلبت الصفراء فمرارة الفم و العطش و خشونة اللسان و جفاف الأنف . استلذاذ النسيم البارد و ضعف شهوة الغذاء و نارية البول و ظهور آثار الصفراء في القيء و البراز و رؤيا الطيران و الطيران في المنام . و إن غلبت السوداء فقحل البدن و كودته و احتراق المعدة و قوة شهوة الغذاء و سهر و وسواس و رؤيا الآيات و المخاوف . ١٥ و إن غلب البلغم فياض البول و كثرة الريق و ضعف الهضم و الجشأ الحامض و الترهل و كثرة النوم و رؤيا المياه و الثلج . يؤكد هذه العلامات الفصل و البلد و السن ، فتي غلب الدم وحده أو مع غيره فاستفراغه بالفصد أو الحجامة ، فان تخلف بعده سوء المزاج حار رطب

(١) في الأصل : اللهو .

فيعدل [٢٥٥ : ب] باستعمال المبردات القائمة مثل شراب الورد الطرى والقراصيا والحماض والليمون أو التمرهندى أو الحصرم أو الرمان أو الهندبا أو العناب أو السكنجبين أو التفاح. وإن كانت الطبيعة لينة جدا فشراب الآس أو السفرجل أو الورد الأزرار، وإن كانت مصقلة فشراب الورد المكرر بمائه و بماء النوفر، و يحذر من الشديد المحوضة حيث يكون ه الصدر أو العصب أو الأمعاء ضعيفة، وعند السعال بالخس و الهندبا بالخل و السكر أو الرجلة و هى البقلة الحماض و سويق الشعير بالسكر أو فروج بماء الحصرم أو بحب الرمان ١، و إنما تستعمل القراريح عند ضعف القوة، و متى غلبت الصفراء فيستفرغ بمطبوخ الفاكهة و صفته: إجماص أوقيتان، قراصيا و عناب و تمرهندى من كل واحد أوقية، زهر بنفسج و سنامكى ١٠ من كل واحد خمسة دراهم، خطمية مقشورة أربعة دراهم، ينقع ليلة و يغلى و يلقى عليه سبع زهرات نيلوفر و سبع زهرات ورد نصيينى إن وجد، و يصفى على عشرين درهما شيرخشك و عشرة دراهم ترنجبين أو ثلاثين درهما ورد نصيينى مكررا و ثلاثين درهما سقر بنفسج، و ان احتمل الحال أكثر من ذلك، فيصفى عليه خمسة عشر درهما لب ١٥ خيار شبر ممروش بدرهم دهن لوز حلو، و يصفى على أوقيتين سكر، و يشرب سحرا و يفرك عليه خروبتين محودة لتقوية فعله و إسراعه، و إن تأخر عمله يحرك بماء أغلى فيه شمار أخضر و خطمية مقشورة وحده أو مع سكر و يتقيا عند منتهى فعله، و يغسل الوجه و الأطراف بماء بارد

(١) فى بر: بالحلب رمان .

مع نصف درهم بزر قطونا صحيح ، و يقتذى بعد ساعتين بمزورة رشتا
 دقيقه خميرا و بسويق شعير مغسول محلى بشراب ورد طرى . و متى غلبت
 السوداء استفرغ بمطبوخ الأقيمون و هو مطبوخ الفاكهة يزداد عليه
 بسفانيج مجرود مرضوض ستة دراهم ، إهليلج كالى مرضوض أربعة دراهم
 ٥ غاريقون مقطع مثقال ، و يلقى عليه فى آخر الطبخ ستة دراهم أقيمون
 اقريطشى مبسوس بدهن لوز حلوى صرة كتان رخوة ، و يدر على وجه
 القدح نصف مثقال راوند و نصف درهم حجر أرمنى مصول ، و يفرك
 عليه المحمودة أو يستفرغ بسفوف السوداء ، يؤخذ منه سبعة دراهم مقواة
 بخروبتين محمودة ، و يحرك و يقطع كما تقدم ، و يقتذى [٢٥٦ : الف]
 ١٠ بدجاجة سمينة مصلوقة . و متى غلب البلغم فيستفرغ بمثقال غاريقون
 أو درهمين وحده ، اما أن يلقى بشراب الليمون ، أو يعمل حما يلع بجلاب
 و يحرك بعد بلعه بمغلى من عرق سوس مجرد مرضوض و شمار أخضر
 و خطمية مقشورة ، و يصنى على سكر ، و يستفرغ بمثقالين أيارج لوغاذيا
 مقواة بمثقال غاريقون و خروبتين محمودة و يحجب بدهن لوز ، و يلىع
 ١٥ بجلاب سحرا ، و يحرك بالمغلى المذكور ، و يتقىأ عند منتهى فعله ، و يقطع
 بأوقيتين شراب تفاح بماء لسان ثور مع نصف درهم بزر ريحان صحيح ،
 و يقتذى بدجاجة مصلوقة ، و قد يستفرغ البلغم بالقىء .
 و اعلم^١ أن أفعال القوى الطبيعية هضم الغذاء و استمرائه^٢ و دفع

(١) هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن معا .

(٢) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و استمراره .

فضلاته . 'و البول يدل على ١ هضم الكبد و العروق ، 'و أجود البول ما كانت ١ أجزاؤه كلها متشابهة في اللون و القوام ، و أجود أبوال المرضى ما أشبه بول ٢ الأصحاء ، و البول الصحي ٣ هو الأصفر اللون المعتدل ٣ القيام ' الذي يظهر فيه رسوب محمود و هو الأبيض الأملس المستوى غير كرية الرائحة ' الذي يبال كدرا و يبقى على حاله ، ثم الذي ٥ يبال صافيا و يتكدر ، و أزكاها الرقيق ، الشيء بالماء الذي يبقى ١ على حاله . و كل بول غير الأبيض و الأصفر و الأحمر دال على الهلاك . 'و أعلم أن الإنسان دائما في الدنيا سائرا إلى الموت . قال الشاعر :

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا و أنت تسير
تسير الليالي بالفق لا يحسها من الناس إلا عاقل و بصير ١٠
فابن آدم في الدنيا مثله كمثل فرخ في عشه ' ، فإذا استوى ريشه طار

(١ - ١) مطموسة في بن .

(٢) في بن ابوال .

(٣) الكلمة مطموسة في بن .

(٤) في بن القوام - و ربما كانت الأصح .

(٥) زيد في بن : ثم .

(٦) في بن : سائرا .

(٧) في بن : عش .

و تركه بطيرانه إما لصلاحه أو لفساده ، و ما يعلم ما يراد به ، ا بل دخل الدنيا مضطرا ، و عاش فيها حائرا ، و خرج منها كارها مع ما يقاسى في دنياه من الهموم و الانكاد ، و ما يبلغه من القول في فتنة الموت و فتنة القبر و الحساب و المعاد ٣ . قال أبو العلاء ٢ المعرى ٤ :

نعذب في البطون و ما جنينا ٢ و يذبح* في حشا الام ٦ الحوار
و ننتظر الرزايا و البلايا و أما بالوعيد لنا انتظار
فكانت نعمة لو أن كنا نخير ٢ بعد ذا أو نستشار ٨

(١ - ١) العبارة مطموسة في بن .

(٢) الكلمة مطموسة في بن .

(٣) في بن : في المعاد .

(٤) في بر : للعزى .

(٥) مطموسة في بن ، و في بر : يربح .

(٦) في بن : الأيام .

(٧) في بن : نخير و .

(٨) زيدت هنا في بن [١٩٥ : الف - ب] العبارة الآتية آثرنا إدراجها بالهامش نظرا لما فيها من خيل و لأنها على هامش موضوع الكتاب : و اعلم أن أزواج المؤمنين يتعاهد (كذا) بعد الموت بحفرة صاحبها عند كل مساء فيما فيه من لطيف القدرة ، يعلم الميت بثره ، و يجد التنعم في قبره ، و أرواح المؤمنين في قناديل تحت العرش يرون أهلها على قدر منزلته من الله في صورة طائفة ، و منهم من يزور في كل جمعة ، فيستر عنه القبيح ، و يبرز له الحسن ، فيسره . و قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : يا داود حيثنى إلى عيادى . فقال الهى =

[حكاية تشتمل على فرج بعد حرج]

حكاية تشتمل على فرج بعد حرج ، و حدوث حزن بعد سرور^١ .
 حكى [٢٥٦ : ب] أن الإفرنج^٢ حين ظفروهم بالإسكندرية قبض بعضهم
 على جماعة نسوة ، حملوا كل امرأة منهم كارة مما نهبوه ، و صاروا يسوقوتهن
 بين أيديهم ، و على رأس إفرنجي منهم كارة كبيرة أثقلته ، فصادفوا مسلما^٣ .
 قبضوه وحملوه ما على رأس الإفرنجي ، و صاروا طالبين باب البحر ، فارتخت
 الكارة التي على رأس المسلم من ثقلها في بعض الشوارع منعتة نظر الطريق^٤ ،
 فقال للإفرنج : قد انحلت هذه الكارة و ارتخت فاربطوها حتى أسير بها ،
 فأنزلها عنه الإفرنج^٥ و اشتغلوا بعقدها . و ربطها ، ففر المسلم هاربا ،
 و رمت امرأة من النسوة ما على رأسها و تبعته ، فتركها^٦ الإفرنج لما هم أم^{١٠}

= و سيدى وكيف أحبيك إلى عبادك ؟ فقال : ذكرهم نعمتى عليهم ، و إحسانى
 إليهم . قلت : يا رب هذه رحمتك للأحياء فما الذى أعددت للوتى ؟ فأوحى الله إليه :
 يا داود لم اكن (مطموسة) . . . عنهم و هم أحياء يرزقون ، وكيف
 أنساهم و هم تحت أطباق الثرى و مغيبون ؟ يا داود لو أجاب لأهل القبور فى
 جوابك لأخبروك أن لطفى بهم بعد مماتهم أعظم من لطفى بهم فى حياتهم - انتهى .

(١) زيد فى بن : و ظفر .

(٢) فى بن : الفرنج .

(٣-٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤-٤) فى بن : فأنزلوها . و فى بر : « فأنزلتها » موضع « فأنزلها » .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى الأصل : فتركها .

به منها^١، فصادفنا مدرسة مفتوحة الباب، دخلناها^٢ وتوصلا إلى ميضتها^٣، واختفيا بيت ماء غلس بها، وكانت المرأة^٤ عليها ملاءة^٥ ملتحفه، فنظر الرجل وإذا عليها ثياب حرير وقلائد ذهب وعنبر وفي يديها أساور الذهب^٦، فراودها عن نفسها فامتنعت بالعفاف^٧ والصون^٨ وقالت: أنا بنت بكر لا أعرف الرجال أبدا. فسألها عن أمرها^٩ فقالت: لبست ما تراه علي^{١٠}، وقصدت الهروب به مع النسوة^١ التي رأيتهن قاصدات باب البحر لتنجوا من الأسر فوقعنا فيه بمصادقة الإفرنج^٢ لنا، فلما استأسرونا حملونا ما كنا حاملينه^٣، وهذا الذي تراه علي^٤ شورنى به أبي، وليس لأبي غيري^٥ ولا لى غيره ولا أدري أحي هو أو قتيل أو أسير. قال الرجل: فتعجبت من أمرى وأمرها في الخلاص من الأسر، وأقنا خائفين بقية يومنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢) في بن : دخلناها .

(٣) في بن : ميضاتها .

(٤ - ٤) ساقطة من بر: و واردة في بن .

(٥) في بن : بالورع والعفة .

(٦) ساقطة من بن .

(٧ - ٧) في بن مطموسة .

(٨) في بن : الفرنج .

(٩) في بن : حاملينوه .

(١٠) في بن : غير .

من يدخل علينا من الإفرنج ليستأسرونا^١ أيضا . فلما دخل الليل خرجنا من المدرسة ، و مضينا في^٢ الظلمة نعثر في القتل إلى أن خرجنا من باب رشيد ، اذ هو كان مفتوحا قد خرج^٣ المسلمون منه ، و^٤ لم تفهمه^٥ الإفرنج لبعده عنهم في الجهة الشرقية من الإسكندرية ، و اشتغالهم بنهب الجهة الغربية . قال فرنا حتى أتينا خليجها الذي بظاهرها ، فجلسنا مستأنسين .
 بمن وجدناه هناك من المسلمين الشاردين ، فقلت^٦ لها : ما جمع الله بيني وبينك إلا^٧ لا كون ز. جـك^٨ . فقالت : ان قدر الله ذلك سيكون .
 فلما أصبح الصباح أبصرت البنت شيخا فنادته^٩ فأتى إليها ورعى^{١٠} بنفسه عليها^{١١} با كيا فبكت هي^{١٢} أيضا و قالت : يا أبت الحمد لله الذي جمعك عليّ فلقد احترق قلبي^{١٣} لفقدك . فسألها^{١٤} عن أمرها ، فخدمته^{١٥} ١١ خبرها و خبري^{١٦} ١٠ و أثنت [٢٥٧ : الف] عليّ خيرا . و قالت : لم يمسنى سوء ، بل أنا من فضل الله^{١٧} تعالى كما تحب^{١٨} و رضى في نفسي^{١٩} ١٢ نفسي و مالي^{٢٠} ١٢ . فحمد الله

(١) في بن : يستأسرونا . (٢-٣) مطموسة في بن .

(٣) في الأصلين : خرجت . (٤) في بن : الإفرنج .

(٥) ساقطة من بن . (٦) في بن : قال فقلت .

(٧-٨) في بن : جمعني الله عليك .

(٨) زيد في بن : ان شاء الله تعالى .

(٩) الكلمة مطموسة في بن .

(١٠) كذا في بن ، و هي في بر : رعى - بسقوط واو العطف .

(١١) في بن : فأخبرته .

(١٢-١٣) في بن : النفس و المال .

تعالى و شكره^١ على جمع شمله بآبنته^٢ وصياتها وحفظ ما هو عليها^٣ . فنظر
عند ذلك أبوها إلى^٤ ٣ وقال : سأزوجك بها إن شاء الله تعالى . قال فأقننا
نهارنا و أنا مسرور بقول أبيها ذلك ، و الناس يموجون من كثرتهم ،
فاختلطا بهم فلم أعرف أين أخذا ، فلا أدري هل اختفيا مني أو لم يعرفا
مكاني ، فتألمت لفراق تلك البنت الجميلة التي طمعت أن تكون^٥ لي زوجة
حليمة^٦ ، غلاب أملى ، و ضافت^٧ حيلتي ، و عيل صبري ، و تحيرت في أمري
و قال بلسان حاله^٨ ، لعدم^٩ احتياله :

شكر الله لأيام^{١٠} الوصال^{١١} فلقد كان^{١٢} به العيش صفاء
و رعى الله لياليه التي كن في جيد الليالي كاللآلى
١٠ إن أوقاتا بوصل قصرت بعد أيام من الهجر طوال
١١ فوزت عني الغواني وجهها^{١٣} عن قلا لا عن^{١٤} تبجن و ملالى

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن : و الصيانة .

(٣) ساقطة من بن : و واردة في بن .

(٤-٤) في بن : زوجتي .

(٥) في بن : وضاعت .

(٦-٦) في بن : و قلت بلسان حالى .

(٧) مطموسة في بن [١٩٦ : الف] .

(٨-٨) في بن : لقد كنت .

(٩-٩) في بن : فوزت عني الغواني .

ثم 'بكي و اشتكى' و تفرحت أجفانه بالبكاء، و لسان حاله يقول :
كل من أهوى يفارقني ذاك من شؤمي و من نكد
لو هويت الشمس في بلد حجت عن ذلك البلد
ثم إنه ٢ داوم التوايح ، ٣ و زال عنه الإنشراح ٣ ، . من هيامه بها ، فصار^٤
محتمل العقل بسببها ، فصار^٥ يتكلم بالفضول ، و لسان حاله يقول :
من المعين على خود بليت بها فبالمعونة تستكفي البليات
حوت قوادى فلا يفديه من أحد لواظ و عيون بابلات
إذا الظباء رعت أحوى^٦ الحشيش في غزالة قد رعت^٦ مني الحشاشات^٦
ثم إنه صار لفقدائها و لمان ، كثير البكاء و الأحزان . قوله من المعين
على خود^٧ ، الخود المرأة الحسنة^٨ الخلق و الغادة الناعمة و الصيد^٩ المتشنة^٩
من اللين^٩ و الحفرة الحيدة ، وكذلك الخريدة و العروب المتحبة إلى

(١-١) في بن : بكا و اشتكا .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) في بن : أخرى .

(٦-٦) مطموسة في بن .

(٧-٧) في بن : و إذ قد ذكرنا الخود فلذكر ما قيل فيها و في غيرها .

(٨) في بر : الحسن ، و صحتها في بن كما أوردنا بالنص .

(٩) مطموسة في بن .

زوجها ، و الغاية صفة تمدح بها المرأة ، و الأصل في الغاية أنها ذات الزوج ، و حنة الرجل زوجته ، و هي أيضا حليته و عرسه و ظميته و بيته ٢ و قعيدته و زوجته ٣ ، ٤ و قد يعمل على المرأة العفيفة و ترمى بقول الزور و ينجيها الله تعالى بكرمه من ألم الشرور .

[حكاية قاض من بني إسرائيل]

حكى أنه كان في بني إسرائيل قاضيا من قضاتهم ، وكانت له زوجة بديعة الجمال ، كثيرة الصون و العفة و الجمال . فأراد القاضى [٢٥٧ : ب] النهوض إلى بيت الله الحرام بسبب الحج . فاستخلف أخاه على القضاء و أوصاه بزوجته . و كان أخوه سمع عنها جمالا فائقا و حسنا بديعا ، ١ . فكلف بها كلفا عظيما ، فلما سافر أخوه ، ووجه إليها ، و راردها عن

(١) ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) زيد في بن : « قال بعضهم في التشبيهات :

خلوت بها و الروح ثالثة لنا و حنح ظلام الليل قد مدد وانفلاج
فتاة عند لا يقربها فهل في ابتغاء العيش ويحك من » (رج)
كأنى وهى والكأس والنمر والدجا حياة وتر . . . البر و الشبيح »
و الأبيات أغلبها مطموس و غير واضح فأثرنا تركها بالهامش بعد قراءة ما
استطعنا قراءته منها .

(٤) هذا القسم من بر بما فيه حكاية قاضى بني إسرائيل برمتها ساقط من بن .
و يستأنف الكلام في كليهما ابتداء من « حكاية تشتمل على فراق الأحبة بالأسر
و الغربة » .

نفسها ، فاستعصمت بالورع ، فلما يئس منها ، خاف أن تخبر أخاه بصنيعه
إذا قدم ، فاستدعى شهود زور ، و رفع أمرها إلى ملك ذلك الزمان
بأنها زنت و قد حكمتُ برجمها ، فقال الملك : إن كنت حكمت برجمها
فارجمها ، فحفر لها حفيرة . و أقعدت فرجعت حتى غطتها الحجارة ، و قال :
تكون الحفيرة قبرها . فلما جُن الليل صارت تنئن لشدة ما نالها ، فر ٥
رجل يريد قرية ، فسمع أنينها ، فقصدها و أخرجها و حملها إلى زوجته
و أمرها بمعاماتها حتى استقلت ، و كان لامرأته ولد فدفعته إليها ، فصارت
تكفله و تبيت به في بيت ثانٍ ، فأراها أحد اللصوص فطمع فيها ،
و راودها عن نفسها ، فامتنعت فعزم على قتلها ، و أهوى بالسكين إليها ،
فوافق الصبي فذبحه ، فلما علم أنه ذبح الصبي أدركه الخوف و خرج من ١٠
البيت ، فأصبحت المرأة و الصبي مذبوح بين يديها ، و جاءت أمه فقالت
لها : أنت ذبحت ولدى ، و ضربتها ضربا وحيما ، و جاء الرجل فقال
لزوجته : و الله إنها لا تفعل ، و هذا شيء جرى من غيرها . فأذققها
منها فخرجت المرأة قارّة بنفسها ، لا تدري أين تذهب ، و لا أين
توجه ، و عندها بعض درهيمات مربوطة على وسطها من حين رجمها . ١٥
فمرت بقرية من القرى ، و الناس مجتمعون ، و رجل مصلوب على جذع
نخلة . فقالت : يا قوم ما خبر هذا المصلوب ؟ فقالوا لها : إنه أصاب
ذنبا لا يكفره إلا قتله أو صدقة كذا و كذا دراهم ، و لم يوجد له

(١) في الأصل : ثانی .

دراهم . فقالت : يا قوم خذوا منى هذه الدراهم وخلصوه . فأخذوها منها و أطلقوا سبيله ، فتاب على يديها ، فألى على نفسه أن يخدمها حتى يموت . فابتقى لها صومعة ، و صار يحطب الحطب يبيع و يأتيها بقوتها ، و ينام تحت صومعتها ، و اجتهدت فى العبادة حتى كانت لا يأتيها مريض أو مصاب أو ذو عاهة و تدعو له إلا شفاه الله . و كان قد أنزل الله بأخى زوجها القاضى عاهة بوجهه ، و أنزل بالمرأة التى ضربتها برصا ، و امتحن السارق بأن أقعد و صار مُكْسَحًا . و جاء القاضى زوجها من حجه ، فسأل أخاه عن زوجته ، فقال : إنها زنت و رجعت إلى أن ماتت فأسف عليها [٢٥٨ : الف] زوجها ، و احتسبها عند الله تعالى ، و قال : ١٠ عجبت من تلك المرأة العفيفة كيف زنت حتى رجعت ، لا قوة إلا بالله . ثم أنه وجد أخاه كسيحا مقعدا فتألم له . قال و تسامع الناس بخبر تلك المرأة حتى كانوا يأتونها من أطراف البلاد تدعو لهم فيحصل لهم الشفاء . فقال القاضى لأخيه : لو قصدت هذه المرأة الصالحة ، لعل الله أن يجعل لك على يدها فرجا و شفاء . فقال : يا أخى احملنى إليها . ١٥ قال و سمع بها زوج المرأة الرصاء الذى ذبح ولدها ، فحملها زوجها إليها ، سمع بها السارق الذى ذبح الصغير فصار إليها ، و اجتمع الجميع عند باب صومعتها ، و لا يراها أحد ، و انتظروا خديمتها حتى وصل ، فرغبوا إليه بأن يستأذن عليها ففعل ، فتنقّت و وقفت على باب الصومعة لزوجها و أخيه و اللص و المرأة ، فعرفتهم و هم لا يعرفونها ، فقالت لهم : يا هؤلاء ! (١) فى الأصل : فابتنى .

إنكم لا تستريحون حتى تعترفوا بذنوبكم السالفة ، فإن العبد إذا اعترف
 بذنبه تاب الله عليه ، وأعطاه منه ما قصد فيه . فقال القاضي لأخيه :
 تب إلى الله ولا تصر على عصيانك . قال : يا أخى الآن أقول الحق
 فعلت بزواجك وصنعت . وقالت المرأة : كانت عندي امرأة نسبت إليها
 ما لا أعلمه فضربتها عمدا ونفيتها تعديا . وقال اللص : دخلت على امرأة
 راودتها عن نفسها فامتنعت ، فذبحت صيا كان بين يديها . فتحت
 المرأة عند ذلك صومعتها ، وأبدت إليهم وجهها ، فعرفوها وخضعوا
 بين يديها ، فقالت : اللهم كما أريتهم ذل المعصية فأرهم عز الطاعة . فشفاهم
 الله تعالى من مرضهم . فرجع إليها زوجها ، ولزم الجميع خدمتها حتى
 أتاهم الموت . قال بعضهم :

١٠

أيا نفس للعن الأجل تطلّي وكفى عن الدار التي قد تقصّت

لعمرك ما الدنيا بدار أخى حجا قتلوه بها عن دار فوز وعزّت

عن الموطن الأسنى عن القرب واللقا عن العيش كل العيش عند الأحبة

فو الله لولا ظلمة الذنب لم يطب لك العيش إلا دون مىّ وعزة

و لم ترتضى إلا الأجيرع مربعا وما دمت معنى دون سلع ورامة ١٥

مواطنك الأولى مرابعك الآلى تشاغلّت عنها بالأمور الحسيسة

مواطن أنس كلما دار ذكرها تسامى إلى لقاءها كل همى

أيارب هذا منهج الحق قد بدا وقد وضحت للنفس سبل الهداية

/ فيارب مالهادى البشير محمد صفيك فى الدارين خير الخليفة

[٢٥٨:ب]

أعنى على نفسى وحب لقاك لى و بنض لى الدنيا و عجل بتوبى ٢٠

وكن مؤنسى في وحدتى وملقتى إذا سأل السؤال يا رب حجتى
وخذي يدى وارحم من العجز وصفه ولا تخزى يا رب يوم الفضيحة
وهب لي علما نافعا أهتدى به إليك واسلك في سواء الطريقة
وسدد مقالى والفعال وعافى إلهى في الدارين من كل محنة
صل وبارك ما تغرد طائر على خير مبعوث إلى خير أمه

[حكاية تشتمل على فراق الأحبة]

١ حكاية تشتمل على ١ فراق الأحبة بالأسر والغربة . حكى أن
٢ الإفرنج دخلوا ٢ دارا بالإسكندرية حين ظهروا بها ، فوجدوا امرأة
بارعة الجمال ، فاحتارها كبيرهم لمسه . كانت أمها ساكنة بدار نقابل
١٠ دارها ، فلما رأت الإفرنج هجموا دار ابتها . ٣ خرجت من دارها
ودخلت دار ابتها ٢ من ٤ حرقتها عليها ، و توهمت * أنهم يقتلون^٦
ولا يحيوها^٧ ، فجعلت تقول : اقتلوني ولا تقتلوه . فقال كبيرهم : لسنا
نقتلك ولا نقتلها ، بل نحسن لك ولها ،^٨ وأما فقد^٩ أحببتها وأريد (ان^٩)

(١-١) مطموسة في بن ، ونهامش بر : حكاية و هنا يستأنف الكلام في كل
من برون .

(٢-٢) العارة مطموسة في بن .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : هي .

(٥) في بن : توهمت .

(٦) في بن : يقتلوه . والصواب في بن كما أوردنا بالنص .

(٧) في بن : يبقوها .

(٨-٨) في بن : وأتى قد .

(٩) لا وحود لها بالأصلين ، و أضفناها لاستقامة الجملة و السياق .

أحلبها معي تقيم ١ عندى سنة و أردھا ١ إليك ، و لا أمكن أحدا من
 نهب دارك و لا دارھا إكراما لها . قال لها ذلك ، و انتھا اترعد من
 خوفھا منهم و تبعد عنهم ، فتقدم ١ الإفريجي إليها سكن روعتها ، و مسح
 بأنامله ٢ عنرتها ٣ و قال لها : لا تخافى ١ ، لا تخزنى ١ ، سوف أردك بالهدايا
 إلى أمك . ثم قال لأمھا : افتحى كفك ٤ . فعد لها فيه خمسة و عشرين ٥
 دينارا استجلابا لقلبھا ، . لسان الحال يقول :

إن • الهدايا حلوة • كالسحر تجتذب القلوبا

تدنى البعيد من الهوى حتى تصيره قريبا

و لسان الحال أيضا يقول :

١٠ الهدايا 'الناس' بعضهم لبعض يولد فى صدورهم الوصالا

و يزرع فى القلوب هوى و ودا و يكسوم إذا حضروا جمالا

ثم قال ٦ : ' لا تخشى عليها . و حلف بدينه ٦ أنه يرسلها إليها . قالت ٧ :

(١-١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : يده .

(٣) فى بن : دمعنها .

(٤) فى بن : يدك .

(٥-٥) فى بن : الهدية الحلوة .

(٦) زيد فى بن : العرنجى لأمھا .

(٧) فى بن ٧ : فقالت له إذا .

فاذا أخذت مى^١ ابنتى ، ما^٢ تكون حيلتى إذا نهبوني أصحابكم ، و قتلوني
 بعد رواحكم^٣ ، فدفع^٤ لها شنيارا يعرف به و قال : اجعليه^٥ فى رأس
 قنطارية^٦ . [٢٥٩ : الف]^٧ و أظهرى الشنيار^٨ من طاق دارك ، تأمنى
 به بمن يقصد شارعك جميعه . فأخذت منه ذلك الشنيار ، و فى قلبها^٩
 ٥ من فراق ابنتها لب النار . ثم إنها ودعت ابنتها و تباكيا ، و لسان
 الحال^{١٠} يقول :

النوى قد أضرمت جمره فى أضلعي
 فترانى بعدم مستهما لا أعى
 مقلتى سعى دما بعد فيض الأدمعى
 كيف آوى بعدم فى ديار بلقى
 يالينا ارجى ثم عودى و ارجى

١٠

(١) ساططة من بن .

(٢-٣) فى بن : و ذهبت حاء غيرك من انفرنج سعدك نهبنى و قتل (وئى) .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : ضعيه .

(٥) فى بن : رمح .

(٦-٧) فى بن : و أظهره .

(٧) فى بن : حالها .

و اجمعى^١ شمل على شمل أحبابي معي
ثم أن البنت^٢ صارت حين مضيتها معهم^٣ تلتفت إلى أمها ، و تنأوه من
همها و غمها ، و لسان حالها يقول :
و^٣ سائل بمزجي عن^٣ وطني ما ضاق بي جانبه و لا بنا
قلت القضا ما لك أمر الققي من حيث لا يدري و من حيث دري^٥
لا بد ما يلقي امرء ما خطه ذو العرش بما هو لاق و وحا
ثم أن أمها^٤ لزمت^٣ الدار ، و أظهرت^٣ من الطاق^٥ الشنيار ، فأمنت
هي و جيرانها^٦ من معرفة الكفار . فلما أمن^٦ المسلمون بوصول^٤ النجدة
من مصر ، و تحصنت الإفرنج^٦ بمراكبها في البحر ، أتى زوج ابنتها
قلم يمجدها بداره ،^{١٠} و التهب بلهب ناره^{١٠} ، فسأل أمها عنها ، فأخبرته بما^{١٠}
جرى ، فانطرد عن جفنه الكرى ، و صار يضرب على صدره^{١١} يديه ،

- (١) في بن : فاجمعي .
- (٢-٢) في بن : سارت معهم و هي .
- (٣-٣) مطموسة في بن .
- (٤) في بن [١٩٦ : ب] أم الصبية .
- (٥) في بن : كوة دارها .
- (٦) في بن : و أهل شارعها .
- (٧) في الأصلين : أمنت .
- (٨) الكلمة مطموسة في بن .
- (٩) في بن : الفرنج .
- (١٠-١٠) ساقطة من بر و واردة في بن .
- (١١) في بن : وجهه و صدره .

و دمه اسائل على خديه ١ ، و لسان حاله يقول :

تقطعت الاوصال بالهجر و البين و سحت سحاب الدمع من أبحر العين
و ذاب الحشى من لوعة البعد و النوى و صاح غراب البين بالهجر و البين
ألا يا عذولى ٢ كم تلوم متيما رماه الجفا و الوجد حقا بسهمين
٥ أيسلوهم من أنحل الحب جسمه يود بأن يسعى إليهم على العين
و يذل ثم الروح فى حضرة اللقا يوفى نذورا ، النذور ٣ من الدين
ثم إنه هام بوحده ، و غاب ٤ عن رشده . و لسان حاله يقول :

زاد الغرام ٥ و هاج الشوق من ٥ حرقى فالقلب فى لطف ٥ و الجفن فى أرق
و لؤلؤ الدمع فوق الخد منتشر شبه العقيق بدا من أبحر الحدق
١٠ و صارم الهجر فى الأكباد قطعها و البين يرمى ٥ بسهم منه مر تشق
ركبت بحر الهوى غرا مصادقى عواصف الريح ٥ أشرفنا على الفرق

[حكاية العجوز النصرانية]

حكاية تشتمل ٥ على نهب مال و عدم أسر و قتل ٥ . حكى ٥ أن ٥ عجوزة
نصرانية [٢٥٩ : ب] كسيحة غنية تعرف ٥ ببنت القسيس ٥ جرجس بن فضائل تسكن
١٥ دارا حسنة ٥ البنيان ، عالية الأركان ، مجاورة لكنيسة موضع يعرف بالإسكندرية

(١-١) فى بن : جار من مقلتيه على خديه .

(٢) فى بن : يا عاذولى .

(٣) فى بن : و النذر .

(٤) الكلمة مطموسة فى بن .

(٥) بهامش بر : حكاية .

(٦-٦) مطموسة فى بن .

بقلزى^١ . فكسرت الإفرنج^٢ حين ظفروهم بها بابها^٣ ، ودخل لها عشرون^٤ علجا على كواهلهم القسى الموتورة^٥ ، وبأيديهم السيوف المشهورة ، فلما رأتهم جوار النصرانية ووصفانها فروا^٦ هربا منهم^٧ إلى سطوح الدار ، ولتلك^٨ الدار أبواب^٩ مجالسها منقوشة ، وأصحنها بأنواع الرخام مفروشة^{١٠} . فأروا العجوز جالسة مستقبلية الشرق . فقالوا لها : من تكونى ؟ قالت : ه عجز^{١١} نصرانية ذمية مقعدة^{١٢} . ثم أنها صلبت^{١٣} على وجهها باصبعا . فعلوا أنها صادقة^{١٤} فيما قالت^{١٥} ، ثم قالوا لها : أين الذهب والفضة ؟

- (١) انظر مجلة آثار الإسكندرية عدد ٣٤ ص ٧٣ فى تعريف الكلمة اليونانية Ekklysia = skklysia بمعنى كنيسة وقد ورد فى « نهاية الأرب » للنويرى (ج ١ ص ٣٨٢) : ومن المباني القديمة القليس وهى كنيسة كانت باليمن ، بناها أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء .
- (٢) مطموسة فى بن .
- (٣) فى بن : باب دارها .
- (٤) فى بن : عشرين وفى بن : العشر .
- (٥) فى بن : الموترة .
- (٦-٦) فى بن : هاربين .
- (٧) كذا فى بن ، والكلمة فى بن : تلك .
- (٨-٨) مطموسة فى بن .
- (٩-٩) فى بن : و صلبت .
- (١٠-١٠) فى بن : فى قولها .

فقلت : افي هذا الصندوق الذى ترونه . و رمت لهم مفتاحه ٢ ، قالت ٣
فوضعوا قسيهم إلى جانب حائط المجلس وفتحوا الصندوق أخذوا ما فيه
من ذهب وفضة وقماش ، ثم قالوا : وأين بقية المال أيضا؟ فقلت :
ليس عندى سوى ١ ما أخذتموه ، وصرت لأخذكم ٢ له فقيرة ٣ من فقراء
النصارى . قالوا ٤ : ومثل هذه الدار لك وتكونى فقيرة ؟ قالت ٥ : هى
حبس على هذه الكنيسة المجاورة لها ، ولا يحل لى أن أرجع فيها حبسته ١
ولا أبيعها بسبب فقرى خوفا من غضب المسيح على . فحيث أنظر بعضهم
إلى بعض وتركوها وخرجوا ١١ من الدار بما أخذوه ولم ١٢ يأسروا أحدا من ١١
عائنه من جواربها ووصفانها ١٢ الذين سعدوا هربا منهم ١٢ .

(١ - ١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : مفتاحه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : أين .

(٥) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٦) فى بن : غير .

(٧ - ٧) فى بن : فقير .

(٨) فى بن : فقالوا .

(٩) فى بن : فقلت .

(١٠) فى بن : ولا .

(١١) فى الأصلين : مما .

(١٢ - ١٢) فى بن : الذين هربوا إلى السطح .

[حكاية تشتمل على غنى بعد فقر]

حكاية^١ تشتمل على غنى بعد فقر ، و خلاص بعد أسر . حكى
 أن الإفرنج لما ظفروا بالإسكندرية ، دخلوا إلى دار وجدوا بها امرأة
 لم يكن عندها شيء يرضيهم أخذه ، وكان معهم شيء من النهب فوضوه
 في دارها ، وخرجوا ينهبون^٢ دور جيرانها ، وكل ما تحصل^٣ لهم شيء^٤ .
 أتوا به إليها^٥ ، فجعلوها كالحارسة لهم ، وقد انطبعت معهم بالكلام
 والمساعدة في تناولها منهم ، وفي شيل هذا وخط هذا ، كأنها تنصحهم ،
 فركنوا إليها لبشاشتها لهم^٦ ، وقولها لهم : إني^٧ محبة لكم وخذوني^٨ معكم
 انشرح في بلادكم ، وإن في ديار الإسكندرية المال الكثير^٩ ، والخير
 الغزير^{١٠} ، فاجمعوا^{١١} وأتوا به واحلون^{١٢} معكم ، وأصير جارية لكم^{١٣} ،
 وحارسة لامتعتكم . فخرجوا من عندها طامعين في مقالاتها . ففتشت المرأة

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢) في الأصلين : ينهبوا .

(٣) في بن : حصل .

(٤) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) في بن : محبتكم نخذوني .

(٧) في بن : الكبير .

(٨) في بن : الكثير .

(٩-٩) مطموسة في بن .

(١٠-١٠) في بن [١٩٧: الف] : وأصير لكم جارية .

التهب بعد خروجهم ، فوجدت خريطين مملوءتين مالا ، فحملتها و نزلت
 بهما من مكان بأعلا دارها إلى خربة بجوارها اختفت بها فلم^١ [٢٦٠ : الف]
 تزل^٢ مقيمة بتلك الخربة^٢ إلى أن أمنت^٣ على نفسها بدخول المسلمين^٣
 البلد ، فزال عنها بعد ذلك النكد ، و رجعت بما معها إلى دارها ، فصار لها^٤
 ، بذلك المال^٥ أحسن حال ، و أنعم بال ، فكانت مكيدتها^٦ ،^٧ بسبب
 حسن مخاطبتها ، وكانت حراستها سبب سعادتها ، وكانت حيلتها بمكرها
 و هربها سببا لعدم أسرها^٨ .

[حكاية حرجة مؤلمة مزعجة]

حكاية^٩ حرجة مؤلمة مزعجة . حكى أن نسوة اجتمعن بدار و معهن
 ١٠ رجلان^{١٠} حين ظفر الإفرنج^{١١} بالإسكندرية . وكان رجل له زوجة
 بتلك الدار^{١٢} ، فأتى إليها يخرجها معه من باب البر ، فرأى الإفرنج^{١٣} حالوا

(١) في بن : و لم .

(٢-٢) في بن : مخفية بها .

(٣-٣) في بن : الناس بدخولهم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : في .

(٦) عن بن ، و الكلمة في بر : ملاتها .

(٧-٧) في بن : و حراستها سبب سعادتها .

(٨) بهامش بر : حكاية .

(٩) في الأصلين : رجلين .

(١٠) في بن : الفرنج .

(١١) في بن : النسوة

بينه وبين الدار، فتجا بنفسه هرباً^١ منهم. فلما اطمأنت الناس، عاد إلى الدار^٢ فلم يجد فيها غير^٣ زوجته مطروحة^٤ وهي^٥ عريانة بجروحة وشتم بالدار رائحة كريمة، فستر زوجته ببعض ثيابه وسألها عن حالها وحال^٦ الرجلين والنسوة فأشارت إلى جهة بالدار، فشى ونظر فاذا^٧ الرجلان قتيلان^٨ ورأس امرأة مطروحة وجثتها كذلك، وقد علت^٩ رائحة تلك الجيف وانتفخت^{١٠} وأزرق، فعاد إليها وقال: أخبريني ما اتفق لكم. فقالت: دخلت لنا^{١١} الإفرنج^{١٢} بأيديهم السيوف المسلوطة، فأتى أحدهم إلى^{١٣} فلانة مسك يدها، فثرت^{١٤} يدها منه وقالت: ما أوحش وجهك، فرمى رأسها سريعاً بسيفه لغيظه من كلامها له^{١٥} واحتقارها إياه^{١٦}، فوقع رأسها بحجر فلانة، ورمت بقية الإفرنج رأس الرجلين^{١٧}، فارتعبن^{١٨} النسوة بما شاهدن ورأين^{١٩}، وأخذونا^{٢٠} سبايا بعد أن ربطواكم الواحدة بكم الأخرى، واستاقونا^{٢١} بين أيديهم. فدخلوا بنا^{٢٢} دار الصناعة، فقتلوا رأس بقر هناك^{٢٣}، وبضعوا لحمها^{٢٤}،

(١) في بن: هاربا .

(٢-٣) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٥) في الأصليون: الرجلين قتيلين .

(٥) في بن: علينا .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) في بن: فنتشت .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن: فارتعب .

وأتونا بقدر، فسلقنا لهم من لحمها . فأكلوا ورجعوا إلى البلد
 ينهبون^١ ، فبينما نحن جلوس وإذا بطائفة أخرى أتوا إلينا ، فأخذ كل
 واحد امرأة منا ، وأخذني^٢ منهم آخر^٣ . وصاروا يستحثونا في المشي
 يريدون^٤ المراكب ، فتضجرت من عنفه لي بسرعة المشي ، وكان قد شق بي
 بين قتلي المسلمين ، فلما رأي ولولت و تسخطت حنق^٥ على و ضربني
 بسيفه جرحني ، فوقعت^٥ على وجهي^٥ بين القتلى ، فعزاني بما^٦ كان على
 وتركني ومضى ،^٧ وصرت أنظر إلى الإفرنج^٧ يمرون على^٨ ويرجعون^٩ ،
 فلم أزل على تلك الحالة إلى أن رأيت طائفة من^{١٠} المسلمين يمرون متعجبين
 من قتلي المسلمين ، وإذا يبدوي على فرس ، فصحت^{١٠} [٢٦٠ : ب] به
 ١. صياحا خفيا ، فشعرت بي ، فتقدم إلى وكلمني فكلمته ، فزل عن فرسه
 ولقي بكساء ، واستوصف^{١٠} مني داري^{١٠} فوصفتها له ، فأردقني خلفه
 وسار بي إلى هنا ، فأنزلني وأخذ مني الكساء ومضى إلى حال سبيله ، وها أنا

(١) في الأصلين : ينهبوا .

(٢-٣) في بن : واحد منهم .

(٣) في الأصلين : يربدوا . وزيد في بن : بنا .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر : حذف .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦) في بن : ما .

(٧-٧) في بن : فصارت الفرنج .

(٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) مطموسة في بن .

كما ترانى . فتعجب زوجها مما اتفق لها ولاطفها ، فأقامت أياما يسيرة ،
و انتقلت بالوفاة إلى رحمة الله تعالى .

[حكاية تشتمل على فرج بعد أسر]

حكاية ^١ تشتمل على فرج بعد أسر ، وقرر بعد غنى ، وضلالة
بعد هدى . ^٢ قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : المؤمن فى الدنيا ^٣ أسير ه
ولا فكاك للأسير إلا باحدى ثلاث . إما بالحيلة ، وإما بالعناية . وإما ^٤ بالقديّة
مأخوذ من ^٥ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا بين المؤمن وشأن
المسجون التحديق بعينه ، و الاصفا بأذنيه ، ليعمل الحيلة فى فكاك نفسه
منها .

حكى أن امرأة من أسارى الإسكندرية أخبرت عن نفسها أن
الإفرنج ^٦ استأسرته حين ظفروهم بالإسكندرية ، فلما كانت ليلة الأحد
ثانى ليلة الواقعة ، اجتمعت جماعة من الإفرنج ^٧ فى مغارة بالجزيرة ظاهر
باب البحر معهم النسوة الأسارى ، قالت فكنت من جملة تلك النسوة ، فأتوا
بدجاج وأمروا النسوة ^٨ بطبخها فطبختها • وأكلوا هم ومن ^٩ منها ، وأحضروا

(١) بهامش بر : حكاية .

(٢ - ٣) مطموسة فى بن .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : الإفرنج .

(٥ - ٥) فى بن : يسلقها فسلقتها .

(٦) فى بن : ونحن .

الخمر فشربوا ، و عبثوا بالنسوة ، و رقدوا سكارى ، تعابا ، قالت المرأة :
 و كنت أتذكر ' حيلة أعملها لا تخلص من الأسر ، فعينت هناك قفة ٣
 مرزتها فوجدتها ثقيلة ، فحملتها ثم تخطيتهم و خرجت من المغارة ، وكانت
 الشموع بها مركوزة تقد . قالت : فلما صرت خارجها رأيته ليلة مظلمة
 مدلّمة ، فاخترقت الجزيرة في تلك الليلة المطيرة ، أنا خائفة ، من أن
 يدركنى ، منهم أحد ، فطلبت باب البحر ، فصرت اعثر في جثث القتلى
 إلى أن صرت داخل الإسكندرية ، فلم أزل ' ماشية بشوارعها إلى أن
 أتيت دارى ، فلم أجد فيها شيئا مما كان بها ، فجلست في أحد أركانها
 إلى قريب الفجر ، فحفت أن يأتى أحد من الإفرنج . يستأمرنى ثانيا ،
 ١٠ ففتحت القفة و جسيت ما فيها ، و إذا ' هى دراهم في خريطة كبيرة ، فحشرت
 و دفتها ، و خرجت أنظر مكانا خربا أختفى به ، فوجدت فرنا قد كسر
 بابه ، فدخلته و قصدت بيت النار ، فوجدته باردا و غطاؤه عليه ، فزحزحت
 الغطاء و دخلته و سدده بغطائه كما كان ، فلم أزل مقيمة به إلى أن سمعت
 صوت ' المؤذنين يؤذنون . فعلبت أن أهل الإسكندرية رجعوا ' إليها ،

(١) فى بن : سكارا .

(٢) فى بن : مفكرة فى . (٣) مطموسة فى بن .

(٤ - ٤) مطموسة فى بن . (٥) فى بن : الإفرنج .

(٦) فى بن [١٩٧ : ب] : فاذا .

(٧) فى بن : فزحزحت .

(٨) فى بن : أصوات .

(٩) فى بن : عادوا .

نفرجت مسودة الثياب [٢٦١ : الف] جائة الكبد ، فمشيت إلى أن
 أتبت دارى لآخذ من تلك الدراهم المدقونة شيئاً أشتري به ما تبلغ به
 ٢ فوجدتها محفرة^٢ الأرض ، ولم أجد الخريطة ، فحمدت الله تعالى وشكرته
 على السلامة من الأسر و الاسترقاق و البعد عن ٣ ديار الكفر ٣ و الإقامة
 بدار الإسلام ، و قلت الذى خلتصنى^٤ من الأسر لم يضيعنى ، فوقع فى ٥
 أهل البلد الوباء من رائحة^٥ تغير الهواء^٦ و رائحة^٧ جيف القتلى و فراغ
 ٨ الآجال ، فصار^٨ يموت فى كل يوم^٩ ما يزيد على المائة نفر^٩ ، فصرت
 غاسلة أغسل النسوان ، فحصل لى بذلك من المال ما^{١٠} استغنيت به^{١٠} عن
 ذل السؤال .

١٠ [حكاية المرأة المرتدة]

قال المؤلف " اعنى الله عنه و غفرله " ١ : أخبرنى الشيخ أبو عبد الله

(١) فى بر : شىء . و هى مطموسة فى بن .

(٢ - ٢) فى بن : فوجدت الأرض قد حفرت .

(٣ - ٣) فى بن : أرض الكفرة .

(٤) مطموسة فى بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بر : الهوى . و فى بن : الهواء .

(٧) فى بن : براثة .

(٨ - ٨) مطموسة فى بن .

(٩) فى بن : نفس .

(١٠ - ١٠) فى بن : رحمه الله تعالى .

ابن يوسف البغدادي معلم دار الطراز بالإسكندرية قال : قدم كتاب من قبرس عند قدوم رسل القبرسي إلى الإسكندرية مع بعض الأسارى اللقيين^١ أرسلهم صاحب قبرس^٢ بسبب الصلح^٣ أرسلته امرأة من أسارى الإسكندرية^٤ وهي تقول لأمها فيه^٥ : إني مقيمة بقبرس و أن المصاغ الفلاني دفنته^٥ في المكان الفلاني من الدار ، فاحفرى عليه واتفنى به ، ولا تطمعي برجوعي^٦ إلى الإسكندرية أبدا^٦ ، فاني وجدت راحتي بها . فقرحت أمها بوجود المصاغ الذي كانت تيقنت أنه أخذ^٧ كما أخذت^٨ ابنتها^٩ لتسد به^٧ فقرها وجوعتها ، وحزنت^٨ على ترك ابنتها لدين^٩ الإسلام ودخولها في دين الكفرة اللثام^{١٠} . و عدم رجوعها إلى الإسكندرية مع الأسارى ، و رضيت لنفسها الإقامة^{١١} بين النصارى ، فصارت^{١٢} باكية

(١) في بن : ورد

(٢) في الأصلين : الذي .

(٣-٣) ساقطة من برو واردة في بن .

(٤-٤) في بن : لأمها وهي تقول .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦-٦) في بن : مع .

(٧-٧) في بن : سدت بشمته .

(٨) في بن : و جزعت .

(٩) في بن : دين .

(١٠) في بن : الطغام .

(١١) في بن : بالإقامة .

(١٢) في بن : فصارت .

العين ، حريته القلب على فراق ابتها وكفرها بغربتها .
 وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب ارسال القبرسى تلك
 الأسارى إلى الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فانظر رحمك الله إلى المرأة
 الأولى كيف سعت في خلاص نفسها من النصارى الذين كانوا بالمغارة
^٢ وخروجها منها هرباً منهم بسعيها في ظلام الليل الممطر ، وتغريها
 بنفسها من يلحقها منهم يقتلها ، ودوسها في القتل ، ^٢ وإخفائها نفسها
 في فرن قد ^٣ تضمخت بسواده ^٤ حتى نجت من الكفرة الطغاة لتصير
 باقية على دين الإسلام . وانظر إلى المرأة الثانية كيف رغبت في دين
 الكفرة ^٥ ومعاشرة الفجرة ^٦ ، واختارتهم على دينها وأمها ووطنها لغرضها
 الفاسد ، ولعبها الزائد ، وإرادتها الفجور ، وشرب ^٧ الخمر ، وسماع حسن ^٨
 الناي والطنبور ، وكونها إلى النصارى ، وعدم رجوعها [٢٦١ : ب]

(١) في بن : في غربتها .

(٢ - ٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بر واردة في بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : بسوادها .

(٥) في بن : اللثام .

(٦) في بن : الكفار .

(٧) في بن : أشرار الفجار .

(٨) في بن : مع شرب .

(٩) كذا في بن ، والكلمة في بر : حسن .

مع الأسارى ، فصارت مرتدة ضالة بين الآثام . نعوذ بالله من الضلال والآثام ، ونسأله الوفاة على الإسلام ، وما جاء به نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

[حكاية المرأة المهتدية]

و سأذكر هنا ٢ ضد حكاية هذه المرأة المرتدة إن شاء الله تعالى ٣ . قال سيدى إبراهيم الخواص : طالتي نفسى فى وقت من الأوقات بالخروج إلى بلاد الإفرنج فخوفت نفسى فلم تكف ، وعملت على ٤ القاء الخاطرة ٥ فلم تنته ٦ ، فخرجت اخترق ٧ ديارها ، وأجول أقطارها ، والعناية تكنتنى ، والرعاية ٨ تلحننى ، لا ألقى نصرايا إلا أخض ناظره عى ، وتباعد منى إلى أن أتيت مدينة من مدنها . فاذا عند باب المدينة رجال معهم الأسلحة والمقامع ، فلما رأونى قاموا إلى وقالوا : أطيب أنت ؟ قلت ما تريدون ؟ قالوا ٩ . انسة الملك ضعيفة تداويها . فقالوا ١٠ عرفوه الشرط قبل أن تحملوه إليها . فقلت : وما

(١ - ١) واردة فى بن وساقطة من بر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣ - ٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : سيد الخواص .

(٥) فى بن : العلوج .

(٦ - ٦) مطموسة فى بن .

(٧) فى بن : تنته .

(٨) مطموسة فى بن .

(٩) كذا فى بن [١٨٩ : الف] ، وفى بر : قال .

(١٠) فى بن : فقال بعضهم .

هو الشرط ؟ فقالوا : قد أصابها اعتلال شديد ، و قد أعيا^١ الأطباء علاجها ،
و ما من طبيب دخل عليها ، و عالجها فلم يجد علاجاً إلا قتله الملك ، فانظر
لنفسك . ثم إنهم حملوني إليها و قرعوا الباب التي هي داخله ، فاذا هي
تنادي : ادخلوا بالطبيب . ففتح الباب ، فاذا بيت مبسوط بالرياحين ،
و إذا متر مضروب في زاوية البيت ، و من خلفه أنين^٢ ضعيف ، يخرج^٣
من هيكل نحيف . قال . فقمعت بازاء السر ، و أردت أن أسلم فدكرت
قول النبي صلى الله عليه و سلم « لا تدوا^٤ اليهود و النصارى بالسلام ،
و إذا لقيتموهم في طريق^٥ فاضطروهم إلى ضيق ، فأمسكت عن السلام ،
فنادت من داخل السر : أين سلام التودد و الإخلاص ، يا إبراهيم
الخواص . فعجبت من ذلك و قلت : من^٦ أين عرفتيني ؟ فقالت : إذا^٧
صفت القلوب و الخواطر ، أعربت الألسن عن مخفيات الضمائر . سألت^٨
البارحة رب العزة أن يقيض^٩ لي ولياً من أوليائه^{١٠} ، يكون لي على يديه
الإخلاص ، فتوديت إنا^{١١} سنرسل إليك إبراهيم الخواص . فقلت : ما خبرك ؟
فقلت : إن لي أربع سنين قد لاح لي الحق المبين ، فهو المحدث و الأنيس
و المقرب و الجليس ، مظهر بني أهلي الظنون ، و نسبوني إلى الجنون ، فما^{١٢}
دخل على منهم طبيب إلا أوحشني ، و لا زائر^{١٣} إلا أدهشني . قال : فينما

(١) في الأصلين : أعيا .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن : الطريق .

(٤-٥) الجملة مطموسة في بن .

(٥) في الأصلين : زائراً .

أنا أكلها ، إذا دخل شيخ قسيس موكل بها قد دخل عليها . فقال :
 ما فعل طيبيك ؟ فقالت ^٢ : عرف ^٣ العلة و أصاب الدواء ^٣ . فظهر عليه ^٤
 السرور ، و قابله ^٥ بالخطاب المبرور ^٥ ، و مشى ^٦ إلى الملك و أخبره ^٧ فأمره
 باكرامى ^٣ فبقيت أختلف إليها [٢٦٢ : الف] سبعة أيام . فقالت ^٣ :
 يا أبا إسحاق الهجرة إلى دار السلام ، لاستريح من رؤية الكفار الطغام ^٩ ،
 فقلت : و كيف يكون خروجك ^{١٠} ، و من يتجاسر عليه ؟ فقالت : الذى
 أدخلك على ^{١٠} ، و ساقك إلى ^{١٠} . فقلت : نعم . فلما كان من الغد ، خرجت أنا
 و إياها على باب المدينة ، فحجب عنا محجب العيون ، من إذ أراد أن يقول
 للشيء كن فيكون . فما رأيت أصبر منها على الصيام ، ولا أدوم على القيام ،
 ١٠ . و حاررت بيت الله الحرام ، سبعة أعوام ، ثم قضت نحبها ، و كان بمكة قبرها .
 فانظر إلى هذه المرأة من تلك المرأة الأسيرة ^{١١} المسئلة التى أقامت بقبرس ^{١١}

(١) مطموسة فى بن .

(٢) فى بن : قالت .

(٣-٣) الجملة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : على القسيس .

(٥-٥) كذا فى بن ، و فى بر : بالبرور .

(٦) فى بن : و مضى .

(٧) فى بن : فأخبره .

(٨) فى بن : يا إبراهيم .

(٩) كذا فى بن ، و فى بر : الطغاة .

(١٠) ساقطة من بن .

(١١-١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

كيف تخلت عن دين الإسلام ، و اختارت دين الكفار الطغاة ١ ،
و إلى هذه المرأة كيف ٢ رغبت في الدين القويم ، و اهتدت إلى الصراط
المستقيم ٣ : ” من يهد الله فهو المهتد و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا “ .

(١) في بن : اللام (اللثام !) .

(٢) في بن : التي .

(٣) مطموسة في بن .

(٤) قرآن كريم ١٨ : ١٦ - كذا في بر ، و الآية في بن : « انك لا تهدي من
احببت و لكن الله يهدي من يشاء » و هي من سورة القصص ٢٨ : ٥٦ . و
ريد هنا على بن ما يلي [١٩٨ : الف - ب] :

روى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل عند قبر و كان يراه كلما مر به
جالسا فقال : يا عبد الله أراك تكثر الجلوس بهذا القبر . قال : يا روح الله هو
قبر امرأتى كان من جهالها و موافقتها لي كيت و كيت و لي عندها وديعة . قال :
أتحب أن يحييها الله تعالى ؟ قال : نعم ، فصلى ركعتين و دعا الله تعالى ، فاذا رجل
أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق ، فقال له : من أنت ؟ قال : يرسل الله
أنا في عذاب مقدار أربعائة سنة ، فلما كان في هذه الساعة قيل لي : أجب فأجبت
ثم قال قد مر على من أليم العذاب ما (مطموس) . . الله تعالى أعطيه
عهدا أن لا أعصيه فادع الله تعالى لي . فرق له عيسى و دعا له ، ثم قال له :
امض . فمضى . قال صاحب قبر المرأة : يرسل الله قد غلطت بالقبر ، و أنما قبرها
هذا . فدعا عيسى ربه فخرجت (مطموس) بحيلة ، فقال : هذه
امرأتى ، فأخذ بيدها حتى انتهى إلى شجرة فنام تحتها و وضع رأسه في حجرها ، فمر بها
ابن الملك فنظر إليها و نظرت إليه فأعجبها و أعجبت ، فوضعت رأس زوجها =

[حكاية مروءة مع تغريز بالنفس]

حكاية تشتمل على مروءة مع تغريز بالنفس. أخبرني بعض المشايخ
قال: لما دخلت الإفرنج الإسكندرية حين ظفرهم بها، قفلت^١ داري،
و خرجت من باب السدرة بعيالي، وذلك قبل تمكنهم من البلد، ففكرت
في نفسي، و قلت^٢ من المصلحة رجوعي إلى الدار أحرسها^٤، فان
كان^٥ بقي في أجلى^٥ فسحة^١ سلت و سلت الدار من النهب، و إن
فرغ أجلى مت شهيدا^١ سعيدا، قال فرجعت أنا و صهرى أوثقنا الباب من
داخله بالآقفال، و أركزنا خشبة خلفه، و نقلنا حجارة ضخمة^١ ركزناها
وراءه، و صعدنا^١ إلى سطح الدار، نقضنا^١ من ستائره^١ حجارة صارت^١

= على حجر و تبعته، فاستيقظ زوجها، فقدم و طلبها فرآها فتنازع هو و ابن
الملك فيها، فبينما هو كذلك طلع عيسى فقص عليه القصة، فقالت: أنا حارية هذا
الفتى، تعنى ابن الملك، ولا أعرف هذا، تعنى زوجها. فقال عيسى لزوجها:
رد علينا ما أعطياك. قال: قد فعلت. فسقطت المرأة ميتة. فقال عيسى: هل
رأيتم رجلا أماته الله تعالى كإبراهيم بعثه قامن و امرأة أماتها الله تعالى مؤمنة
ثم أحيها مكفرت.

(١) مطموسة في بن.

(٢) في بن: قفلت.

(٣) في بن: قفلت.

(٤) في بن: لأحرسها.

(٥-٥) في بن: في الأجل.

(٦) في بن: و اتخذنا.

عدة زمرى بها من يأتينا منهم^١ ، فبينما نحن كذلك ، و^٢ إذا بالإفرنج^٣ قصدوا باب الدار و هو^٤ في زقاق اغسير نافدا ، فرميناهم من طاقتين^٥ بالحجارة على أعلى^٦ بابها^٧ ، فتركونا و مضوا من تتابع الحجارة عليهم . ثم عاودوا فعاودنا الرمي عليهم ففضوا آيسين منا بعد أن صاروا ينظرون^٨ هل يجدون^٩ مسلقا يتسلقون^{١٠} منه إلينا ، فلم يجدوا مكانا لعلو الدار . هـ قال^{١١} : فكان رجوعنا إلى الدار سببا لسلامتها من الإفرنج^{١٢} و العرب^{١٣} النهاية التي تنهب^{١٤} من الديار ، ما فضل عن الكفار ، و سلم^{١٥} بسبينا من^{١٦} كانت حولنا من^{١٧} الحار^{١٨} ، و رجعت العيال إلينا سالمين ، فصرنا لربنا

(١) الكلمة مطموسة في بن .

(٢-٣) العبارة مطوسة في بن .

(٣) في بن : و هي .

(٤-٥) في بن : على بابها بالحجارة .

(٥) في الأصل : أعلا .

(٦) في بن : ينظروا ، و في بن : يتأملوا .

(٧) في الأصلين : يجدوا .

(٨-٩) في بن : مسلكا يتوصلون .

(٩) ساقطة من بن .

(١٠) في بن : الإفرنج .

(١١) في بن : نهبت .

(١٢) في بن الجيران .

حامدين و شاكرين^١ ، فلو أن أهل الإسكندرية أقاموا بديارهم ، و رموا
 على^٢ الإفرنج بحجارهم ، كما فعل الشيخ و صهره^٣ ، و كما فعل ابن نخالة المتقدم
 ذكره بشارع المحجة ، ما كانت الإفرنج^٤ تصل منها إلى^٥ بيضة عجة^٦ ،
 و كان قد^٧ سلم من الأسر النساء و الرجال ، و الاماء^٨ و الأطفال ،
 ٥ إذ كانت عدة^٩ [٢٦٢: ب] الإفرنج^{١٠} على ما قيل ستة عشر ألفا^{١١} ، و أهل
 الإسكندرية نحو مائة ألف ، و الكثرة بعون الله تعالى تغلب القلة^{١٢} . و كما^{١٣}
 قال الشاعر :

لا تقابل بواحد أهل بيت فضيعان يغلبان قويا^{١٤}

لكن أهل الإسكندرية لم يتقدم لهم قبل ذلك الوقت مع الإفرنج قضية ،
 ١٠ بل كانوا مدة^{١٥} طويلة هم و آباؤهم^{١٦} في عافية ، فلما رأوا ما حل بهم

(١) في بن : شاكرين .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن الفرنج .

(٤ - ٥) في بن : شئ .

(٥) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٦) في بن : هذه .

(٧) في الأصل : ألف ، و في بن : ألف نفس .

(٨) في بن : القوة .

(٩ - ١٠) مطبوعة في بن .

(١٠ - ١١) في بن : سنين كثيرة .

من الداهية ١ ، ٢ فزعوا فتركوا ٢ ديارهم مقفولة ، حين ٣ رأوا سيوفهم ٤
مسلولة ، و شرد كل أحد من البلد فارع ، و عقله من الخوف جازع ،
فخرجوا من الابواب شاردين ، و إلى البر طالين ، فتمكنت من نهب
دورهم الإفرنج * الكافرون ٦ ، ٧ و قتلوا من وجدوه بها مقيم ٧ ، من
الرجال و الحرير ، و كان ذلك بتقدير العزيز العليم . و لله در القائل ٥
٨ حيث يقول :

قالت ٨ أبحت سرّ كنت تكتمه و صار شرك بين الناس مبذولا
فقلت يا هذه دمي أباح به ليقضى الله أمرا كان مفعولا
فانظر إلى أرباب المروءات ، كيف يلقون أنفسهم للهلكات ، كفعل الشيخ
و صهره ، إذ حمى كل ٨ واحد منهما ظهر الآخر بظهره ، فالشجاع يحمى ٩
نفسه و جاره ، و الجبان تقتله الأعداء و تنهب داره .

(١) زيد في بن : الدماء .

(٢-٢) في بن : تركوا .

(٣) في بن : لما .

(٤) في بن : سيوف الفرنج خلفهم .

(٥) في بن : الفرنج .

(٦) في الأصلين : الكافرين .

(٧-٧) في بن : و اسروا من وجدوا منهم . و صحته بر « مقبلا » تركناها للسجع .

(٨-٨) ساقطة من بن .

[حكاية تشتمل على قوة قلب و تعزيز بالنفس]

حكاية تشتمل على اقوة قلب و تعزيز^١ بالنفس . حكى ابن
 بعض المغاربة أقام هو و عياله بداره حين ظفر الإفرنج بالإسكندرية ، فينما
 هم كذلك و إذا^٢ بالإفرنج ٣ ٤ أتوا بشارعهم^٤ ، فصادفوا فيه رجالا من
 ٥ المسلمين قتلهم ، و كسروا أبواب^٥ دور به^٥ نهبوا غير دار المغربي
 لاستغنائهم بما أخذوه من تلك الدار^٦ ، فحمل كل واحد منهم^٧ ما أثقله
 حمله و مضوا^٨ . فقال المغربي : ' إن كنا سلينا من هؤلاء لم^٩ نسلم من
 غيرهم ، و كان ينظر إلى فعلهم من تابوت ' خشب بطاقة بداره^{١٠} ، فترى
 عند مضيههم فتح باب داره^{١١} ، جر قتيلا^{١١} مسلبا ألقاه^{١١} بدهلز داره^{١١} ،
 ١٠ و جر قتيلا آخر ألقاه على عتبة^{١٢} بابها ، و ترك باب الدار مفتوحا ،
 و دخل و غلق باب قاعة الدار عليه و على عياله ، و صعد ينظر^{١٣} إلى

(١ - ١) العبارة ساقطة من بن .

(٢) مطبوعة في بن [١٩٩ : الف] .

(٣) في بن : بالفرنج .

(٤ - ٤) في بن : قد أتوا إلى شارعهم .

(٥ - ٥) في بن : دويرة .

(٦) في بن : الدور .

(٧) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) في بن : فلا .

(١٠ - ١٠) في بن : بالدار .

(١١ - ١١) في بن من تلك القتلا فآلقاه .

الشارع من ١ التابوت الخشب المحرم ، فصارت الإفرنج ٢ تمر عليه ٣ بالشارع ، فيجدون باب تلك الدار مفتوحا والقتلى به ، و في الشارع أيضا قتلى مطروحة ، والأبواب مفتوحة ٤ ، فيتوهموا أنه لم يبق بذلك الشارع داره إلا ٥ و قد نهبت ٦ ، و لا رجال إلا ٧ و قد قتلت ٨ ، فيتركونه و يمضون إلى شارع ٩ غيره . فلما اطمأن المغربي [٢٦٣ : الف] بدخول المسلمين ٥ البلد ، ألقى تلك القتلى التي بدليلز داره و على بابها ١ في الشارع ، و سلم هو و عياله من القتل و الأسر و النهب و الفرار مع من ٩ فر من أبواب البر .

[حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة]

حكاية تشتمل على فزع و جزع و فرج بعد شدة و هلع و غير

ذلك من ١٠ الواردات المستطردات ١٠ . حكى أن الإفرنج ١١ لما ظفروا ١٠ بالإسكندرية ، و خرجوا ١١ منها بعد أن أوقروا مراكبهم بأموالها و أثاثها ٨

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : الفرنج .

(٣) ساقطة من بر ، و واردة في بن .

(٤) في بن : مفتحة .

(٥) في الأصليين : دارا .

(٦-٦) في بن : ونهبت .

(٧-٧) في بن : و قتلت .

(٨) ساقطة من بن .

(٩) زيد في بن : قد .

(١٠-١٠) في بن : الاستطردات .

(١١-١١) مطموسة في بن .

و أسراها، و رجعت أهلها الفارون^١ منها حين الوقعة إليها، أتى رجل منهم إلى باب^٢ داره، فوجد والدته بها^٣ صحيحة الجسم،^٤ سليمة من الجراح^٥، و مقنعتها و ثيابها مضمخة بالدماء، فتعجب من ذلك و قال: ما هذه الدماء التي أراها بثيابك و مقنعتك التي^٦ على رأسك^٧، و ليس بك جرح و لا ألم؟ فقالت: خبري عجيب، و أمرى غريب. فقال لها: أخبريني و بحالك. حدثيني. فقالت: اسمع حديثا ما طرق أذنك أبدا، و لا سمعه مني إلى الآن أحد^٨. فقال: بثيه و اذكره، و على^٩ يا أماه قصيه. قالت: نعم^{١٠}، و ذلك أن الإفرنج^{١١} لما أتوا إلى^{١٢} شارعنا، و أنا أنظر إليهم من كوة^{١٣} دارنا، أيقنت^{١٤} أنهم لم يتركوني، إما أن يقتلوني^{١٥} أو يأسروني، فكسروا باب دار فلان و دخلوها، فبادرت و خرجت من باب^{١٦} داري، و مضيت أطلب مكانا أختنى فيه^{١٧}. فدفعت باب دار فانفتح فدخلتها، و صعدت من سلمها، فتوصلت منه إلى غرفة ليس بها سوى عجوزة كبيرة السن^{١٨} جالسة على سرير، فلما رأتني قالت: اصعدى

(١) في بن: الفارين . (٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن: برأسك .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦) في الأصلين أحدا .

(٧) في بن: الفرنج .

(٨) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٩) في بن: طاق .

(١٠) مطموسة في بن . (١١) في بن: به .

عندى لأنى هاهنا وحدى ، وقد حصل لى ولها الرعب من جهة الإفرنج^٢ فى الشوارع . قالت فلم يعجبنى^٣ جالوسى معها على السرير ، بل^٣ انحنيت و دخلت تحته ، فبينما نحن كذلك وإذا بالإفرنج^٢ سعدوا إلى الغرفة ، فحين رأوا العجوز^٣ جالسة على السرير^٣ ، ولم يحدوا^٤ بالفرقة ما يأخذونه ، اختطفها سيوفهم ، فصار دمها يسيل على رأسى و وجهى و ثيابى ؛ وأنا^٥ خائسة مرتعبة^٥ ، فلو رأونى ، كانوا بها الحقونى ، و بسيوفهم هبرونى . ثم أنهم ولوا راجعين ، فبقيت بمكانى جالسة مرعوبة خائفة ، لا أقدر على حركة ، بل صار قلبى يضطرب كاضطراب السمكة ، فلم^٦ أزل مقبلة بذلك المكان ، حتى سمعت الأذان ، فعلبت أن الناس رجعوا من فرارهم إلى ديارهم ، فأتيت إلى دارى ، فلم أجد بها قليلا ولا كثيرا ،^{١٠} ولا جليلا ولا حقيرا^٧ ، فحصل لى الخوف الشديد من معاينة الإفرنج^٢ و قتلهم للمرأة و سيلان دمها على و استنشاق^٨ لرائحة جيفتها حين جافت ،

(١) فى بن : هجمة .

(٢) فى بن : الفرنج .

(٣-٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : يروا .

(٥) فى بن : مرعوبة .

(٦) فى بن : ولم .

(٧-٧) ساقطة من بن .

(٨) فى بن : و انتشاق .

و رؤيتي [٢٦٣: ب] حين خرجت من تحت السرير إلى صفة ما فعل بها ، و تفكرى فى أمرك ' هل أنت ' قتيل أو أسير ؟ مع حزنى على ضياع سترتنا ' المنهوبة من دارنا . فأى عجب أعجب بما رأيت ، و أى خبر أغرب عما وصفت ؟ فقال لها : صدقت . ثم أنه الآخر حدثها بما جرى عليه من فراره ' من الإفرنج مع من فر ، و هم تابعونهم ' بسيوفهم المجردة عند خروجهم من الباب ، وكيف كان ' المسلمون ' يدوسون بعضهم بعضا من شدة الزحام إلى أن صار بعضهم موتى ١٠ من ذلك ، مع ما أخبرها بجوعه و إفلاسه ، و خفائه لضياع مداسه ، و خطف العرب لعمامته التى على رأسه . فقالت : يا بنى ما أظن أحدا فى هذه الدنيا ١١ مستريحا ١٠ و لا مريحا ' . فقال لها : و لا الرجل الذى حسد الكلب على النباح .

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) عن بن ، و الكلمة فى بر : أمرى .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) فى بن كذلك ، و فى بر : قتيل أو أسير .

(٥) عن بن ، و فى بر : سترتها .

(٦-٦) فى بن [١٩٩ : ب] : له فى فراره .

(٧) فى الأصليين : تابعينهم .

(٨) فى الأصليين : كانت .

(٩-٩) عن بن ، و فى بر : تدوس بعضها .

(١٠) فى بن : ميتا .

(١١-١١) فى الأصليين : مستريح و لا مريح .

فقلت : العجب العجاب و من يحسد يا ولدى ^١ الكلاب . قال ^٢ : أما سمعت خبر الرجل الذى طلبه الحجاج ليقتله فهرب منه فى كل الفجاج ؟ قالت : و ما ذاك حدثنى بحديثه .

[حكاية عن الحجاج بن يوسف الثقفى]

قال ^٣ كان الحجاج بن يوسف الثقفى أميرا على العراق ، و كان ^٤ سفاكا للدماء ، و يقول أكبر لذاتى سفك الدماء ^٥ ، و جريها ^٦ على الأرض كالماء ^٧ . فقتل ^٨ من الناس ^٩ كثيرا ، حتى من الصالحين ^{١٠} والعلماء ، يخاف الرجل منه حين طلبه ليقتله ، فصار هاربا منه ^{١١} يمينا و شمالا ^{١٢} لا يستقر بقرار ، و لا يقيم بيت ^{١٣} و لا دار ^{١٤} ، و لا يأوى بمكان

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) فى بن : فقال .

(٣) زيد فى بن : نعم .

(٤) ساقطة من بن .

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) فى بن : و جريانها .

(٧) فى بن : بكروى الماء .

(٨) عن بن ، و فى بر : الصالحين .

(٩) فى بن : انه قتل الصالحا .

(١٠ - ١٠) العبارة ساقطة من بن .

(١١) فى بن : يبلد .

(١٢) فى بن : ديار .

ولا يطمن إلى إنسان ١ ، بل صار ٢ بعيدا عن سكنه ، بعيدا عن وطنه .
 فر بكلب بين جنتين ٣ يقطر عليه ماؤهما . فقال : ليتنى كنت ٤ مثل هذا
 الكلب في الراحة و الأمن . فما لبث ٥ أن مر به ذلك الكلب ، و في
 عنقه . حبل و هو يجر ، و عليه آثار الشر . فسأل عنه فقال : جاء
 ٥ كتاب الحجاج إلى . الولاة و الكتاب ٤ بقتل الكلاب ، في كل الفجاج
 فقال . الرجل ٥ : إذا ليس في الدنيا مستريح ، و هج على وجهه في الفلا ٦
 خوفا ٧ أن يضرب ٨ بسيف الحجاج مندرجا ٩ في جملة القتلى . ٩ و أنشد
 يقول ٩ في المعنى :

كل من أشكو له قصتي لم ألاق غير ذي قلب جريح
 ١٠ يتشكى مثل شكواي ١٠ له يا لقومي ما عليها مستريح

(١ - ١) في بن : يطمأن لإنسان .

(٢) في بن : صار .

(٣) كذا في بر ، و في بن : حسي ، و نقطها ناقص و المعنى غير واضح .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) مطموسة في بن .

(٦) في بن : الفجاج .

(٧) ريد في بن : من .

(٨) كذا في بن ، و الكلمة في بر : يسير .

(٩ - ٩) في بن : فاشد لسان حاله .

(١٠) في بن : شكواي .

فقلت المرأة لولدها^١ : يا بني^٢ وكيف أن الحجاج يقتل العلماء والصالحين ،
أما يخشى عقاب رب العالمين ؟ قال : لو كان فيه بعض الخير^٣ ما قتل سعيد^٤
ابن جبير سيد العلماء وقدة الصالحين^٥ والاتقياء . فقلت : بالله حدثني ،
وبخبره^٦ معه^٧ عرقى .

قال^٨ بلغني أن سعيد بن جبير كان عبدا لرجل من بني أسد ه
[٢٦٤ : الف] فاشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد فأعتقهم أجمعين .
فكان سعيد بن جبير أفضل أهل المدينة^٩ فقها وزهدا ، فخرج مع
عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، فلما انهزم ابن الأشعث إلى أصبهان
هرب سعيد بن جبير إلى مكة . فقيل لسعيد : ما أوجب خروجك على
الحجاج ؟ قال : سمعته يقول - أليس خليفة أحدكم^{١٠} في أهله خير من
رسوله إليهم ؟ يعنى به أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان . فقلت :

(١) ساقطة من بن .

(٢-٣) في بن : أما كان رجل مسلم ، قال نعم هو الحجاج بن يوسف بن
الحكم بن عامر بن غروة بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم كان
في الحجاج خير ما قتل - الخ .

(٣) في بر : لسعيد . وهى كذا في بن .

(٤) في بن : الصلحاء .

(٥) زيد في بن : يا بني .

(٦) مطموسة في بن .

(٧) زيد في بن : نعم .

(٨) في بن : الدنيا .

‘ الله على لا أصلي خلفه ’ صلاة أدا ، ولئن وجدت قوما يقاتلونه لا قاتلته معهم . قال أبو حصين فبلغنا أن خالد^٢ القسري قد أمر على مكة . فقلت يا سعيد إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل سوء ، وأنا أخاف عليك منه . قال سعيد : يا أبا حصين قد والله^٣ فررت حتى استحييت من الله تعالى ، مرحبا بما كتب الله لي . قلت^٤ : أظنك والله سعيدا كاسمك . فكتب الحجاج إلى خالد القسري بطلبه ، وذكر عن عون بن أبي شداد قال ذكر سعيد بن جبير عند الحجاج ، فدعا^٥ قائدا من أهل الشام- يقال له المتلس بن الأخوص^٦ الثقفي وعشرين رجلا من ثقة^٧ أصحابه ، وأمرهم بطلب سعيد بن جبير ، وكتب معه كتابا إلى خالد القسري وهو إذ ذاك أمير على^٨ مكة يأمره بالقبض عليه وتسليمه إلى رسله مستوثقا به ، فطلب سعيدا فوجده قائما يصلي في الحجر ، قال المتلس^٩ : فرأيت أحسن الناس وجها^٩ وأفصحهم لسانا ، له^٢ وفرة إلى شحمة^٣ أذنيه .

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : قال .

(٥) عن بن ، وهي في بر : فدعى .

(٦) في بن [٢٠٠ : الف] : الأخوص (بدون نقط) .

(٧) في بن : ثقات .

(٨) زيد في بن : ابن الأخوص .

(٩) ساقطة من بر واردة في بن .

لم أر مثل هيئته و لا مثله لرجل من أهل زماننا . قال : فأخذته فانطلقت^١ به حتى نزلنا^٢ ماء لبني أسد . فقال : بهذا الماء جماعة من أهلي ، فأتت رأيت أن تطلق عني هذا الحديد . قال^٣ فأطلقت عنه حديدة ، فقال لك الله تعالى^٤ عليّ أن أرجع إليك . فلما كان في آخر النهار ، أتاني فأوثقته بحديده ثم مضينا . قال فأدركنا المساء ، عند صومعة راهب ، هـ فأشرف علينا الراهب وقال : اصعدوا الدير فإن حوله أسودا أخشاها عليكم . فصعدنا وأبى سعيد أن يدخل الدير ، وقال : والله لا أدخل بيت مشرك أبدا . قال : فانا لا ندعك^٥ فان السباع تفتلك^٦ . قال : فان معي ربي^٧ سبحانه و تعالى سيصرفها عني ، و يجعلها حرسا حولي ، فصعدنا و تركناه ، فاذا بلبوة قد أقبلت حتى دنت منه ، فمسحت به ، ١٠ وربضت^٨ قريبا منه ، و أقبل^٩ الأسد فصنعوا به مثل ذلك^{١٠} . فلما رأى الراهب ما رأى من طاق صومعته نزل إليه و قال له : أنبي أنت ؟ قال : لا ولكنني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب . قال : فسأله عن شرائع

(١) في بن : و انطلقت .

(٢) زيد في بن : على .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) كذا في بن ، وهي في بر : الليل .

(٥-٥) في بن : فأكلك السباع .

(٦-٦) في بن : فقال إن معي الله .

(٧) كذا في بن ، و الكلمة في بر : و ربطت .

(٨-٨) في بن : الأسد فصنع مثله ذلك .

١ دينه . [٢٦٤ : ب] قسر^١ ذلك كله ، وأسلم الراهب على يديه .
ثم أن الرسل ساروا بسعيد حتى أتوا إلى مدينة واسط^٢ بعد أن
عرفوا بركته وحراسة السباع له ، فلما أشرفوا به على واسط^٣ قالوا :
ليتنا^٤ لم نرسل إليك ولم نرك^٥ ، فاعذرنا^٦ عند ربك . قال سعيد :
ما أعذرنى لكم وأرضاني بما سبق من علم الله في ، فهل لكم أن^٧ تتركوا
سبيل^٨ حتى أنزود ابقية ليلتي من الدنيا ، فخلوا سبيله^٩ ، ففعل رأسه
وبدنه ومدرعته وكساه . فلما انشق عمود الصبح ، دخلوا به على الحاجاج
اقبال : ما اسمك أيها الرجل ؟ قال : سعيد بن جبير . قال : بل أنت
شقي بن كسير . قال : أمي كانت أعلم باسمي منك . قال : شقيت وشقيت
١٠ أمك . ثم قال له^١ : لا بدلنك بدنياك^٢ نارا تطفى . قال : لو علمت أن
ذلك بيدك لا اتخذتك إلها . قال : ما قولك في محمد ؟ قال : نبي الرحمة
ورسول^٣ صلى الله عليه وسلم ، ختمت به الرسل . قال : فما تقول في
علي بن أبي طالب ؟ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال : لو دخلت الجنة
عرفت من فيها . قال : فما تقول في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل .
قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم للخلاق بعلمه الذي يعلم سرهم

(١-١) مطموسة في بن .

(٢) مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : ليت أنا .

(٥-٥) في بن : تتركوني .

(٦) ساقطة من برو واردة في بن .

و بجوام . قال : فأى الرجل أنا ؟ قال : أنا أهون ، على الله من أن يطلعنى على غيبه . قال : أبيت أن تصدقنى . قال : بل لم أرد^١ أن أكذبك . قال : الويل لك يا سعيد . قال^٢ : الويل لمن زحزح عن الجنة و أدخل النار . فقال له الحجاج : ألم أقدم الكوفة و لم^٣ يؤم بها الأعرابي فجعلتك إماما ؛ قال^٤ : بلى ؛ قال : ألم أوليك القضاء^٥ فضج أهل الكوفة هـ و قالوا لا يصلح للقضاء إلا العربى فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعرى^٦ و أمرته أن لا يقتنى أمرا دونك ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ما أعطيتك خمسمائة^٧ درهم فقرقتها فى أهل الحاجة^٨ فى أول ما رأيتك ثم لم أسألك^٩ عن شيء منها ؟ قال : بلى ؛ قال : فما بالك لم تضحك قط ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق من طين ، و الطين تأكله النار^{١٠} ، و لا يدرى بعد ذلك أيصبح الموت أم يمسيه ؟ و كان الحجاج رقيقا عليه ، و رجلا له كل من حضر الخلاص من بين يديه . ثم قال له الحجاج^{١١} : فما أخرجك على ؟ قال : بيعة كانت لعبد الرحمن بن الأشعث فى عنق . قال فغضب

(١) فى بن : اهر .

(٢) فى الأصلين : اريد .

(٣) مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : و ليس .

(٥) فى بن : مائة الف .

(٦-٦) كذا فى بن ، و الجملة فى بر : لم أسئلك .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : الناس .

(٨) ساقطة من بن .

الحجاج حتى زال رداؤه عن منكبيه وقال ١ : أو لم تتقدم في عنقك
 بيعة ٢ ٣ أمير المؤمنين ٣ عبد الملك 'بن مروان' من قبل ؟ ثم قال :
 يا شقي اختر لنفسك قتلة أقتلك . قال له : بل 'اختر لنفسك فان القصاص
 أمامك . قال : والله لا عجلتك إلى النار . قال : لو علمت أن ذلك
 ٥ [٢٦٥ : ألف] بيدك لا اتخذتك إلها . قال فاغتاظ عليه الحجاج* وقال :
 اقلوه ١٦ قال : أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله . ثم
 ضحك ، فقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جرأتك ٦ على الله و من
 حلم الله تعالى عنك ٧ ، و أنا أسأل الله تعالى بعزته و سلطانه أن لا يسلطك
 على قتل ٢ أحد من المسلمين بعدى ٨ ، و أكون فداء المسلمين أجمعين ، فهذه
 ١٠ دعوتى عند قتلتى ٩ . قال فلما أراد قتله ، استقبل القبلة و قال : "وجهت
 وجهى للذى فطر السموات و الارض حنيفا و ما انا من المشركين ١٠" .
 قال الحجاج : حولوا وجهه عن القبلة ، قال : "فاينما تولوا فثم وجه الله ١١" .
 قال فأمر به فأضجع و قال : كُتِبَوه على وجهه . فقال : "منها خلقكم ،
 و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى ١٢" . قال : اذبجوه من قفاه ١

(١) في بن : قال . (٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن : أمير المعين .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) الكلمة ساقطة من بر و واردة في بن [٢٠٠ : ب] .

(٦) مطموسة في بن . (٧) في بن : منك . (٨) في بن : بعد .

(٩) في بن : قتلى . (١٠) قرآن كريم ٦ : ٧٩ .

(١١) قرآن كريم ٢ : ١١٥ . (١٢) قرآن كريم ٢٠ : ٥٥ .

قال قذبح لجرى منه دم عظيم استكثره كل من حضر و هالمهم ذلك .
 فقال الحجاج : هذا لاجتماع نفسه و أنه لم يجرع من الموت و لاهابه
 ما فعلت به ، و غيره نقتله و هو مفتوق النفس ، فيقل^١ دمه لذلك . ثم
 أنهم^٢ فقتشوه فوجدوا في ثوبه ثلاثة عشر درهما ، فاختمهم فيها الذي قتله
 ٣ و الذين جا(ءوا) ٣ به ، فقتل بينهم^٤ الحجاج للذي قتله . و اختلط
 عقل الحجاج في الوقت ، فجعل يقول : " قيدونا ثم قيدونا " . فلم يعلموا
 ما الذي أراد ، فقطعوا ساقى سعيد من أنصافها بالقيود التي كانت عليه ،
 و حزوا عنقه^٥ إلى أن بان رأسه عن جسده ، و كان قتل سعيد بن
 جبير و هو ابن سبع و أربعين سنة .

و قيل لما بلغ الحسن البصري قتله قال : اللهم يا قاصم الجبابرة ١٠
 اقصم الحجاج . فلم يعيش الحجاج^٦ بعد قتل سعيد بن جبير إلا^٧ ستة
 عشر يوما^٨ . و وقعت أكلة في بطنه ، و دعى^٩ بالطبيب لينظر إليه ،
 فأخذ لحما و علقه في خيط إريسم و شرّحه في حلقه و تركه ساعة ثم
 استخرجه^{١٠} و قد لصق به دود كثير ، و سلط الله^{١١} عليه الزمهرير ،

(١) مطموسة في بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) كذا في بن و بعضها مطموس ، و هي في بر : و الذي جاء .

(٤) في بن : فيها .

(٥-٥) في بن : قيودنا قيودنا .

(٦) كذا في بن ، و الكلمة في بر : برأسه .

(٧-٧) مطموسة في بن .

(٨) زيد في بن : تعالى .

فكانت الكوائن تحمل حوله مملوءة نارا ، و تدنى منه ^١ حتى يحترق جلده ^٢ ، و مُنع من النوم ، فاداهم أن يغنى ^٣ و ثب مذعورا و قال : ما لي و لسعيد ^٤ بن جبر . و أرسل في طلب الحسن ^٥ الصرى ، فأتاه فشكى ^٦ إليه ما نزل به . فقال الحسن : قد نهيتك أن لا تتعرض للصالحين . فلتحت ليقضى الله أمرا كان معمولاً . و خرج الحسن من عنده فسل عنه فقال : دخلت عليه و قد تغير لونه ، و غارت عيناه من ^٧ السهر ، و احترقت ثيابه ، و تسلى جلده من حر النار في تسعة كوائن حوله ، فكلمني و قد ضعف و بحج صوته ثم قال : [٢٦٥ : ب] يا حسن ألا أسألك ^٨ أن لا . تسأل الله أن يفرج عني ، و لكن أسألك ^٩ أن تسأله أن يقتص مني . و يقبض روحي و لا يطيل عذابي ، و يفعل بي ما شاء . قال فبكى الحسن بكاء شديدا . و أقام الحجاج بهذا الحال خمسة عشر يوما و مات . ^{١٠} فقال الشاعر :

و من عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا و أنت تسير
تسير الليالي بالفتى ^{١١} لا يحسها ^{١٢} من الناس إلا عاقل و بصير
١٥ فسيرك يا هذا كبير سفينة يقوم جلوس و القلوع تطير

(١) مطموسة في بن .

(٢) في بن : يغفا .

(٣) في بن : مشكا .

(٤) كذا في بن ، و الكلمة في بر : أسئلك .

(٥) ساقطة من بن . كذا من بر و هامشها ، و لعل الصواب « لا أسألك أن

تسأل الله أن يفرج عني و لكن الخ » .

(٦-٧) مطموسة في بن .

فلا تطلب الدنيا بطول غنائها فتأى إلى الأخرى وأنت فقير
أما تنظر الحجاج من بعد ظله و كثرة أموال له وقصور
غدا للثرى بالذل من شؤم ظله وصار حديثا في الآفام فكبر
ونظرت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج إلى الحجاج مُسَبَّحًا
وهو ميت فقالت :

٥
ألا يا أيها 'الجسد المسبَّح' لقد قرت بمصرعك العيون
و كنت قرين شيطان رجيم ٣ فلما مت أسليك القرين
وقيل إن هند هذه لها معه أخبار منها أنها ولدت منه ولدا، فلما رآه
ذمه بكل ذم قبيح ، فأنشدته تقول :

١٠
و هل هند إلا مهرة * عرية سليلة أفراس تحللها بغل
فلما سمع ذلك منها طلقها لوقتها ، ودفع لها صداقها مائتي ألف درهم،
ولحقت بقومها^٦ ، فأرسل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خطبها

(١) يمكن قراءة الكلمة في بر « مسبحا » ولكن بمقارنتها مع بن يظهر بوضوح
أنها « مسبحا » أو « مسجى » بمعنى « مغطى » .

(٢) في بن : أيها .

(٣) في بن : صريد .

(٤) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٥) كذا عن بن [٢٠١ : الف] ، و الكلمة في بر : مرأة .

(٦) زيد في بن : بعد أن هجته بأبيات منها :

و إن جياذ الخيل وهي صواهل مطايا لأبناء الحير النوا (حق)

وفي الأصل « الحمر » و كلمة « النواهي » آخرها ضائع في الترميم ، انظر النص
فيما بعد .

بعد وفاء^١ عدتها ، فأرسلت تقول له : شرطى يا أمير المؤمنين بعد صدأى
 أن تأمر عاملك الحجاج أن يأخذ بزمام ناقى من الكوفة إلى دمشق .
 فأرسل عبد الملك يقول : إن هذه المرأة شريفة في قومها ، كريمة^٢
 في نسبها ، وما يضرك أن تأخذ بزمام ناقى إلينا ! فلم يجد له بدا
 ٥ من ذلك ، ٣ لطاعة أمير المؤمنين ولعدم مخالفة مرسومه^٣ ، ثم أنها
 تجهزت ، ٣ وسارت في محفل كبير^٤ ، وسار^٥ الحجاج قائدا ٥ لزمام
 ناقىها . على غيظ وحق منه نادما^٦ على طلاقها ، فلما قالوا : هذه غوطة
 دمشق ، رمت من هودجها دينارا إلى الأرض^٧ وقالت : يا جمال
 أعطنى الدرهم الذى وقع منى^٨ . فأناخ الحجاج راحلته^٩ التى هو راكب
 ١٠ عليها ٣ ونظر^{١٠} فى الأرض ، ٣ فوجد دينارا ٣ ، فقال : ليس هو بدرهم ،
 وإنما هو دينار ٣ . وناولها ٣ فقالت : الحمد لله يا حجاج^{١١} ، وقع منى
 درهم فوجدت^{١٢} دينارا . فلما سمع كلامها^{١٣} ازداد غيظا على غيظه . ثم

(١) فى بن : انقضاء .

(٢) فى بن : حسية .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٤) كذا فى بن ، والكلمة فى بر : صار .

(٥-٥) مطموسة فى بن .

(٦) فى بر : نادم . وهى كذا فى بن .

(٧) مطموسة فى بن .

(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩) فى بن : فوجدناه .

(١٠) فى بن : مقالته تلك .

قالت تهجوه^١ : [٢٦٦ : الف]

وما كنت من أبناء جنسى فلتقى خلائقك القبطا وحسن خلائقي
 'ولكن جياذ الخيل' وهي صواهل مطايا لأبناء 'الحمير النواهي'
 فازداد^٢ هما على همه^٣ ، وغما^٤ على غمه^٥ . ثم لما مات عبد الملك ردها
 إلى عصمته ، فلما انتهت مدته^٦ أنشدت البيتين المتقدم ذكرهما^٧ 'وهما
 « ألا يا أيها الجسد المسجى » إلى آخرهما .

ولما مات^٨ الحجاج رثى^٩ في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟
 قال : قتلى بكل من قتله قتلة ، و قتلى بسعيد^{١٠} بن جبير سبعين قتلة .
 عن أبي موسى الأشعري ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله
 عز وجل يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : " وكذلك اخذ
 ربك إذا اخذ القرى وهي ظالمة إن اخذه اليم شديد^{١١} " . اللهم إنا

(١) مطموسة في بن .

(٢-٣) الجملة مطموسة في بن .

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن .

(٤) في بن : نعمما .

(٥-٥) في بن : فلما .

(٦-٦) في بن : مات .

(٧) في بر : رمى . وفي بن : روى .

(٨) قرآن كريم ١١ : ١٠٢ .

(٩) استبدلت العبارة الآتية في بن [٢٠١ : الف - ب] من هنا إلى قوله « سبحان الله
 العظيم » بكلام طويل فيه طمس بالكتابة وخيل في العبارة وتعقيد في تسلسل السياق ، =

== فأثرنا إدراجها بالهامش على ما هو عليه من غير تحريف ولا تبديل فيما به من الطلاسم، وهو كما يلي: ... (مطموس) ... بأمير بني خفاجة أبو فليته وجماعة من رؤس قومه أسارى. .. (مطموس) ... الحجيح وهم راجعون من الحج، وغوروا المناهل التي يردها الحجاج، ووضعوا فيها بطيخ الحنظل، قيل إنه مات من العطش نحو من خمسة عشر ألف حاج، وأخذوا بقية الحجاج ... رعات (كذا) لمواشيهم في أسوء حال، وأخذوا بجميع ما كان معهم من الأجمال والأجمال، فحين أحضر الوزير نحر الدولة (في الأصل: الدوه) أبو فليته أمير (في الأصل: أمر) خفاجة وأصحابه مأسورين سجنهم، ومنهم شرب الماء ما فعلوه مع الحجاج ثم صليهم تلقاء نهر دجلة أحياء ينتظرون صفاء الماء ولا (يقوون على) شرب شيء منه حتى (ماتوا عطشا) في هذا الصنع، واقتدى في ذلك بحديث أنس في الرعاية) السدين كانوا في (زمان النبي صلى الله عليه وسلم)، والحديث المذكور في الصحيحين، ثم بعث الوزير نحر الدولة إلى واليك الحجاج الذي جعلتهم ... (مطموس) ... لمواشيهم بغى بهم وقد تزوجت نساؤهم، وقسمت أموالهم، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم، فينبغي لولاة الأمور ردع الظلمة عن المظلومين، ففي ذلك رضى رب العالمين. كان أبو النجم الكردي الملقب ناصر الدولة من خيار الملوك بتاحية الدينور وحمدان له سياسة وصدقة كبيرة، وكانت أعماله في غاية الأمن بحيث إذا أعيى رجل أحد من المسافرين فتركه بما عليه في البرية رد إليه ولو بعد حين بما كان عليه لا ينقص منه شيء. ولما عنت أمراؤه في البلاد بالفساد، عمل لهم ضيافة حسنة، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز، فجلسوا ينتظرون الخبز يأكلوا به الطعام الذي مد لهم، فلما استبطوه سألوا عن الخبز، فقال لهم: إذ كنتم تهلكون الحرث وتجورون على الفلاحين فمن أين يأتون بالخبز. ثم قال لا أسمع بأحد أفسد في الأرض إلا أركت (دمه). واجتاز مرة في بعض أسفاره برجل معه حزمة حطب وهو يبكي فقال له: ما أبكك؟ فقال: لاني كان (معي رغيفان) أريد أن أتقوت بهما فأخذهما مني بعض الجند. فقال: ==

== أتعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم . فوقف به في (مضيق) حتى مر عليه الجند ، فلما اجتاز به ذلك الجندى الذى أخذ منه الرغيفين قال : هذا هو . فأمر به أن ينزل عن فرسه و أن يحمل هذه الحزمة الخطب من الخطاب حتى بلغ بها إلى المدينة فأراد أن يفتدى من ذلك بمال ، فلم يقبل منه حتى يا (دب) به الجيش كلهم . و كان له صدقات و معروف كثير على الفقراء و الأراامل و الأيتام و تكفين الموتى و المجاورين بالحرمين الشريفين و عمارة المصانع و إصلاح المياه و حفر الآبار بطريق الحجاز . و ما اجتاز بما في طريقه إلا و عمر عند و عمر في أيامه الخانات و المساحد في الطرقات ما ينيف على ألفى خان و مسجد . فإذا أمسى الليل في الطرقات (ت) السفار فزوا الخان و صلوا في المسجد الذى به ، و اشتروا من دكان الخان ما يتعيشون به . و كان له من الخي (ل) المربة في سبيل الله برسم (الجهاد) ما ينيف عن عشرين ألف فرس . و كان كثير الصلاة و الذكر ، و كان مدة ملكه (اثنان) و ثلثين سنة و دفن (بمسجد) على بن أبي طالب . فانظر إلى فعل الملك أبي النجم الكردي ، و من أذى الحاج و قصد . . (مطموس) . . . ظلمهم ، و إذ قد . . . (مطموس) . . . الرغيفين اللذين (أخذهما الجندى من) الخطاب ، فسأذكر ما قيل في الرغيف (قال بعض) الصالحين : تفكرت في هذا الرغيف (مطموس) . . (ولم يروا) أنا نسوق الماء إلى الأرض الحرز فيخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم (هم) . . . صرون بالملائكة موكلون بالماء يسوقونه إلى الأرض كما قدر الله تعالى لقوله « و بخرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » (قرآن كريم ٥٤ : ١٢) أهل الأرض موكلون بآلة الحرث فيحرثون الأرض و يرمون فيها البذر ، و يوكل الله به (الملائكة يحفظونه من) الأرض و هوامها حتى ينبت ، فإذا نبت و كل الله به ملائكة يحرسونه من الطير حتى يظهر (سنبله بأمر الملك الوهاب) =

براء من جور الظالمين و ظلم الظالمين ، وإنا محبون لعدلك في الآخرة ،
فلا تبجن علينا بسخطك ، واغفر ذنوبنا إنك على كل شيء قدير . قال
أبو الحسن الشاذلي : إن أردت أن لا يصدى لك قلب ، و لا يلحقه
هم و لا كرب ، و لا يبق عليك ذنب ، فاكثر من قول سبحان الله
و بحمده سبحان الله العظيم .

[حكاية مؤلمة لقلب امرأة مسلمة]

حكاية مؤلمة ' لقلب امرأة مسلمة . حكى أن امرأة مغربية كبيرة
السن توفى ولدها وترك ولدا فطيما يتيما من أبيه و أمه . فوصى

== فيلحقه و لو زاد عليه شيء من الأرض لأتلقه . قال الله تعالى « وكل شيء
عنده بمقدار » (قرآن كريم ١٣ : ٨) . و قال الله تعالى : « وأرسلنا (الريسع)
لواقح » (قرآن كريم ١٥ : ٢٢) ثم يسخر الله تعالى البخار بالحديد حتى يعمل
له آلة الحصد أو انه وقت انتفاعه كالمنجل و المقصل و أحصد . وكل الله به
ملائكة تحرسه من الفار ثم يدرس ثم يحمل على ظهر الأنعام ثم يخلق الله تعالى
من يقطع الحجارة و يبنى الطواحين فيطحن و يعجن ، و من يبنى الأفران
و يحبزه ، ثم يأتي به إليك ، فانظر ما تجدد من الرغيف . و قال بعض الصالحين :
دخلت طاحونا في (فرأيت) الجمل يسدور و عيناه مغطيتان فقلت
بلسان الحال : أراك مغطى (العينين) هذا الوقت أحب فيه فتح
عيني كلما نظرت إلى نعمة خالقي يزداد في قلبي محبته . قال النبي صلى الله عليه
وسلم : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و ليس العبد يحسن غير مولاه .
(١) في بر : مؤمنة . و محبتها في بن كما أوردنا بالاض .

الرجل والدته عليه في مرض موته ، و ترك له من الدراهم النقرة ألفين ،
فدفنتها المرأة بالأرض حفظا لها . فلما ظفرت الإفرنج^٢ بالإسكندرية
حملتها معها وحملت جاريتها الولد المذكور ومضوا هارين مع جملة من هرب ،
من باب البر . فثقلت الدراهم على المرأة وعجزت عن حملها لكبر سنها ،
فصادفت رجلا كان صديقا لولدها^٣ في حياته^٤ ، فركنت إليه وذكرت^٥
له عجزها عن حمل مال اليتيم ، ولم تجد دابة تكثيرها لتحملها^٦ و سألت^٧
أن يحمل ذلك^٨ عنها ، و يحفظه لليتيم^٩ ،^٣ . يكون عنده وديعة إلى أن تأمن
الناس^٣ . فأخذ تلك الدراهم منها و مضى إلى حال سبيله . فلما أمنت الناس
سألت^٨ في رد الوديعة فأنكرها ، و حجبها فعادت عليه السؤال وهو لا يزيد^٩
على الإنكار ، الجحود شيئا . فقيل لها لما^{١٠} شكت حالها لغيرها : ما منعك^{١٠}
من ترك^٨ الدراهم مدفونة^٩ ، أكانت الإفرنج^٢ تعلم ما تحت الأرض ؟

(١) في الاصلين : مدفونة .

(٢) في بن [٢٠١ : ب] : الإفرنج .

(٣-٣) العبارة ساقطة من بن [٢٠٢ : الف] .

(٤) الكلمة ساقطة من بر وواردة في .

(٥) في بن : سألت .

(٦-٦) عن بن ، وفي بر : يحملهم .

(٧) في بن : حين .

(٨) في بن : ان تكون .

(٩) ساقطة من بن .

قالت : نعم ، كانت الأرض أحفظ لها ، لكن ا حملني على حملها معى
 وقعة طرابلس الغرب ٢ وأخذ الإفرنج لها ٢ وإقامتهم بها مدة أشهر ،
 وحفرهم لأراضى ٣ بيوتها . [٢٦٦ : ب] لطول إقامتهم بها ، حسبت
 أن الذى ظفرنا بالإسكندرية يقيم بها هو و جيشه كما أقاموا بطرابلس ،
 ٥ ويحفروا ١ و يأخذوا الدراهم ٢ المذلورة بحفرهم ديارها المعمورة ٢
 ولو علمت أنهم أتوا للصوصا ١ خطافة نهاية ٢ ، لا يلبثوا بها كما لا يلبث
 اللص بمكان سرق منه ، كنت تركتها بمكانها ١ . قيل لها : فكنت تركت
 الجارية تحملها ١ لقوتها ١ و شباهها ٢ . قالت : " يكنى الجارية حملها للولد " ،

(١) فى بن : ولكن .

(٢-٣) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : اراضى .

(٤-٤) فى بن : فظننت أنهم يقيموا بالإسكندرية .

(٥) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٦-٦) الجملة مطموسة فى بن .

(٧) ساقطة من بن

(٨) فى بن : مكانه .

(٩) كما فى بن ، والكلمة فى ر : تركتى .

(١٠) الكلمة مطموسة فى بن .

(١١) فى بن : لقدرتها على ذلك

(١٢-١٢) فى بن : اكتنيت للجارية بحمل لولد .

و خفت أن العربان تخطف الجارية^٢ بما معها^٣ كما خطفوا غيرها،
 لأن الإفرنج^٤ كانت تنهب في^٥ البلد،^٦ والعرب ينهبون من خرج
 منها بشيء له في البر^٧، وذلك لكثرة العرب^٨ وحرصهم على خطف
 من وجدوا معه شيئاً، فأنهم أتوا ينصرون أهل الإسكندرية، فصاروا
 عليهم نقمة و بلية^٩. ثم أن المرأة حملت على قلبها من أمر الوديعة^{١٠}
 و المودع المذكور، فماتت بغمتها^{١١} وقهره لها. فصار الصغير مع
 الجارية حائرة به، لم تجد ما يقوم بهما^{١٢}، فرفعت أمرها^{١٣} للنائب السلطان^{١٤}

(١-١) كذا في بن، و العبارة في بر: من العرب الجارية (كذا).

(٢-٢) الجملة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الفرنج.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: والعربان تنهب من قد شرذ.

(٦-٦) في بن: والعربان الذين جاءوا لقتال الفرنج (فلما لم يقدرُوا) على

الفرنج صاروا ينهبوا المسلمين و يحرسوا على خطف ما وجدوه مع الناس

الخارجين من باب البر. وفي بركة « ينصروا » صححناها.

(٧) ساقط من بر و واردة في بن.

(٨) في بن: قهرا. (و ما تلاها من الجملة مطموس).

(٩) في بن: بها وبالصغير.

(١٠-١٠) في بن: فرغ الأمر.

بذلك^١ ، فأدعى بالرجل و سايسه بالحد و اللين^٢ حتى أخذ^٣ لليتيم ماله بكأله^٤ .

[حكايات في الودائع]

و إذ قد ذكرت^٥ الوديعة ، فسأذكر ما قيل في الودائع إن شاء الله تعالى^٦ . قيل إن رجلا أودع عند رجل كيسا محتوما^٧ فيه ألف دينار ، و سافر و رجع من سفره بعد ثمان سنين ، فطلب الكيس منه ، فأعطاه إياه بختمه كما دفعه له أولا ، فضى الرجل به إلى داره فتحه و صبه ، فاذا هو دراهم ، و كان المودع المذكور فتقه من أسفله ، و أخذ ما فيه من الذهب ، و جعل مكانه دراهم ، و خاطه فصار كما كان محتوما^٨ . فرفع صاحب الكيس أمره إلى القاضي ، فأحضره و سأله عن ذلك ، فقال : إنه دفع لي كيسا محتوما لم أعلم ما فيه ، و أعدته له^٩ بختمه ، فقال صاحب^{١٠} الكيس : نعم^{١١} ، وجدته محتوما بختمي ، لكن كان^{١٢} دنانيرا فوجدته دراهما^{١٣} ، و كان المودع صاحبه^{١٤} رجلا مشهورا بالآمانة ،

(١) في بن : بالإسكندرية .

(٢-٢) في بن : فأحضر الرجل و أخذ باللين و الحد .

(٣) في بن : استخلص

(٤) في بن : تمامه و كأله .

(٥-٥) مطموسة في بن .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧-٧) في بن : دنانير - دراهم .

فتحير الحاكم^١ و قال : احضروا لى مشايخ الفقهاء ، فمثل هذا^٢ لا يهمل^٣ بشهرته^٤ ، أى صاحب الكيس يصدق^٥ القول بين الناس . فلما حضرت مشايخ الفقهاء فكلهم حلوا القول قول المستودع ، لأن صاحب الكيس أقر أنه محتوم بختمه^٦ ، فقال أحد الفقهاء . و كان لا يؤبه له : متى أودعته إياه ؟ قال : من مدة^٧ ثمان سنين . قال لغريمه : هكذا تقول ؟ قال : نعم ، فقص^٨ ذلك الفقيه إظهار^٩ نفسه ليصير^{١٠} فى درجة^{١١} تلك المشايخ الفقهاء ، و قال : إن رأى مولانا القاضى أيدى الله تعالى و وفقه للصواب^{١٢} [٢٦٧ : الف] أن يحكى بينهما^{١٣} سيرة ما أحكم به^{١٤} . قال : قد حكمتك و أمضيت ما تحكم به . قال : و أين الكيس ؟ قال : ها هو . فقال للرجلين : أظراه^{١٥} . فنظراه فاعترفا به . فقال : وانظرا^{١٦} .

(١) فى بن : القاضى .

(٢-٣) العبارة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : لشهرة .

(٤) الكلمة ساقطة من بن .

(٥) فى بن : لصدق اللهجة و القول .

(٦-٧) فى بن : لإقراره أنه وجدته محتوما بختمه .

(٧) ساقطة من بن و واردة فى بن .

(٨) فى بن : فقال .

(٩-١٠) مطبوعة فى بن .

(١٠) فى بن : الصواب .

(١١) عن بن ، وفى بن : وانظروا .

إلى ١ مكان الختم . فنظراه و اعترفا . فقال : وأنتما متفقان على المدة ؟
فقالا : نعم . ففتح الكيس و جعل يقلب الدراهم و ينظر إليها و يضعها
و ينظر إلى كل واحد منها ٢ ، فقال للمستودع : اتق الله و اردد على الرجل
دنانيره قبل أن ينتهك سترك . قال : أفغير الحق تحكم ؟ قال : لا والله
٥ إلا بالحق . و مال ٣ الناس كلهم ١ مع المستودع و قالوا : لا نصبر على الهوى .
فقال : لا والله ولا ٤ أحكم في دين الله بالهوى ، اشهدوا على ٥ أنى ٦ قد حكمت
على هذا الخائن برد الدنانير و بإسقاط ٦ أماته . قالوا : من أين حكمت ؟
قال : إني سألتها بأن الوديعة لها ثمان ٧ سنين ، فاعترفا بذلك ٨ إلى آخره ٩
ثم قرأت سكك الدراهم فإذا فيها ما قد ضرب من ١٠ سنة ، و منها
١٠ ما قد ضرب من ١١ ثلاث سنين ، و منها أربع سنين ، فعمت ١١ كذبه ،

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بر : منها . و الكلمة صححت بغير قلم النسخ .

(٣) في بن : و تعصب .

(٤) في بن : لا .

(٥) في بن : أنى .

(٦) في بن : و إسقاط .

(٧) في بن : ثمانى .

(٨-٨) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٩) في بن : مند .

(١٠-١٠) ساقطة من بن [٢٠٢ : ب] .

(١١) في بن : فعمت .

فحكمت عليه بالرد والحياة^١ ، فاستحسنوا منه ذلك ، ولم يفهمها غيره ،
فكر شأنه عند القاضي ، وألحقه بدرجة الفقهاء الكبار لفهمه وحذقه ،
٢ وهم على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الألف دينار^٢ - انتهى .
قال مالك رحمه الله في امرأة بالإسكندرية ، كتبت وصيتها إلى
ورثتها وهم بمدينة^٣ يثرب ، فلم يأت من ورثتها خبر ، فخرج رجل
بتركها المودوعة عنده إليهم ، فهلك في الطريق ، فهو لها ضامن من
حيث^٤ خرج بها من غير إذن أربابها ، فلو استودع جرارا وشبهها
فنقلها نقل مثلها فتكسرت ، ضمي لأنها جناية خطأ . وقالوا فيمن وقف
على ثمار ليشتري منه ، فأذن له في تقليب الفخار ، فأخذ آنية فسقطت
من يده على آنية أخرى فانكسرت الآيتين^٥ معا ، لم يضمن التي سقطت
من يده ويضمن الأخرى لأنها جناية خطأ .

إذا أودع رجل رجلا وديعة^٦ وقال له لا تقبل عليها الصندوق ، فقله
ضمنها . واحتج ابن عبد الحكم بأن الإقفال للصندوق إطماع للسارق فيما احتوى
عليه الصندوق وحائل له على ما في الصندوق ، كان عليه قفل أو لم يكن ،

(١) في بن : وخيائه .

(٢-٢) في بن : ورده على الخائن حتى أعطى لصاحب الكيس الدنانير .

(٣) ساقطة من بن . (٤) في بن : حين .

(٥) الكلام من هنا ساقط من بن ويستأنف في كل من بن و بر بالعبارة « اختصم
رجلان في شاة » .

(٦) في بر : الآيتين .

(٧) في الأصل : وداعة .

والذى قاله ظاهر إلا أن يقال إن طلب السارق للصندوق المقفل أشد من طلبه لما لا قفل عليه . قال ابن عبد الحكم ولو قال رب الوديعة للودع اجعلها في قدر فخار ، فجعلها في [٢٦٧ ب] سطل نحاس ، فضاعت لضمن^١ لأن السارق عينه إلى سطل النحاس أكثر من الفخار . ولو قال اجعلها في سطل نحاس ، فجعلها في قدر فخار فضاعت لم يضمن . ولو قال اجعلها في كمك فتركها في يده فضاعت لم يضمن ، لأنه بالغ في حفظها ، لأن كونها في يده أصون لها من كمه ، إلا أن يقصد به إخفاءها^٢ عن عين الغاصب فليضمن ، لأن الكم أحرز من اليد ، ولو سعى بها الوديعة إلى مصادر ضمنها ، أى لو وشا بها إلى ظالم ، فانه ضامن بسبب التضييع فانه إنما أمسكها ليحفظها عن مثل هذا ، فاذا أخبر ظالما بها فذلك عين التضييع فيضمنها لربها - انتهى .

[حكاية في المخاصمة]

فلنذكر الآن ما قيل في المخاصمة و الفتيا إن شاء الله تعالى .^٣ اختصم رجلان في شاة قد أخذ كل واحد^٤ بأذنها يقول هي لى . فمر رجل كان قد^٥ ولد له ولد وليس معه ما يشتري به شاة للعقيقة ، و كلفته امرأته لشرايتها وهو حائر كيف يجتمع له مئمنها ، ويقول : لم^٦ كلفتني هذه المرأة

(١) كذا في بر ، وهذا القسم ساقط من بن .

(٢) من هنا يستأنف الكلام في كل من برو في بن .

(٣) في بن : رحل . (٤) ساقطة من بن .

(٥) في بن : قد .

لما لا طاقة لي به، و تكليف ما لا يطاق، يؤدي إلى الشقاق^١، و تلي^٢ قوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"^٣. و هو مفكر فيما ذا يفعله، فبينما هو كذلك و إذا بالرجلين^٤ قالا^٥ لآبي المولود^٦، و هما لا يعرفانه^٧: احكم بيننا في هذه الشاة، و معها حكمت به علينا رضيناها، فقد طال الخصام^٨ بيننا. فقال: إنكما لن^٩ ترضيا^{١٠} بحكمي، و إني لا أحكم إلا بالحق. فقالا: ٥ رضينا بحكمك. قال: لا أحكم حتى تحلما^{١١} لي بالطلاق^{١٢} و العتاق^{١٣} و الجح^{١٤} و العمرة مشاة^{١٥} حفاة^{١٦} أنكم ترضون بحكمي. ففعلوا ذلك و التزموا بالآيمان^{١٧}. فقال: حكمت عليكما أن^{١٨} تخلياها^{١٩} لي^{٢٠}، فانه ولد لي مولود، و كلفت لشرائها للعقيقة^{٢١} و لا معي ثمن شاة^{٢٢}، و يحصل لكما^{٢٣} أجرها^{٢٤}. فقالا: خذها و امض^{٢٥} بها. فأخذها^{٢٦} و مر بها^{٢٧} و هما ينظران إليه. فقال ١٠

(١) الكلمة مطموسة في بن.

(٢) في بن: وتلا.

(٣) قرآن كريم ٢: ٢٨٦.

(٤ - ٤) في بن: له.

(٥) في بن: يعرفان.

(٦) في بن: لم.

(٧ - ٧) العبارة مطموسة في بن.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) ساقطة من بن و واردة في بن.

(١٠) في بن: لمن هي له منكما.

(١١) في بن: فأخذ.

أحدهما^١ لصاحبه: ضيعتها^٢ على ياطلك، لا أبرأ الله^٣ لك ذمة،^٤ وسلط عليك النعمة^٥.

[حكاية فقيه وأعرابي بطريق مكة]

و مر بعض الفقهاء "بطريق مكة"، فأصابه عطش شديد، فقال:
 هـ هل من ماء؟ فقال رجل من العرب: عندي قربة ماء. فقال: اسقى
 منها. فقال: إنها موقوفة للبيع، وظهر له قوة عطش^٦ الفقيه. فقال له
 الفقيه: بعها مني. فقال: والله لا أبيعها إلا بخمسة "دنانير". فرأى^٧ الفقيه
 أنه^٨ لا بد له^٩ من شرائها لشدة عطشه^{١٠}. فقال له الفقيه: اشتريت منك
 القربة بمائتها بما ذكرت. قال البدوي: "نعم بعتكها بمائتها" بالثمن المعين،
 ١٠. "هات الدنانير". فأعطاه^{١١} [٢٦٨ ألف] خمسة دنانير وهو متألم لخروجها

(١) الكلمة ساقطة من بن.

(٢) في بن: صنعتها.

(٣) ساقطة من برو واردة في بن.

(٤ - ٤) الجملة ساقطة من بن.

(٥ - ٥) العبارة مطموسة في بن.

(٦) في بن: العطش من.

(٧) في بن: أن.

(٨) زيد في بن: وخوفا من أن يلقي نفسه: (مطموس) تذكر

قوله (مطموس) قلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

(٩ - ٩) العبارة ساقطة من برو واردة في بن.

(١٠) زيد في بن: الفقيه.

منه . اظلم ملكها فتح قاهما وعرب حتى ارتوى ، وزكا حينئذ ثم قال
 للبدوي ١ : ٢ يا وجه العرب ٣ تأكل شيئا من سوق مصر ١ قال أى والله
 وأراك كريما تشتري الماء بالذهب ، و تتكرم فى الفياق المنقطعة بالزاد .
 فقال ٢ : أقصد ٣ بذلك الاجر ٤ . فقال البدوي ١ : آجرك الله ٢ على فضلك ،
 مات ٤ . فأخرج الفقيه سوقا كبيرا ٥ وضعه ٦ فى قصعة ، و صب عليه سمنا ٥
 كثيرا وقال له : كل يا أخا العرب إلى أن تشبع فاغتمها الاعرابي
 و أكل ما فى القصعة جميعه ، و كان ٩ الفقيه قد شرب منها حتى ارتوى
 و وكأها ، فاشتد الحر ٩ و عطش الاعرابي من شدة حر الشمس وحر السمن ،
 و الماء من البدوي على مسافة بعيدة ، فقال للفقيه : اسقى شربة ماء . فامتنع ،
 فسأله ثانيا وهو يمتنع . فقال : تطعم العيش ولا تسقى الماء ، اسقى فقد ١٠
 ألحب العطش كبدى . فقال : إن رددت على ١٠ ذهبى سقيتك و أرويتك ،
 و إلا مت عطشا ، أما يكفيك أكل سوقى و سمنى حتى تأخذ ١١ ذهبى منى ١١ ؟

(١ - ١) الجملة واردة فى بن و فى بر « قال له » و بقيتها ساقطة منها .

(٢ - ٢) الجملة ساقطة من بن . (٣) زيد فى بن : الفقيه .

(٤) فى بن : انى أقصد .

(٥) زيدت فى بن جملة أغلبها مطموس و لا تؤثر على السياق .

(٦) فى بن : له .

(٧) زيد فى بن : تعالى .

(٨) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٩) الكلمة مطموسة فى بن .

(١٠ - ١٠) فى بن : دنانيرى .

فلم يجد البدوي^١ بدا من رد الذهب^٢ إليه ، فعند ذلك سقاه حتى ارتوى^٣ . ثم قال : مضت والله القرية ، بأكلة وشربة ، لا قوة إلا بالله ، فليتني ما^٤ أكلت من قصعة ، بأصابعي^٥ الخمسة^٦ و كنت فزت بالدنانير الخمسة . ومضى^٧ شبعانا ريانا ، وعلى^٨ الدنانير مقهورا^٩ ٣ ندمانا .

[حكاية في تأدية الشهادة]

دخل أبو دلالة الشاعر على قاض ، يؤدي عنده شهادة ،^١ وخاف أن لا يقبله لمعرفته بحاله^٢ ، فأول ما قاله أبو دلالة :

إن الناس خطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا غنى قضيم مباحث
وإن حفروا بثرى حضرت يارهم فسوف يروا ما ذا تشير النبائث^٣

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢) في بن : الدنانير .

(٣) ساقطة من بن .

(٤-٤) في بن : ليتني لم .

(٥) مطموسة في بن .

(٦) زيد في بن [٢٠٣ : الف] : و كنت فررتها لدنانير الخمسة ، لكن هذه آفة الطمع . قال الشاعر :

« وتضرب أرقاب الرجال المطامع »

(٧) في بن : ثم أنه ذهب .

(٨) في بن : لكن على ضياع .

(٩-٩) في بن : فقال له رقيني !!

(١٠) في بن : النبائب .

قهم القاضي عنه إنه 'إن رد شهادته هجاء' ، وفي الهجو منقصة وذلة
للرجل الماضل ، و تذكر قول بعضهم :

لو هجا المسك وهو أهل لكل مدح لصار جيفة
فسأله القاضي عن أمره . ٣ قال : تأدية ٣ شهادة . فقال : أدها فأدها
قبلها منه ٤ و انصرف . ٥ قال الشاعر :

ما دمت حيا فداري الناس كلهم قائما أنت في دار المدارات
من يدر دار... لم يدرسوف يرى عما قليل نديما للندامات ٥
وما قيل في معنى شعر أبي دلالة :

يا حافر البئر على ذروة عبي لرجليك مراقبها
من يحفر البئر ولا يتقى يوقعه رب السما فيها ١٠
وما قيل أيضا في المعنى :

قضى الله أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر
/ ومن يحفر بئرا ليوقع غيره سيوقع يوما في الذي هو حافر ١٠
[٢٦٨: ب]

(١-١) في بن : بسبب أداء الشهادة وخاف إن رد شهادته هجاء .

(٢) في الأصلين : هجي .

(٣-٣) في بن : فقال أداء .

(٤) ساقطة من برو واردة في بن .

(٥-٥) هذا الجزء ساقط من برو و وارد في بن .

(٦-٦) هذا الجزء ساقط من بن . و زيد فيها قبل القصة التالية : و قد يفنى المفتي

لأحد باحتياله لينفعه بفتاة فينفع ذلك المفتي كما قيل .

[حكاية رجل وامرأة وبعض المفتين]

جاء رجل إلى بعض المفتين فقال: إني خطبت عند قوم وقد ردوني، وأنا أحب أن أتزوج عندهم. فقال: ويحك علام ردوك. قال: ذكروا أني فقير. فقال: وما أصنع؟ فقال: قد دلوني عليك • تتحيل لي ولك الأجر. وصار يقبل يديه^١ ورجليه ويتضرع بين يديه^٢، ودموعه تسيل على خديه، فرثاله وقال: تقدر على تقديمها ونفقتها. قال: نعم^٣. قال: إن^٤ كان ولا بد لك من التزويج بها، فبع إحليلك مني. قال: وبيم^٥ أطأها إذا أنا بعثك إياه تقطعه وأصير كالخادم النادم، هذا^٦ لا يمكن أبدا أيها العالم. قال: هذا^٧ ما أخبرتك،^٨ ١٠ وأنا أعطيك فيه ألف^٩ درهم. فقال: اتق الله و هل يمكن ذلك؟^{١٠} قال: ألني درهم^{١١}. ثم لم يزل به حتى قال: أنا أعطيك به عشرة آلاف درهم. قال: لا والله لا كان ذلك أبدا. قال: فاذهب الآن

(١-١) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٢) في بن : لا ، و ربما كانت الكلمة هي الصواب .

(٣-٣) مطموسة في بن .

(٤) كذا في بن ، والكلمة في بر • و بما .

(٥) زيد في بن : بما .

(٦) في بن : هو .

(٧-٧) ساقطة من بن .

واخطب^١ ، فان طردوك فقل لاى شىء تطردونى ، فان قالوا لانك فقير ، فقل إن المفقى فلان يعرف حالى ، ولا تتكلم بكلمة زائدة على ما قلت لك أبدا لئلا^٢ تفسد على الحيلة . فقال : سمعا وطاعة . ومضى إليهم يخاطب^٣ ، فقالوا : إنا لا^٤ نزوجك . فقال : وما الذى^٥ كرهتم^٦ منى . قالوا : أنت^٧ فقير ولا قدرة لك . فقال^٨ : إن المفقى^٩ فلان يعرف^{١٠} حالى^{١١} . فقالوا : إن عرف المفقى حالك^{١٢} زوجناك^{١٣} وأتوا إليه^{١٤} فسألوه عنه^{١٥} فقال : لا أعرفه ولا أعرف حاله إلا أنى^{١٦} رأيت بعض^{١٧} الناس ساومه فى^{١٨} سلعة يملكها^{١٩} أعطاه^{٢٠} فيها^{٢١} عشرة آلاف درهم وأبى^{٢٢} بيعها ، وما أظنه ترك^{٢٣} بيعها^{٢٤} إلا ويريد^{٢٥} فيها أكثر من ذلك . فركنوا إليه وزوجوه ودخل بالمرأة ، فاذا هى^{٢٦} شابة جميلة^{٢٧} متمولة ، وفحصوا عن أمره ، فلم يجدوا له شيئا . فعلت أنه ما وصل إليها إلا بحيلة ، فقالت^{٢٨} له : عرقى من^{٢٩} ذلك على^{٣٠} . فقال : رأيتك

(١) فى بن : فاخطب .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) الكلمة مطموسة فى بن .

(٤) فى بن : كرهتموه .

(٥) فى بن : لأنك .

(٦) فى بن : قال .

(٧) فى بن : يعرفى .

(٨-٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٩-١٠) العبارة مطموسة فى بن .

(١٠) فى بر : و ابا . وفى بن : فأبى .

(١١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

مرة^١ تنظري من طاق دارك^٢ فأحبتك^٣ ، فتحيلت عليك حتى وصلت إليك . فقالت : أذكر لي حيلتك التي تحيلت بها كيف كانت ؟ فامتنع فسلطت عليه بالمضاجرة^٤ حتى أخبرها بما فعله المفتي معه ، فسكتت على غين و قهر ، و كان على باب^٥ 'درب المفتي'^٦ 'دار فيها'^٧ رجل^٨ يقال^٩ عنده ابنة بكر^{١٠} قرعا شلا زمنة كانت تعرفها و تصدق عليها ، فلما كان ثالث يوم من^{١١} قول زوجها لها تلك الحيلة^{١٢} ، لبست أنفخ ثيابها ، و تطيبت و تعطرت ، و أتت إلى منزل المفتي ، فضربت الباب ، فخرج إليها فقال : ما قصتك ؟ قالت : فتوى عافاك^{١٣} الله . قال : تكلمي . [٢٦٩ : الف] قالت : يا سيدى أنا ابنة فلان البقال الذى حانوته^{١٤} على باب هذا^{١٥} الدرب ، و قد أعتنى الحيل . و أى^{١٦} كل من خطبنى

- (١) الكلمة مطموسة في بن .
- (٢) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٣) ساقطة من بن .
- (٤-٤) مطموسة في بن .
- (٥-٥) ساقطة من برو واردة في بن .
- (٦) كذا في بن ، و في بر : رجلا .
- (٧) ساقطة من بن ، و هي في بر : بقالا .
- (٨) زيد في بن : حين .
- (٩) في بن : المقالة .
- (١٠) في بن : أعزك .
- (١١) في بن : في أبى .

منه لا يزوجني ، و يعتذر باعتذارات^١ ليست بصحيحة ، يقول ابنتي
 شلا اليد ، و هذه يدي - و أبرزت معصما كالجمار^٢ فيه أساور الذهب
 و اللؤلؤ ، فرأى المفتي ما حيره . ثم قالت له : و يقول ابنتي قرعا -
 ٣ و هذا شعري ، فرأى شعرا أسود براقا حسنا . و يقول ابنتي كادومة ٣ -
 و كشفت عن وجه يتلألا حسنا و جمالا ، فبهت المفتي لما رأى . ثم ٥
 قالت : و يقول ابنتي زمنة عرجاء - و كشفت عن قدميها^٤ و مشت
 بين يديه مشيا سويا^٥ - و إنه لا يريد يا سيدي^٦ يزوجني^٧ ألبته ، و قد
 بلغت^٨ و غيرتني البنات التي^٩ هن أقراني بتزويجهن^{١٠} قبلي يوارى و شوم
 بختي ، ٣ و قلة قسمتي و سوء حظي ٣ ، و جعلت تبكي و تلين كلامها في
 بكائها ، فأخذت بمجامع قلب المفتي ، و حركت بسواكنه^{١١} ، ١٢ و كانت ١٠
 امرأته توفيت^{١٢} ، و هو عازب ينظر ١٣ في أمره ليجد ١٣ امرأة يتزوجها .

(١) في بن : باعتذار .

(٢) في بن : كالجمار .

(٣-٣) ساقطة من بر و واردة في بن .

(٤) في بن [٢٠٣ : ب] : قدم كالجمار .

(٥) في بن : مستويا .

(٦) الكلمة ساقطة من بن .

(٧) في بن : تزويجي .

(٨) في بن : كبرت .

(٩) في بن : اللواتي .

(١٠) في بن : بتزويجهن .

(١١) في بن : ما هو ساكن .

(١٢-١٢) في بن : و كان قد توفيت زوجته .

(١٣-١٣) الجملة ساقطة من بن .

فقال في نفسه هذه هي ' الزوجة المطلوبة للثمة ' . ثم قال لها : هل لك ' أن ٣ أتزوج بك ٣ ؟ فلما انقضى كلامه ذلك ' حتى انكبت على قدميه تقبلهما و تقول : من ٤ لي بأن أكون لك جارية و مملوكة ' و خادمة . فقال : اذهبي في حفظ الله ! فانصرفت . و طلب البقال لحضر فقال : ه روجني بابنتك * . فقال : الله الله في أمري ، ان ابنتي قرعا شلا كادومة زمنة ، و لم تصلح ' لغلامك ، فكيف لك ٥ ؟ قال : قد رضيت بجميع ما ذكرت ، ٨ و دفع له ٨ خمسين دينارا نقدا ٩ معجلة ، و وقع العقد على ١٠ مائة دينار ١٠ أخرى مؤجلة ، و شرط في نفس العقد أنه رضى ١١ بجميع العيوب التي ذكرها أبوها فيها . و قال : عجل على بها ١١ . فلما كان ١ المساء ، ١٠ أحضر البقال ابنته يحملها هو و عبد له ، فلما رآها المقتى قال : ويلك

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) في بن : التمتع .

(٣-٣) في بن : أتزوجك .

(٤) في بن : و من .

(٥) في بن : ابنتك .

(٦) الكلمة مطموسة في بن .

(٧) في بن : بك .

(٨-٨) في بن : و أعطاه .

(٩) ساقطة من بر و واردة في بن .

(١٠-١٠) مطموسة في بن .

(١١) كذا في بن ، و الكلمة في بن : راضى .

(١٢) في بن : سناها (!!) .

ما هذه؟ قال: انتى التى زوجتك ١ بها ٢ ، طافك الله ٢ ، وهى على ما
وصفت و شرطت لك بحضرة العدول و رضيت بها . فقال : و بلك
٣ أحق ما تقول ٣ ؟ قال البقال : أمها ٢ طالق ثلاثا إن كان له ابنة ٢
سواها ، فعند ذلك طلقها ٢ المقتى بالثلاث وقال ٢ : ارددها إلى منزلك
و أنت فى حل من الخمسين ٢ دينار المعجلة ، و اردد إلى ٢ الصداق المؤجل . هـ
ف فعل البقال له ذلك ٢ ، وبقى المقتى متفكرا فيما جرى " شهرا كاملا " .
فلما كان ٢ بعد الشهر ، و إذا تلك المرأة أنت ٢ فى أحسن ما يكون
من هيئتها الأولى ، فسلبت على المقتى ، فقال لها : ما حملك على ما صنعت ؟
ف قالت ٦ : ما حملك أنت على ما صنعت ، غررتنا برجل فقير ، زوجتنا
هـ بحيلتك ، ٢ فكان جزاؤك ٢ منى أن ٧ احتلت ٨ عليك ، و أغرمتك ١٠
خمسين دينارا حتى لا تعود تغرر بينات الرؤساء الكبراء ٩ ، و تزوجهن

(١) فى بن : ازوجتك .

(٢) الكلمة مطموسة فى بن .

(٣-٣) كذا فى بن ، و الجملة فى بر : اتقى الله .

(٤-٤) العبارة مطموسة فى بن .

(٥-٥) فى بن : مدة شهرين كاملين .

(٦) فى بن : قالت .

(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٨) فى بن : اقبلت .

(٩) الكلمة ساقطة من بن .

بجيتك للفقراء^١، وتميل^٢ إلى [٢٦٩: ب] الخلاعة^٣، بسومك^٤ تلك^٥ البضاعة، التي لا تباع ولا تشتري، بين سائر^٦ الوري، فواحدة بواحدة جزاء. فبهت المفتي من كلامها،^٧ وانصرفت تضحك من توبيخها له وملامها، ثم أنها سعت في خلاص نفسها من زوجها الفقير وقالت له: امض بالحيية يا حقير، وعادت إلى المفتي وقالت له: قد طلقني الذي احتلت له^٨، فان رغبت في فأنا بك راضية، ولك جارية، ويكون ما أخذته بنت البقال نقدي، أشهد لك بقبضي له، ويكون لتلك المسكينة، تنفع^٩ به^{١٠} على ما بليت به^{١١}،^{١٢} وتصدقني صداقها^{١٣} المؤجل إن اخترت. فقال: حبا وكرامة. فتزوجها^{١٤} بعد انقضاء^{١٥} عدتها،^{١٦} ودامت^{١٧} له مودتها وعشرتها^{١٨}.

(١) في بن: للفاليس.

(٢) الكلمة مطموسة في بن.

(٣) في بن: الخلافة.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥-٥) في بن: ثم قالت... (مطموسة)... كلمتك و مضيت إلى زوجي

فأجرته إلى أن طلقني والآن قد انقضت عدتي.

(٦) في بن: تنفع.

(٧-٧) ساقطة من بن.

(٨-٨) مطموسة في بن.

(٩) في بن: فتزوج بها.

(١٠) في بن: وفاة.

(١١) كذا في بن، وهي في بر: و دام.

[النخعي عن العدة]

١ وسأذكر ما قاله ١ النخعي فيما ٢ ٣ سئل عنه عن العدة إن شاء الله تعالى ٣ . سئل النخعي هل للرجل عدة ٤ ؟ قال : نعم عدة ٥ واحدة و عدتان ٥ و ثلاث عدد . قيل : كيف ذلك يرحمك الله ؟ قال : إذا كان للرجل أربع نسوة ٦ ، فطلق الواحدة منهن طلاقاً سنياً ، فليس له ٥ أن يتزوج غيرها ٧ حتى تنقضي عدتها ، لأنها في حكم ٨ عصمته ما دامت في العدة ، فلا يحل له ٩ أن يملك خمسة في عدة ٩ . و العدة الثانية ١٠ إذا طلق زوجته ، فأراد نكاح أختها ، ١١ فيتربص هو ١١ حتى تنقضي

(١-١) في بن : وإذا قد ذكرت العدة فأذكر ما قال .

(٢) في بن : فيها .

(٣-٣) ساقطة من بن .

(٤) في بن : من عدة يعتد بها .

(٥-٥) في بن : و يعتد عدتين .

(٦) الكلمة معطوسة في بن .

(٧) في بن : غيرها .

(٨) ساقطة من بن و واردة في بن .

(٩-٩) في بن : يجمع خمساً في عصمته .

(١٠) في بن : الثالثة .

(١١-١١) في بن : وهي قد طلقها طلاقاً سنياً ، فليس له أن يتزوج أختها حتى

تنكح أختها حتى تنقضي عدة أختها فعليه ... (معطوسة) .

عدتها ، فهذه عدتان . و أما العدة الثالثة : فالرجل يكون له زوجة ، ولها ابن من غيره ، فمات ابنها الذي هو من غيره ، فيؤمر ذلك^١ الرجل باعتزال زوجته قرا واحداً وذلك حتى تستبرأ ، و ليعلم أنها حامل أم لا ،^٢ لأنها إن كان^٣ يوم مات ابنها حاملاً فقد وجب للحمل ميراثه^٤ في^٥ أخيه المتوفى لأمه ، إذ هو أخوه لأمه إذا خرج و استهل صارخاً ، فيكون له السدس بما ترك أخوه ، و إن كانا اثنتين^٦ كانا لهما الثلث ذكورا كانوا^٧ أو أنثاء^٨ .

و يجب^٩ الاعتناء بالنظر في العدة ، لأن الله سبحانه و تعالى أكد ذلك بقوله : ” و أحصوا العدة و اتقوا الله ربكم^{١٠} ” على خلاف بين المفسرين من المخاطب بذلك ، هل الحكماء أو المطلقون و هو الأظهر أو المطلقات . و اختار بعضهم أن الأمر بالإحصاء يتناول الجميع لأن لكل واحد منهم تعلقاً بذلك .

و العدد ثلاثة : عدة الطلاق و عدة الوفاة^{١١} و الاستبراء . و الأولان

(١) ساقطة من برو واردة في بن .

(٢-٢) مطموسة في بن .

(٣) في بن [٢٠٤ : الف] : من .

(٤) في بن : اثنتين .

(٥) « كانوا » في بر قبل « ذكورا » و بعدها في بن .

(٦) و زيد في بن : انتهى . (و ذلك للدلالة على أن الكلام عن العدة في بن انتهى و دخول الكاتب في موضوع فقهي آخر) .

(٧) ابتداء من هنا يسقط الكلام الباقي في الموضوع من بن لآخر هذا المجلد .

(٨) قرآن كريم ٦٥ : ١ . (٩) في الأصل بر : الوفا .

مذكوران في القرآن . قال الله تعالى : ” والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلثة قروء “ . وقال : ” والي يسن من الحيض من نساكنكم ٢ “ الآية .
 وقال سبحانه و تعالى : ” والذي يتوفون منكم ويذرون ازواجهم يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا ٣ “ . وهو خبر وقع موقع الامر ،
 قال اللخمي : والمعتدات خمسة عشرة : ذات حيض ، وذات حمل ، وصغيرة •
 لم تبلغ الحيض ، [٢٧٠ : الف] ومسته قعدت عن الحيض ، وشابة متأخر حيضها ، ومستحاضة ، ومرتابة ، ومرضع ، وصغيرة ابتدأت العدة بالشهور ثم حاضت قبل أن تخرج من عدتها ، ويائسة ذات حيض ، ومستحاضة ترى الحيض ، ومستحاضة ارتابت ، ومرتابة بحس بطن ، ومرتابة لا بحس بطن . قال ابن رشد : العدة بحس بأحد وجهين : ١٠
 إما بخلة تعرف ، وإما باقرارها على نفسها بالميس . قال في المدونة : وإذا كان الصبي لا يولد لمثله ، وهو يقوى على الجماع ، فظهر بامرأته حمل لم يلحق به ، وتحدد المرأة ، وإن مات هذا الصبي لم تنقض عدتها من الوفاة بوضع حملها ، وعليها أربعة أشهر وعشر من يوم مات . قوله تعالى : ” يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم ١٥
 طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فإلكن عليهن من عدة تعتدونها ١ “ .

(١) قرآن كريم ٢ : ٢٢٨ .

(٢) قرآن كريم ٤ : ٦٥ .

(٣) قرآن كريم ٢ : ٢٣٤ .

(٤) في الأصل : لم تنقض

(٥) في الأصل : أربع .

(٦) قرآن كريم ٣٣ : ٤٩ .

قال ابن الحاجب المالكي: وإذا دخل الصبي وهو لا يقوى على الجماع، ولا يولد مثله، ثم صالح أبوه أو وصيه، فلا عبدة على امرأته ولا صداق ولا غسل عليها إلا إن تلذذ، يعنى إن أنزلت. ومقطوع الذكر والخصيتين، وظاهر المذهب لزوم العدة.

٥ وقال أبو حنيفة والشافعي: يلحق الخصي والمجبوب نسب ولد زوجته إن كان ينزل. وقال أبو يوسف وزفر: يلزمه الولد، ولم يشترط أنه ينزل. والحمل الذى تقضى العدة بوضعه لا يشترط فيه أن يكون مصورا، بل يصح أن يكون فى أول النطوف، وهو العلقه فما فوقها، كما أن الأمة تكون بوضعها للعلقة أم ولد. وقال أشهب: لا تكون الأمة أم ولد بالدم المجتمع، ولا تنقضى به عدة المطلقة. قيل معنى هذا أن يصب على الدم الماء فلا يذوب - والله أعلم بذلك.

(١) إلى هنا تنتهى مخطوطة برلين (بر)، وقد آثرنا أن نختم المجلد الرابع بتامها. ويلاحظ أن المسائل الفقهية التى ختم بها الناسخ تلك المخطوطة ساقطة من (بن)، وقد استعاض ناسخ الأخيرة عن ذلك ببعض القصص والفتاوى الفقهية ملائها الصفحتين بن ٢٠٤ الف - ب وقد تجاوزنا عنها فى هذه الحواشى لكثرة ما بها من طمس وسقط وخبل يجعلها غير صالحة للنشر، ذلك بالإضافة لقلة أهميتها الموضوعية.

وناسخ (بن) يستأنف الكلام من جديد (٢٠٤: ب) عن « ذكر الرتب العلية التى بعد الإسكندرية وذلك أن الأمير صلاح الدين خليل بن علاء الدين على الشهير بابن عرام نائب السلطة بالإسكندرية لما (ولى) بالإسكندرية الخ » وفيها يستمر الكلام حتى الورقة (٢٧٦: ب) حيث يختم الناسخ المخطوطة بقوله: تم الكتاب، بلطف الملك الوهاب، بتاريخ مستهل ذى قعدة أح (د شهر) =

سنة تسع وثمان (مائة) . واسم النسخ غير مذكور ، والمخطوطة بخط نسخ معتاد ، ورغم ما بها من أخطاء لفظية وعبارات ساقطة وطمس بالطوبخة وترميم بالتجليد ، فإن قيمتها عظيمة لما ورد بها من الأقسام التي سقطت من مخطوطة برلين والتي أكلنا بها النص كما يرى من صلب المجلدين الثالث والرابع . وصفة مخطوطة الهند أن عدد أوراقها ٢٧٧ ورقة ، وبكل من صفحاتها ٢٧ سطرا ومقاسها ١٧. × ٢٠٠ مليمترا . وهي مصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية تحت رقم القيد ٣٠٨٥ ص ٢٨٢/١ ، والمكتبة خدابخش تحت رقم ٢٣٣٥ . راجع « فهرس المخطوطات المصورة » جزء ٢ (التاريخ) ص ٣٠ - ٣١ .

خاتمة الطبع

تم بمته تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الرابع من كتاب الإمام
 للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الأحد الحادى والعشرين
 من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م .
 و الجزء الرابع هو آخر ما جاء فى مخطوطة برلين . اعتنى بتصحيحه
 و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه -
 أبقاه الله للخدمة العلمية . و عى بتقيقه و مراجعة النسختين راقم هذه الخاتمة
 تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد محامد على العباسى
 عم كرمه الدانى و القاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينعمنا به و يوفقنا لما
 يحبه و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة
 إلا بالله العلى العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا
 محمد و آله و صحبه و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غمرله
 (كامل المقه بالجامعة النظامية)
 المصحح بدائرة المعارف العثمانية

١٣٩٠ هـ
 ٢٢ نوفمبر ١٩٧٠ م
 برلين

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iv



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. IV

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYA
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania

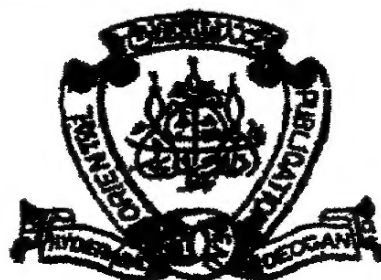


Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU,)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7

INDIA
1970 A.D./1390 A.H.

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iv



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. IV

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYA
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed

Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU.)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7

INDIA

1970 A.D./1390 A.H.